

الأكاديمية الإسلامية لمقارنة الأديان

علوم القرآن ووثائق نقله

تجميع المحاضرات ١ - ١٢

الدكتور
أمير عبد الله

المستوى التمهيدي ٢٠٢٢

الفهرس

٨	التمهيد
٨	أهمية موضوع علوم القرآن وأسباب اختياره
٨	تصحيح المنهج
٨	تعلم الدين لإقامة الحجة على المخالفين ودعوتهم
٩	واجب شرعي
٩	القرآن يوافق العقل والعلم
١٠	الذّب عن القرآن بنفس الشبهات
١٠	لماذا اهتمت الأمة بعلوم القرآن الكريم؟
١١	لماذا نقول علوم وليس علم القرآن؟
١٢	تعريف علوم القرآن
١٢	التصنيف في علوم القرآن
١٣	علوم الإنجيل عند النصارى
١٤	ما هو القرآن الكريم؟
١٤	لفظ القرآن
١٤	دلالة معنى القرآن
١٤	نطق لفظ القرآن
١٥	دلالة لفظ القرآن في اللغة
١٥	أسماء القرآن الكريم
١٥	إطلاق القرآن على الكل وعلى أبعاضه
١٦	تعريف القرآن في الإصطلاح
١٦	عقيدتنا في القرآن الكريم
٢٠	الوحي ومصدرية القرآن الكريم
٢٠	نزول القرآن الكريم
٢٠	أين كان القرآن الكريم قبل نزوله وتنزيله؟
٢٠	ما هي مراحل نزول القرآن الكريم؟
٢١	تفصيل مراحل النزول
٢٤	سماح جبريل <small>عليه السلام</small> من الله <small>تعالى</small>
٢٧	تفرد القرآن بشهادته لنفسه بالحفظ في السماء قبل الأرض مقارنة بالكتب المحرفة
٢٧	هل هناك فرق بين النزول والتنزيل؟
٢٩	أسباب النزول
٢٩	اصطلاح سبب النزول عند المتأخرين
٣٠	تحرير مصطلح " أسباب النزول " عند السلف
٣١	أمثلة على معاني أسباب النزول الخمسة عند السلف
٣٢	اهتمام الأمة بدقائق النزول التكليفي
٣٣	أهمية الوحي

٣٤	أركان الوحي
٣٥	خطوات الإعداد لإثبات الوحي
٣٥	الإحاطة والعلم بأركان الوحي عندك
٣٦	الإحاطة والعلم بأركان الوحي عند المخالف ومذهبه
٣٧	تحديد معايير الإثبات والنفي والحجاج
٣٧	تجهيز البراهين وحشد الأدلة تحت كل معيار
٤١	قدرتك على البرهنة بإتقان فن الجدل والنظر
٤٢	الفرق بين الدعوة بالحكمة والموعظة وبين الجدل والتي هي أحسن
٤٣	الجدال والتي هي أحسن فرض كفاية
٤٣	واجبك في الحوار تجاه رؤوس الكُفر والنفاق
٤٥	الإحاطة والعلم بأركان الوحي في الإسلام
٤٥	معنى الوحي في اللغة
٤٥	أمثلة من المعنى اللغوي للوحي في كتاب الله
٤٥	وحي الإلهام الفطري للإنسان
٤٥	وحي الإلهام الغريزي للحيوان
٤٦	وحي الإلهام التوفيقى
٤٦	وحي الإيحاء والإشارة
٤٦	وحي الإعلام في الخفاء
٤٧	وقفات مستفادة من معنى الوحي اللغوي
٤٧	مثال مهم
٤٩	الوقفات
٤٩	الوقفة الأولى
٤٩	الوقفة الثانية
٥٠	الوقفة الثالثة
٥١	الوقفة الرابعة
٥٢	الوقفة الخامسة
٥٣	الوقفة السادسة
٥٣	الوحي في الشرع وكيفيته
٥٣	تعريف الوحي في الشرع
٥٣	طرق كلام الله للبشر
٥٤	الوحي المجرد أو وحي الإلهام
٥٤	الوحي للأنبياء
٥٤	الوحي لغير الانبياء في حق المؤمن أو المُحدِّث أو الولي
٥٥	كلام الله من وراء حجاب
٥٦	هل كلم الله إبراهيم كما كلم موسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام؟
٥٦	وحي النبوة والرسالة
٥٦	ما هو الفارق اذن بين وحي الإلهام للنبي ولغير النبي؟
٥٧	ما الفرق بين النبي والرسول؟
٥٨	هل أرسل سيدنا يوسف لأهل مصر؟
٥٩	كلمات الله
٦٢	مقارنة تلخيصيه بين وحي الهداية ووحى التكليف
٦٢	الوحي: صفته ووقعه على النبي ﷺ

- ٦٢..... الأحوال التي يأتي بها الملك جبريل عليه السلام على النبي ﷺ
- ٦٣..... وَقَعَ الوحي على الرسول ﷺ
- ٦٤..... يسمع صلصلة الجرس
- ٦٤..... يصيبه التعرق الشديد
- ٦٤..... يتقل ثقلاً شديداً
- ٦٥..... يصيبه الكرب وشدة الحمى
- ٦٥..... يحمر وجهه ويتغير لونه من الغطِّ والعصر
- ٦٥..... ينكس رأسه ويغطيه بثوب
- ٦٥..... يحرك لسانه قراءة بالوحي والتعجل به
- ٦٦..... يُسمع تردد انفاسه في أنفه
- ٦٧..... هل الوحي أمر داخلي من نفس الرسول ﷺ أم خارجي عنه؟ وما أهمية معرفة ذلك؟
- ٦٧..... المعايير المقترحة للبرهنة على أن الوحي أمر خارجي عن النبي ﷺ
- ٦٧..... أدلة نافية كونه من داخل النبي ﷺ
- ٦٧..... أدلة مثبتة كونه خارجاً عنه ﷺ وعن مقدور البشر
- ٦٨..... أدلة حجاجية ملزمة بنبوته
- ٦٨..... الإحاطة والعلم بأركان الوحي عند أهل الكتاب
- ٦٨..... النبوات والمعجزات وخوارق العادات
- ٦٨..... لا نبوة بلا معجزات
- ٦٨..... قصور قولنا خوارق العادات، والتعريف الاصطلاحي للمعجزة
- ٦٨..... قصور قولنا خوارق العادات
- ٦٩..... تعريف المعجزة في الاصطلاح
- ٧٠..... مراتب خوارق العادات
- ٧٠..... المعجزة والكرامة متعلقة بكمال الله ﷻ (العلم والقدرة والغنى)
- ٧٠..... خوارق الأنبياء والأولياء متعلقة بصفات الله: العلم والقدرة والغنى
- ٧٢..... تصنيف خوارق الأنبياء والأولياء المتعلقة بصفات الله: العلم والقدرة والغنى
- ٧٣..... مقارنة بين خوارق عادات الأنبياء وخوارق عادات السحرة والكفار
- ٧٤..... الوحي والنبوة عند أهل الكتاب
- ٧٤..... تعريف الوحي عند أهل الكتاب
- ٧٤..... أحوال أنبياء الكتاب المقدس عند نزول الوحي
- ٧٧..... كيف يفرق النصارى بين النبي الصادق والنبي الكاذب؟
- ٧٨..... نسبة الكتاب إلى الله ﷻ في الكتب المقدسة
- ٧٨..... شهادة إلهية تشهد للقرآن الكريم أنه من عند الله ﷻ وأهمية ذلك
- ٧٩..... نسبة الكلام في الكتب المقدسة ما عدا القرآن الكريم
- ٨٢..... الحجاج مع المخالفين في مقام الوحي
- ٨٢..... ادعاءات المستشرقين
- ٨٢..... ادعاءهم أن النبي ﷺ تلقى القرآن عن غيره
- ٨٣..... اقتراءهم على النبي ﷺ بتلقي القرآن من الراهب بحيرا
- ٨٣..... الرد على هذه الفرية
- ٨٤..... اقتراءهم على النبي ﷺ بتلقي القرآن من ورقة بن نوفل القرشي
- ٨٥..... الرد على هذه الفرية
- ٨٦..... لجوء المستشرقين إلى التزوير بعد اليأس
- ٨٦..... طعنهم في أمية النبي ﷺ بلا بينة

٨٧	الأدلة على أميته ﷺ
٨٩	الجواب على هذه الشبهة
٩٢	دعواهم في صرع النبي محمد ﷺ
٩٢	وجوه إبطال الشبهة
٩٢	الفرية الأولى
٩٣	الفرية الثانية
٩٤	الفرية الثالثة
٩٧	من محاولاتهم في تزوير المستندات
٩٧	المثال الأول: القس كلير تسدال
١٠٠	المثال الثاني: القس لويس شيخو اليسوعي
١٠١	من آثار تعصبه
١٠١	لويس شيخو اليسوعي وسقف الكعبة
١٠٣	حجية الوحي
١٠٣	الاستدلال بحالات الوحي
١٠٣	الأدلة العقلية على أن محمد ﷺ ليس هو مؤلف القرآن الكريم
١٠٤	دليل أسلوب القرآن الكريم
١٠٤	التواطؤ الكوني
١٠٤	التواطؤ الغيبي وبشارات الأنبياء قبله
١٠٥	سر بقاء القرآن محفوظاً منذ أن جاء به محمد ﷺ
١٠٥	علامات صدق النبوة
١٠٥	حقيقة الدعوة
١٠٦	صدق النبي (المرسل) في ذاته
١٠٩	تصديق النبي للأنبياء قبله
١٠٩	صدق وتحقق النبوات والمعجزات
١١٠	الإلزام الإلهي بتمثلية الوحي
١١١	أمثلة على بشارات الأنبياء عند أهل الكتاب وإرهاصات ما قبل البعثة
١١٦	لغة القرآن الكريم
١١٦	مدخل إلى اللغة واللسان
١١٦	تعريف اللغة
١١٦	تعريف اللغة عند علماء العربية
١١٨	عند اللغويين المحدثين
١٢٠	الخواص المشتركة في تعريف اللغة بين علماء العربية والمحدثين اللغويين
١٢٠	اللغة أصوات
١٢٠	اللغة لها نظام
١٢١	اللغة ظاهرة اجتماعية
١٢١	للغة وظيفة
١٢١	العلاقة بين الكتابة واللغة
١٢٦	أيهما أعم اللغة أم اللسان؟
١٢٧	النقل والسماع شرط ثبوت اللغة
١٢٧	السماع في اللغة والاصطلاح:
١٢٨	شرائط ثبوت اللغة
١٢٨	كيفية الأخذ والتحمل في اللغة
١٣٠	صیغ التحمل والأداء في علوم اللغة

- ١٣١ ثمرة اهتمام العلماء الأوائل بالسماع.
- ١٣١ المعيار العربي اللغوي للسماع.
- ١٣٢ أهمية اللغة
- ١٣٣ بلسان عربي مبين
- ١٣٣ بلسان عربي مبين
- ١٣٤ عدم جواز قراءة القرآن بغير العربية
- ١٣٥ اللسان العربي هنا هو لسان قريش.
- ١٣٦ فصاحة العربية اجتمعت لقريش
- ١٣٧ تحدي فصاحتهم بالقرآن
- ١٣٨ اعجاز القرآن الكريم في لغته والتحدي بالقرآن
- ١٣٩ كيف نستشعر إعجاز لغة القرآن؟
- ١٤٠ القرآن الكريم يحفظ لسان العرب
- ١٤٠ أين لغة موسى والمسيح عليهما السلام اليوم؟ ولماذا ضاعت؟
- ١٤٣ خصائص لغة القرآن
- ١٤٣ تفرد في حسن تأليفه
- ١٤٣ إعجازه بتفرد في بلاغة نظمه وأسلوبه
- ١٤٤ جزالة اللفظ
- ١٤٥ المرونة والمطاوعة في التأويل (ذو وجوه)
- ١٤٥ إطراده في إعجاز لغته
- ١٤٥ تيسير لغته للذكر
- ١٤٦ التدوين الفوري للوحي
- ١٤٨ أليس في القرآن كلمات أعجمية؟
- ١٥٠ التلقي والمشاهدة
- ١٥٠ حفظ القرآن الكريم يكون بالتلقي
- ١٥٠ المقصود بحفظ القرآن
- ١٥٠ المقصود بالتلقي
- ١٥١ التلقي في اللغة
- ١٥١ التلقي القرآني اصطلاحاً
- ١٥٢ القرآن ليس إلهاماً بل هو تعليم وتعلم مباشر
- ١٥٢ كيف تلقى النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام؟
- ١٥٣ المنهج القرآني في التلقي (طرق التلقي)
- ١٥٣ السماع والرواية
- ١٥٧ العرض أو التلاوة
- ١٦٠ التلقين والمدارسة
- ١٦٢ قراءة الحروف
- ١٦٢ حكم التلقي والتلقين
- ١٦٢ الإجازة القرآنية
- ١٦٣ مشروعية الإجازة القرآنية
- ١٦٣ هل يشترط أداء هذه القواعد كلها في التلقي (سماعا وعرضا)؟
- ١٦٣ خصائص التلقين النبوي للقرآن
- ١٦٣ التبليغ والإقراء كما سمعته

- ١٦٣..... اقرء النبي ﷺ القرآن للصحابة بالتلقي من فيه الشريف
- ١٦٤..... مباشرة تعليمهم القرآن بنفسه ﷺ
- ١٦٤..... تعضيدُ التلقي بالتدوين الفوري
- ١٦٥..... تعلّم وتدبّر وعمل بما فيها عشر آياتٍ بعشر آيات
- ١٦٥..... المناوبة في التحصيل حتى لا يفوت العلم والعمل بالآيات
- ١٦٥..... عرض الصحابة على النبي ﷺ
- ١٦٦..... الحث على المدارس في المساجد وحلقات العلم (سنة الكتاتيب)
- ١٦٦..... الحرص على تعليم من فاته الدرس أو لم يكن حاضرًا لحظة نزول الوحي
- ١٦٦..... توجيه بعض الحُفَاطِ إلى البلدان ليُعلموا الناس تلاوة القرآن (شفاهاً)
- ١٦٦..... الحرص على تكرار القرآن المحفوظ ومراجعته مع قراءته في الليل
- ١٦٧..... التعاهد اليومي والشهري والسنوي
- ١٦٧..... تبيان فضل من تعلّم وعلم القرآن وتلاه وحفظه (تعاهد القرآن)
- ١٧٢..... نتاج المنهج النبوي في تلقي القرآن وتعليمه واقرائه والمستفاد منه
- ١٧٢..... استشعار المصدرية الإلهية
- ١٧٣..... أن يكون التلقي سنة متبعة في أمته
- ١٧٦..... حفظ النص القرآني وضبط الألفاظ مقدم على طلب بيانه
- ١٧٦..... التزام كمال الأداء
- ١٧٩..... تحقيق التلاوة سماعاً وعرضاً واتباعاً
- ١٧٩..... التدرج في تلقي القرآن وتعلمه تعليمه
- ١٨٠..... كثرة الحُفَاطِ وتواترهم
- ١٨٠..... ثبوت اليقينية لأداء القرآن بالتواتر العملي
- ١٨١..... كمال الأداء وحرز من التصحيف والخطأ
- ١٨٢..... عدم الحاجة إلى الكتب والمصاحف إلا للتعليم والمدارس
- ١٨٤..... سماع وتلقين: لا يحكّمه قياس العربية
- ١٨٤..... حفظ الله لكتابه حفظ عملي واقعي يُمكن اثباته بالبراهين
- ١٨٥..... التأكيد على أمية النبي ﷺ
- ١٨٥..... سنة إجازة التلاوة والعرض
- ١٨٥..... وجوب نقل القرآن من الصحابة إلى الأمة نقلاً شفاهياً وتجريم نقل المصاحف
- ١٨٩..... تجريم التلقي من المصاحف بدون شيخ، جرّاً من التصحيف والتحريف واللحن
- ١٩٠..... تجريم أخذ وتلقي القرآن، بل وعلوم الأمة من الصحف والمصاحف
- ١٩٢..... النتيجة التي ترتبت على ذلك
- ١٩٣..... شهادة التلقي
- ١٩٥..... المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ
- ١٩٥..... الإجازة القرآنية
- ١٩٥..... تعريف الإجازة القرآنية
- ١٩٥..... مشروعية الإجازة القرآنية
- ١٩٦..... أهمية الإجازة القرآنية
- ١٩٧..... شروط وضوابط الإجازة القرآنية
- ١٩٧..... أركان الإجازة بالقرآن الكريم
- ١٩٨..... مثال من الاجازة

- ١٩٩ لا يقبل في الإجازة إلا درجة مائة بالمائة
- ٢٠٠ أنواع الإجازة بالقرآن الكريم
- ٢٠٠ الأشهاد على الإجازة القرآنية
- ٢٠١ أحكام شرعية فيما يخص القراءة والتلاوة
- ٢٠١ حكم العمل بقواعد التجويد في القرآن الكريم
- ٢٠١ حكم قراءة القرآن من مصحف دون شيخ
- ٢٠٢ خصيصة كتاب الله ﷻ
- ٢٠٣ البحث المطلوب
- ٢٠٣ أهمية البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

أهمية موضوع علوم القرآن وأسباب اختياره

تصحيح المنهج

السبب الأول في اختيار الموضوع: تصحيح المنهج بين كثير من الشباب الغيور المهتم بدرء الشبهات عن كتاب الله أو الحديث عن مخطوطات القرآن الكريم ورسومه وقراءاته، مع تصحيح ما قد يكون في خاطرك من قناعات لا تعلم أنها لا تصح؛ وهذا ومع الإقرار بأن جهد الشباب مبارك في تبيان عظمة القرآن الكريم وحفظه وهيمنته على غيره من الكتب التي تعرضت للتبديل والتحريف، إلا أنه جُهدٌ يعوزه الكثير من التدقيق والتزام المنهج، لأن غياب المنهج قد يجعل ردك على الشبهة هو في ذاته شبهة إن لم يكن الرد سائماً، صحيحاً ومعك عليه الأدلة والبراهين.

تعلم الدين لإقامة الحجة على المخالفين ودعوتهم

السبب الثاني لمثل هذه المحاضرات أن منهجنا في هذه المرحلة التمهيديّة هو: تعلم النصرانية من خلال الإسلام، وليس تعلم الإسلام من خلال النصرانية؛ فأنت تتعلم الأصل القرآني، وتعلم معه الفارق بيننا وبين أهل الكتاب في هذا الأصل، وتدرك هيمنة القرآن الكريم. ولذا لم نضع في هذه المرحلة محاضرات للتعريف بالنصرانية والكتاب المقدس وإنما وُضعت محاضرات الحديث وأصول الفقه وغيرها بجوار علوم القرآن الكريم.

وأنت بهذا تتعرف على الكتاب المقدس، ولكن من خلال القرآن، وتتعرف على الأديان الوضعية، ولكن من خلال الإسلام، فستكون أشبه بمحاضرات في الدين المقارن. في هذه المحاضرات ستتعلم الأديان كلها بناءً على تعلمك كتاب ربك.

فحين نتعلم أن نثبت بالدليل والبرهان كيف انتقل النص المقدس القرآني والسنة عبر القرون حتى وصلتنا، سنتعلم معها مقارنة بكتب أهل الكتاب وغيرها من الكتب الوضعية كيف وصلت وكيف انتقلت ولماذا كان يجب عقلاً ومنطقاً وضرورة أن يطال التحريف كتب السابقين بينما يظل القرآن الكريم محفوظاً بحفظ رب العالمين.

وحيث تدرس أهمية النقل الشفهي المتواتر لكتاب الله وكيف حفظ لنا ديننا ولساننا ولغتنا العربية، فإنك ستقارن ذلك بمن لم يحفظوا كتب الله من الأمم السابقة وكيف أنهم حين اعتمدوا على الأوراق وحدها ضيعوا كتبهم

وأديانهم، بل وضيعوا لغات أنبيائهم؛ فلا يوجد في الدنيا اليوم لا لغة المسيح ولا لغة موسى عليهما الصلاة والسلام. فكلها لغاتٍ مُزورة، مُتأخرة، لا تمت للغتي المسيح وموسى عليهما السلام بصلة.

وحين تتعلم كيف جُمع القرآن الكريم ودُون بما يُبهر العقول وتتعرف على رسمه وقراءاته ومخطوطاته وأهمية ذلك، سنتعلم معه متى عرف النصارى كتبهم وكيف جمعوها ومتى دونوها، وحين نتحدث عن حفظ كتاب الله فإننا سنتحدث عن تحريف اليهود والنصارى لكتبهم.

فأنت تتعلم النصرانية واليهودية وكيفية إقامة الحجة عليهم ودعوتهم إلى الإسلام عن طريق تعلمك لدينك.

واجب شرعي

والسبب الثالث أنه واجبٌ شرعيٌّ مأمورون به، أن أبين وأن تبينوا للناس وللدعاة على الثغر أنه قد ظلم نفسه ودينه من يدخل هذا المعترك بصدر مكشوف فيتحدث في كتاب الله بغير علم؛ والحديث في كتاب الله بغير علم ذنبٌ عظيم، حتى لو خُصت النوايا.

فمن تكلف ما لا علم له به، فلو أنه وُقِّق إلى الصواب وكان جوابه صحيحاً، فإنه قد أخطأ، قال ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)^١، لأنه لم يُوفق إليه بعلمٍ واتباعٍ، وإنما برأيه، وهذا أحد الأسباب المفضية إلى مرض تقديس العقل ورد النقل أو تعطيله وتأويله ليوافق عقله وهواه، قال ﷺ: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)^٢، سلّمنا الله وإياكم.

القرآن يوافق العقل والعلم

السبب الرابع لمثل هذه المحاضرات، ترسيخ حقيقة أن القرآن الكريم يوافق صريح العقل والعلم، والرد على تلك الدسائس الرخيصة المفضوحة التي تُصور وتوهم المخدوعين بأن الإسلام نقيض العلم، وكأن بين الدين والعلم خصومة، وهذا غير صحيح وسنؤصل بحول الله لمنهج الإعجاز القرآني وإثبات ما صح منه وكيفية تناوله دون إفراط أو تفريط.

١ سنن الترمذي هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا، في أن يفسر القرآن بغير علم
٢ مسند أحمد إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي وصححه ابن القطان كما في "النكت الظراف" ٤/٤٢٣. سفيان: هو الثوري

الذّب عن القرآن بنسف الشبهات

السبب الخامس من فوائد علوم القرآن كذلك أن التسلح بمعرفتها يساعد في محاكاة غير المسلمين ومجادلتهم والتي هي أحسن، والدفاع عن القرآن ضد الشبهات التي تثار حوله. ويضع لك منها قويمًا تنسف به الشبهات عن كتاب الله نسفاً، فلن يرقى فكرك بغير فهمك لهذا الدين، ولن تفهمه بغير القرآن، ولن تصون كتاب الله ودين الله بغير فهمك لعلوم القرآن.

معرفة قاعدة واحدة ينسف عدة شبهات مجتمعة، فبدلاً من أن تبحث عن درء شبهة هنا وهناك، لو أنك عرفت الاصل الصحيح لسقط الغلط المعوج ومعه سلاسل من الشبهات غيرها بُنيت عليه؛ ولذا فقد ارتأيتُ أن أضع منها تعليمياً، وتأصيلاً لا يميل الداعية عنه، وهو سبيل الحق وسبيل السلف الذي يسعنا ما وسعهم؛ وكل مبحثٍ متبوع بالنقاط الواجب العلم بها مع أسئلةٍ وتدريبٍ عمليّةٍ نافعةٍ للدعاة في زمن الإنترنت.

لماذا اهتمت الأمة بعلوم القرآن الكريم؟

القرآن الكريم إما يخص ذات ٣ الرب ﷻ، أو يخص العبد.

- ففيما يخص الرب، فهو كتاب الله وكلامه على الحقيقة ووحيه الخاتم.
- أما فيما يخص العباد فهو لنا كتاب هداية وكتاب إعجاز، مُتعبدون بتلاوته.

فحين يكون هذه هي خواص الكتاب فإنه يتحتم على الأمة أن تُقيم لأجله العلوم، لتخدم هذا الكتاب. ولأجل كل هذا قامت العلوم لخدمة القرآن الكريم، فأنت حين تعلم انه كلام الله فماذا تفعل؟ تقدره وتكرمه وتخدمه. وحين تعلم أن نجاتك لا تكون إلا به، فإنك تعمل بما فيه وتقدره وتكرمه وتخدمه. هذه هي مسؤولية كل أمة نزل عليها كلام الله، أن تجعل قبلة العلوم كلها خدمة هذا الكتاب، لتشير بوصلة كل علم إلى كتاب ربها.

وهل بين العلوم أشرف من تلك العلوم التي تخدم كلام الله! هذه هي مسؤولية كل أمة سيطر - سيطرةً حقيقية - على فطرتها إيمان حقيقي عميق بوحى الله وكلامه، أن يتسلط الكتاب بما فيه من حق على الأمة كلها فتخدمه بالنفس والمال والغالي والنفيس، فتوصل له العلوم، لا أن تُضيعه أو تُحرفه أو تهمله، وهذه خصيصةٌ معجزة من خواص القرآن الكريم يتفرد بها بين كتب العالمين. فمن من بين الأمم حمل على عاتقه هذه المسؤولية، وعمل بحقها غير أمة محمد ﷺ؟

٣ يصح إضافة لفظة (الذات) إلى الله عزّ وجلّ؛ كقولنا: ذات الله، أو: الذات الإلهية، بمعنى أني أعني الله نفسه، وحقيقته، لكن لا على أن (ذات) صفة له، وقد ورد ذلك في السنة فيما خرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات، اثنتين في ذات الله)) رواه البخاري ومسلم.

بل قد ضيعت كل الأمم قبلنا كُتُبها على حين غفلة، وباستهتار، وخفة ولا مسؤولية، وجرأة وتطاول في التحريف والتأويل. لذا لا تجد عند أمة من الأمم التي تنسب كتابها إلى الوحي علوماً تُسمى علوم الإنجيل مثلاً، أو علوم التوراة، وإنما ضيعوها، ثم اختلقوها، ثم اختلقوا علوماً لاسترداد النص الضائع المفقود. فاحمد الله على نعمة الإسلام، ونعمة القرآن، وعلى نعمة المسؤولية التي حملها أئمة الإسلام سلفاً وخلفاً.

لماذا نقول علوم وليس علم القرآن؟

أخرجت الأمة لكل شيء في القرآن علماً، فصار عندنا علوم جمع علم، لا على المفرد، فنقول علوم القرآن؛ لأنها تتعلق بكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو يتصل به من ناحية إعجازه.

فماهي تلك العلوم التي أخرجتها الأمة أو استخرجتها من القرآن لخدمة كتاب ربها؟

تندرج علوم القرآن تحت صنفين:

- علمٌ يؤخذ من القرآن.
- وعلم يخدم القرآن.

فأما العلم الذي يؤخذ من القرآن الكريم، فإن من أمثله: علم العقيدة وعلم الفقه وعلم الأخلاق. وكانت لهذه العلوم السبق في كتابات العلماء المتقدمين. فأصول عقيدتك لا بد أن تأخذها بالوحي، لن تؤلفها.

فتوحيد الله تأخذه من القرآن وعقيدتك في أسماء الله وصفاته من القرآن، وعقيدتك في الأنبياء من القرآن، وكيفية عبادة الله وصيامك وصلاتك وزكاتك وحجك، وما يتعلق بكل هذا من الواجبات والمباحات والحلال والحرام من القرآن. فهذه كلها علوم تؤخذ من القرآن والوحي.

وقارن هذا بما عند النصارى فهل أخذوا أصول العقيدة وعلومها مثلاً من الإنجيل؟ هل عندهم علم عقيدة قائم على الإنجيل؟ هل عندهم فقه ومذاهب فقهية مأخوذة من الوحي مثل المسلمين؟ لا، بل كله قد أخذوه من المجامع وأساطين الوثنية، فلا قال المسيح لهم أنه الله أو اعبدوني، وإنما عبده بناءً على المجامع الوثنية وأول تأليه رسمي له تم في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. كذلك، فلا يوجد ذكر لعقيدتهم في الثالوث المذكور في الإنجيل كله؛ وأول اقرار به في مجمع القسطنطينية ٣٨١م. بل ولأنه غير مذكور فقد حرفوا وأضافوا آية للثالوث منذ ٤٠٠ عام فقط لأنجيلهم ثم حذفوها وهي آية ١ يوحنا ٥: ٧. ولاتزال بعض الكنائس تخدع مريديها بوجود آية الثالوث ويخفون عليهم حقيقة انها تحريف وليست من كلام الله والتفصيل في هذا كثير سيأتي في مكانه إن شاء الله.

فأنت تأخذ أصول عقيدتك من الكتاب بالوحي، وعندك على كل أصلٍ دليله النقل من قال الله وقال الرسول. بينما هم لا يجدون عندهم أي دليلٍ من الوحي ولذا فإن عقائدهم اليوم وضعية محرفة لا ينصرها دليلٌ أو برهان.

وأما العلم الذي يخدم القرآن الكريم، فإنه كل علم يحاول سبر أغوار القرآن لكشف أسرارهِ وخبائهِ، مثل:

علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني وتدوينه وكتابتَه وجمعه، ونقله محفوظاً عبر القرون، وعلم إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وأساليبه وقصصه، وعلم أسباب النزول وعلم النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وعلم إعراب القرآن وعلم غريب القرآن وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك. وكل علم مما سبق يدرس القرآن كله من زاوية اختصاصه آية، آية، دراسة تفصيلية.

تعريف علوم القرآن

جعل العلماء هذه العبارة «علوم القرآن» اسم علم، يقتصر على معنى خاص، ويُمكن تعريفه كما عرفه العلامة المحدث نور الدين عتر الحسني -رحمه الله -بأنه: "المباحث الكلية التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه وجمعه، وكتابتَه، وتفسيره، وإعجازه وناسخه ومنسوخه، وغير ذلك"^٤ انتهى.

التصنيف في علوم القرآن

ونفرق بين نشأة علوم القرآن الكريم والتي بدأت ببداية الوحي، وتناقل رواياته شفاهه بين الصحابة وتابعيهم، وبين تدوين علومه وتصنيفه، والتي كثرت الدراسات فيه في القديم والحديث. وكانت الكتابات الأولى في التفسير، نظراً لأنه الأهم في الدراسات القرآنية. ومن أول المؤلفات في التفسير، تفسير التابعي مجاهد بن جبر (ت. ١٠٤ هـ) والذي كتب فيه تفسير شيخه الصحابي عبد الله بن عباس (ت. ٦٨ هـ)، ومن الكتب الشاملة للتفسير التي لم تصلنا تفسير التابعي الضحاك بن مزاحم (ت. ١٠٥ هـ)، ومن التفاسير الشاملة التي وصلتنا تفسير التابعي مقاتل بن سليمان (ت. ١٥٠ هـ) وهو كامل مطبوع°. وظهر المنهج الأول في التفسير وهو التفسير المأثور، وهو المادة الأساسية لمعرفة تفسير القرآن، ثم كتب كثير من المفسرين في مقدمات تفاسيرهم بحثاً هامة في علوم القرآن، ويعتبر تفسير الطبري (ت. ٣١٠ هـ) من أبرز كتب التفسير وأهمها، إضافة إلى تفسير القرطبي (ت. ٦٧١ هـ) «الجامع لأحكام القرآن». ثم أُفردت الكتب في كل نوع من أنواع علوم القرآن، منذ القرن الأول الهجري، غير كتب التفسير وهي كثيرة جداً، ومنها:

٤ علوم القرآن الكريم لنور الدين محمد عتر الحلبي، ص. ٨، مطبعة الصباح - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٥ المحرر في علوم القرآن الكريم، للدكتور مساعد الطيار، ص. ٣٢، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- **المكي والمدني** تحت مسمى: **"نزول القرآن"** وممن كتب فيه الضحاك بن مزاحم (ت. ١٠٥ هـ) وعكرمة (ت. ١٠٥ هـ) والحسن البصري (ت. ١١٠ هـ)، والإمام الزهري (ت. ١٢٤ هـ).^٦ ومنها كذلك الناسخ والمنسوخ وكتب فيه قتادة (ت. ١١٧ هـ) والزهري (ت. ١٢٤ هـ) وهما مطبوعان.^٧
 - **الوجوه والنظائر**، ومن الكتب المطبوعة فيها كتاب مقاتل بن سليمان (ت. ١٥٠ هـ)، وكتاب هارون الأعمور (ت. ١٧٠ هـ)، وكتاب يحيى بن سلام (ت. ٢٠٠ هـ) بعنوان التصاريف، وجميعها مطبوعة.^٨
- ومن كتب علوم القرآن المفردة، كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت. ٢٢٤ هـ)، وكتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة الدينوري (ت. ٢٧٦ هـ)، وأحكام القرآن للطحاوي (ت. ٣٢١ هـ) و"الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس (ت. ٣٣٨ هـ).^٩

علوم الإنجيل عند النصارى

وكما تلحظ فإن هذه الكتب جميعها هي مصدر علوم القرآن الكريم اليوم، وأن أقدم تفسيرات القرآن الكريم، كتبها التابعون ودونوها في زمان الصحابة، وهي كتب أهل السنة والجماعة من سلف الأمة ومتقدميها الذي يشرف كل مسلم بالانتساب إليهم والأخذ عنهم. وفي المقابل، هل تعلم أن أقدم تفسير معروف على الكتب المسيحية المقدسة قد ظهرت على يد هرطوقي^{١٠} (كافر)، غنوصي^{١١} يُدعى هيراكليون، ربما كتبه في الفترة ما بين ١٧٠ - ١٨٠ م؟ وهذا الهرطوقي كان هو أول المفسرين العظماء الذين أخذ عنهم قديسي الكنيسة الأولى كليمنندوس السكندري والعلامة أوريجانوس كثيرا من تفسيراته على انجيل يوحنا، حتى أن أوريجانوس استشهد به أكثر من أربعين مرة! هل تعلم أن قبل هيراكليون، كانت جميع كتابات الآباء لا تعرف شيئا عن أنجيل النصارى؟ إلا أسماء تختلف متونها!^{١٢}

٦ المحرر في علوم القرآن الكريم، ص. ٣٤.

٧ المحرر في علوم القرآن الكريم، ص. ٣٥.

٨ المحرر في علوم القرآن الكريم، ص. ٣٥ - ٣٦.

٩ المحرر في علوم القرآن الكريم، ص. ٣٧.

١٠ الهرطقة؛ في الغرغ المسمي هي الزنقة، وهي تغيير في عقيدة، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغيير غير متوافقة مع المعتقد المبني الذي نشأت فيه هذه الهرطقة. الكلمة "هرطقة" من اليونانية αἵρεσις "ايرسيس" (أصلها من αἵρεομαι "ايريوماي" بمعنى "يختار")، وهو ما يعني إما اختيارا مغايرا في العقيدة أو نحلة من المؤمنين. كان إرنايوس Irenaeus هو من أعطى الكلمة زخمها المعروفة به حاليا في مؤلفه Contra Haerese "ضد الهرطقات" الذي وصف فيه وفند آراء مناوئيه في بدايات الكنيسة المسيحية، وقد وصف إرنايوس نفسه بأنه أورتودوكسي ("أوروثو" تعني "صحيح" و"دوكسا" تعني عقيدة)، وقد تطور موقفه ليصبح في النهاية الموقف الرسمي للكنيسة المسيحية المبكرة.

١١ الغنوصية أو العرفانية أو المعرفية (بالإنجليزية: Gnosticism) هي مصطلحات حديثة تطلق على مجموعة من أفكار ومعارف من الديانات القديمة التي انبثقت من المجتمعات اليهودية في القرنين الأول والثاني الميلاديين. وبحسب تفسيرهم للتوراة، اعتبر الغنوصيون (أو العرفانيون) أن الكون المادي هو انبثاق للرب الأعلى الذي وضع الشعلة الإلهية في صلب الجسد البشري. ويمكن تحرير أو إطلاق هذه الشعلة عن طريق معرفتها، أي "اغصتها". On the complexity of gnosticism, see Larry W. Hurtado (2005). Lord Jesus Christ: Devotion to Jesus in Earliest Christianity. Wm. B. Eerdmans Publishing

١٢ سيأتي تفصيله

ما هو القرآن الكريم؟

لفظ القرآن

لفظ القرآن، في اللغة مصدر من الفعل قرأ، يُقال: قرأ قرآنًا، فهو مصدر على وزن فعلان بالضم، كالشكران والتكلان والغفران تقول (غفر مغفرة وغفران) كذلك تقول: قرأ قراءة وقرآنًا، فكما المغفرة مرادف للغفران، كذلك القراءة مرادف للقرآن، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجُعل اسماً مختصاً بالكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ.

- القرآن يكون مصدرًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧].
- القرآن يكون اسماً: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق، أما القول بأنه وصف من القراء بمعنى الجمع أو أنه مشتق من القرائن، فكل هذا توجه مرتجل لا يخلو توجيهه بعضه من كلفة ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.

دلالة معنى القرآن

دلالة معنى القرآن في اللغة، إن معنى القرآن لغةً دالةٌ على تلقيه إقراءً (مقروء - مسموعاً)، وقد عرفنا ان القرآن معناه: القراءة، أي: أنه يُقرأ. فجزءٌ أساسي في تعريف القرآن هو الكيفية التي يُتلى بها القرآن، فإنه يُتلى بطريقة معينة، وهي: مراعاة أحكام التجويد وصفات الحروف ومخارجها ونحو ذلك. فالعدول عن ذلك بأن يتلقى الإنسان القرآن عن طريق سماع الأشرطة أو قراءةً من المصاحف غير صحيح.

نطق لفظ القرآن

نطق لفظ "قرآن"، يُنطق مهموز وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وفيه قراءتان (نُطقان) ثابتان عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقرأ غير مهموز (القرآن) كما في قراءة ابن كثير أو أن يُقرأ مهموزاً (القرآن).

دلالة لفظ القرآن في اللغة

دلالة معنى القرآن في اللغة، فإن معنى القرآن لغةً دالةٌ على تلقيه إقراءً، وقد عرفنا أن القرآن معناه: القراءة، أي: أنه يُقرأ. فجزءٌ أساسي في تعريف القرآن هو الكيفية التي يُتلى بها القرآن، فإنه يُتلى بطريقة معينة، وهي: مراعاة أحكام التجويد وصفات الحروف ومخارجها ونحو ذلك. فالعدول عن ذلك بأن يتلقى الإنسان القرآن عن طريق سماع الأشرطة أو قراءةً من المصاحف غير صحيح.

أسماء القرآن الكريم

أسماء القرآن الكريم، ويقال للقرآن: فرقان أيضاً، وأصله مصدر كذلك ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات. ودليل ذلك، قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم، بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال. ويلى هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة الكتاب والذكر وال تنزيل.

لكن قد يسرف البعض في اعتبار الوصف اسماً للقرآن كما فعل الإمام الزركشي في البرهان فبلغ بأسمائه خمسة وخمسين وأسرف غيره في ذلك حتى بلغ بها نيفا وتسعين، وفاتهما أن يفرقا بين ما جاء من تلك الألفاظ على أنه اسم وما ورد على أنه وصف ويتضح ذلك لك على سبيل التمثيل في عدهما من الأسماء لفظ قرآن ولفظ كريم أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، كما عدا من الأسماء لفظ ذكر ولفظ مبارك اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، على حين أن لفظ قرآن وذكر في الآيتين مقبول كونهما اسمين، أما لفظ كريم ومبارك فلا شك أنهما وصفان كما ترى، والخطب في ذلك سهل يسير.

إطلاق القرآن على الكل وعلى أبعاضه

إطلاق القرآن على الكل وعلى أبعاضه، لا شك أن القرآن يطلق على الكل وعلى أبعاضه. فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله إنه قرأ قرآناً، وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه: إنه قرأ قرآناً، وكذلك يطلق على المكتوب في الصحف وبالألواح، وعلى المحفوظ في الصدور، فهو مشترك لفظي لا يتبادر إلى الذهن غيره إذا قلت "قرآن" وما يتبادر إلى الذهن نسميه: أمانة الحقيقة.

تعريف القرآن في الإصطلاح

تعريف القرآن في الإصطلاح، هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المُفتَّح بسورة الفاتحة، والمُنْتَهِي بسورة الناس، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا بالتواتر. أو تعريفه مختصراً: هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه.

عقيدتنا في القرآن الكريم

عقيدتنا في القرآن الكريم، وقد عرف أئمة السلف القرآن تعريفاً عقدياً يُرد به على الجهمية وأتباعهم، كما جاء في العقيدة الطحاوية: "وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية، قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلامِ البرية. فمن سمعه، فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر" ١٣ انتهى.

ولذا قال السلف: "القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود" ١٤، ومهما تتقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه، فالقرآن كلام الله تعالى هو أحب ما يُتقرب به إلى الله، منه خرج وإليه يعود، ولذا فالقرآن ليس بمخلوق كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق الأئمة من أهل السنة الجماعة؛ لأن القرآن من علم الله تعالى، وعلم الله عز وجل لا يكون مخلوقاً، تعالى الله عز وجل عن ذلك، دل على ذلك القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقول أئمة المسلمين رحمة الله تعالى عليهم، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمية عند العلماء كافرة.

وأما سبب قول من قال عن القرآن أنه مخلوق كالجهمية فهو نفیهم كل الصفات عن الله وزعمهم أن الصفات لا تقوم إلا بالحوادث (المخلوقات) ووضعوا لذلك قاعدة مبنية على مغالطات عقلية طوعوا لأجلها كل النصوص النقلية، وأسموها " دليل الحدوث"، ثم نزلوا بهذا المعول على كتاب الله، فكل آية حرفوا معناها حتى تتناسب مع عقلهم، فحرفوا المعنى وطوعوا النقل للعقل. ثم لا اشكال أن يكيلوا بمكيالين، ويخالفوا عقيدتهم التي لا تأخذ بحديث الأحاد في العقائد، كما زعموا، فإذ بهم يستندون إلى ما صح من حديث الأحاد كما جاء عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَأَطْمَأَنْتُ نَهَارَكَ) ١٥. ومن ذلك أيضاً الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً

١٣ متن العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: (٧)

١٤ منه بدأ، يعني صدر منه قولاً وسمعه جبريل، ونزل به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وإليه يعود في آخر الزمان، بحيث يُرفع من الصدور والمصاحف، كما جاءت بذلك السنة.

١٥ رواه ابن ماجه (٣٧٨١) وصححه البوصيري في الزوائد، وابن حجر في "المطالب العالية" (٦٦/٤)، وقال الألباني في ضعيف ابن ماجه: ضعيف يحتمل التحسين. وحسنه من حديث أبي هريرة في "السلسلة الصحيحة" (2829)

لأصحابه^{١٦}. والحديث الذي رواه الإمام أحمد: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَّامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعَنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعَنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ)^{١٧}. وروى ابن حبان في صحيحه عن جابر عن النبي ﷺ قال: (الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدَّقٌ مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ)^{١٨}.

وكل هذه الأحاديث لا تدل على أن القرآن مخلوق، لأن المراد منها ثوابُ أعمال الفرد نفسه هي التي تأتيه. فعمله في رمضان هو **الصيام** وعمله بالقرآن هو **قراءته** وتدبره، فيأتيه ثوابُ عمله هذا أي الصيام (صيامه) والقرآن (أي قراءته للقرآن) يأتيه يوم القيامة شفيحاً له. ولم يفهم أئمة السلف هذه الأحاديث إلا بأن المراد منها الثواب والأعمال، فقله (تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان)^{١٩} أي أن ثوابهما يأتي قارئهما حتى يظله يوم القيامة، ويأتي ثوابه الرجل في قبره، ويأتي الرجل يوم القيامة حتى يجادل عنه.

ونترك الرد عليهم ممن روى هذه الأحاديث:

فهذا الإمام ابن حبان يعقب بعد تخريج هذا الحديث في صحيحه فيقول: "هذا خبر يوهم لفظه من جهل صناعة العلم أن القرآن مجعول مربوب وليس كذلك لكن لفظه مما نقول في كتبنا إن العرب في لغتها تطلق اسم الشيء على سببه كما تطلق اسم السبب على الشيء فلما كان العمل بالقرآن قاد صاحبه إلى الجنة أطلق اسم ذلك الشيء الذي هو العمل بالقرآن على سببه الذي هو القرآن لا أن القرآن يكون مخلوقاً"^{٢٠} وقوله: (ماحل مصدق) أي: خَصْمٌ مجادل مصدق.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل والذي هو نفسه روى حديث شفاعة القرآن يوم القيامة، حين ناظر الجهمية فإنهم احتجوا عليه بأن من يأتي ويجيء هو المخلوق، فأجابهم " بأن الله تعالى قد وصف نفسه أيضاً بالمجيء والإتيان كما في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقد عارض ومنع شيخ الإسلام ابن تيمية، مقدمة الدليل عند المعتزلة، وحاجهم بما يؤمنون، فقال: "ومع هذا فلم يكن هذا دليلاً على أنه مخلوق بالاتفاق، بل قد يقول القائل جاء أمره، وهكذا تقوله المعتزلة الذين يقولون القرآن مخلوق، يتأولون هذه الآية على أن المراد بمجيئه مجيء أمره، فلم لا يجوز أن يتأول مجيء القرآن على مجيء

١٦ صحيح مسلم - الطبعة التركية (١٩٧/٢)

١٧ مسند الإمام أحمد - طبعة الرسالة (١٩٩/١١)

١٨ صححه الألباني في "الصحيح" (٢٠١٩)، وأعله الدارقطني في "العلل" (١٠٢/٥) بالوقف على ابن مسعود.

١٩ مجموع الفتاوى بن تيمية (٣٩٨/٥)

٢٠ صحيح ابن حبان (٣٣٢/١)

ثوابه، ويكون المراد بقوله (تجىء البقرة وآل عمران) بمجيء ثوابها، وثوابها مخلوق! وقد ذكر هذا المعنى غير واحد، وبينوا أن المراد بقوله (تجىء البقرة وآل عمران) أي: ثوابهما، ليجيبوا الجهمية الذين احتجوا بمجيء القرآن وإتيانه على أنه مخلوق " ٢١ .

وقال أيضًا: "وأحمد وغيره من أئمة السنة فسروا هذا الحديث بأن المراد به مجيء ثواب البقرة وآل عمران، كما ذكر مثل ذلك من مجيء الأعمال في القبر وفي القيامة، والمراد منه ثواب الأعمال، والنبي ﷺ قال: (اقروا البقرة وآل عمران فانهما يجيئان يوم القيامة كأنهما غيايتان أو غمامتان أو فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما) وهذا الحديث في الصحيح، فلما أمر بقراءتهما، وذكر مجيئهما يحاجان عن القارئ، علم أنه أراد بذلك قراءة القارئ لهما، وهو عمله، وأخبر بمجيء عمله الذي هو التلاوة لهما في الصورة التي ذكرها، كما أخبر بمجيء غير ذلك من الأعمال " ٢٢ .

يتبين مما سبق أنه لا يصح الاستدلال بهذه الأحاديث على خلق القرآن؛ لأن المقصود بها ثواب قراءة القرآن، كما أن المقصود بقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، أي أنه يرى ثواب الخير ٢٣ .

وهنا كذلك لطيفة ننوه عليها وهي قول البعض "يا رب القرآن"، فهل يجوز هذا أم لا يجوز؟ لأننا عرفنا أن القرآن كلام الله وهو صفة من صفاته، وصفاته كذاته سبحانه ليست مخلوقة؛ فلا يصح بهذا المعنى أن يقال يا رب القرآن. إلا إذا قصد القائل بقوله (يا رب القرآن) أي يا صاحب القرآن كما يقال يا صاحب العزة والجلال ونحو ذلك فلا بأس.

ولا يصح القول إن القرآن قديم، لا يصح هذا، ولم يثبت عن سلف الأمة، ونحن نقول ان القرآن كلام الله لا خالق ولا مخلوق ولم يقل أحد من سلف الأمة أن القرآن قديم. وصفة كلام الله ذاتية وفعلية، أي أننا نفرق بين جنس الكلام الأزلي القديم، وبين ما شاء الله وتكلم به كيفما شاء ووقتما شاء من الكلام المعين كندائه لموسى وخطابه لمحمد صلى الله عليهما وسلم.

فالله لم يزل ولا يزال متكلمًا، فجنس الكلام قديم ذاتي، لكن كذلك من كلام الله ما يتعلق بمشيئته، فبتكلم متى شاء بما شاء كيفما شاء ولمن شاء.

٢١ مجموع الفتاوى، لابن تيمية. تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ٨/٤٠٨-٤٠٩.
٢٢ مجموع الفتاوى، (٣٩٨/٥).
٢٣ شبهة في خلق القرآن / 91306/answers/ar/islamqa.info

فكأننا نقول ان كلام الله (جنس الكلام قديم)، بينما كلامه المُعين ككلامه بالقرآن معلق بمشيتته سبحانه، يتكلم به كيفما ومتى شاء. فلا نقول إن القرآن أو وحيه إلى أنبيائه قديم أزلي؛ بل الله يكلم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم، فهذا لم يكن أزلياً قديماً بقديم الله، وإن كان الله لم يزل متكلماً إذا شاء. والأولى عدم الخوض في هذا حتى لا يوقع المسلم نفسه في محذور فهمها جال بالخاطر فالله غير ذلك، وكيفية هذا لله وليست لنا، وأقصى ما نقول ببشريتنا: أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء.

وهكذا نسوق عقيدتنا في القرآن الكريم، ونعرج معها على شبهات هؤلاء المخالفين، نوردها ونورد الأصل والصواب والرد عليها.

ومن شأن المصنفين والمحاضرين في أي شيء يتعلق بهذا الدين من أهل السنة والجماعة أن يذكر بما تتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار وأهل البدع، في كل محفل وكل محاضرة، ويذكروا الناس بإثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يُرى في الآخرة خلافاً للجهمية من المعتزلة، وأن الله خالق أفعال العباد، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خلافاً للقدرية من المعتزلة، وأن المؤمن لا يُكفَّر بمجرد الذنب ولا يُخَلَّد في النار خلافاً للخوارج والمعتزلة ويحققون القول في الإيمان بقوة ووضوح وهي الإيمان بأركانه الستة (ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملاً) خلافاً للمرجئة ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافاً للشيعة من الرافضة وغيرهم.

وهذا الكلام لم ينقض عصره، فهذه الأمور كلها متنازع عليها اليوم، وستجد وسائل التواصل منبر كل جاهل ينتف من الكتب ومن أقوال المبتدعة نتف من هنا وهنا ويعيد كل هذا ويُشغب به على المسلمين، فيجب أن تكون واعٍ ممسك بزمام العقيدة متنبه لهؤلاء، عالماً بكيفية الرد عليهم وإقامة الحجة.

وهذا فرض كفاية على كل داعية، أما الأصل الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم، فنختم بما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري: "والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه، والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، ثم السكوت عما وراء ذلك"^{٢٤}.

٢٤ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ. (٤٥٥/١٣).

الوحي ومصدرية القرآن الكريم

نزول القرآن الكريم

أين كان القرآن الكريم قبل نزوله وتنزيله؟

كان في اللوح المحفوظ، ودليله قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٥١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٥٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، فكتاب الله القرآن الكريم حُفِظَ كِتَابَةً فِي اللّوْحِ المَحْفُوظِ الَّذِي أودع الله - عز وجل - كلَّ شيء فيه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَضَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القم: ٥٣]، فحُفِظَ فِي اللّوْحِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَى الْأَرْضِ.

واللوح المحفوظ هو كتاب الله الذي كتب الله فيه كلَّ شيء، ففيه الأحكام ومقاديرُ الخلائق التي كانت في علم الله، ولم يزل الله عالماً بها.

تجري الأحكام على ما سطره القلم في هذا اللوح من نسخٍ وثبوتٍ وإمضاءٍ ورديٍّ؛ ودليله كذلك قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]، مرةً أخرى يؤكد الله ﷻ أن ما نزل من الوحي نجوماً جميعه كان في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ.

إذن، بدأ الحفظ من قبل أن يوحى القرآن للنبي ﷺ على الأرض، وبدأ الحفظ حتى قبل أن ينزل إلى السماء الدنيا (إن جاز أن نسميه النزول والتنزل الثاني)، فقد بدأ الحفظ منذ النزول الأول، منذ أن كتب القلم في اللوح المحفوظ، فانفرد هذا الكتاب بشهادته لنفسه بحفظ الله وعنايته في اللوح المحفوظ قبل أن ينزله إلى السماء الدنيا.

ما هي مراحل نزول القرآن الكريم؟

نعرف للقران الكريم نزولين:

١. نزول الجملة: وهو النزول الأول. نزول القرآن الكريم أولاً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة بعد أن كان على مواقع النجوم.
٢. ونزول التفريق: وهو النزول الثاني، من الله إلى جبريل إلى النبي ﷺ مفرقاً ومنجماً على مدار ثلاثة وعشرين سنة.

وأجمع العلماء على أن القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ منجماً مفرقاً من وقت بعثته الى وقت وفاته بغير سبب وهو أكثر القرآن وأحياناً أخرى ينزل مرتباً بالأحداث والوقائع والأسباب. وجاء في تفصيل المرحلتين،

الحديث الذي رواه النسائي في سننه الكبرى بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نُزِّل بعد ذلك في عشرين سنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْتِكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. فعرفنا أن هذا التنزيل الثاني غير النزول الأول إلى السماء الدنيا، فالمراد به نزوله مُنَجَّمًا.

وقد ورد في ذلك أكثر من ثلاثة عشر أثراً، ووجه الاستدلال بهذه الآثار وإن كانت في جملتها موقوفة على ابن عباس رضي الله عنه، فإن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ؛ لأن قول الصحابي الذي لا يأخذ عن الإسرائيليات فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع إلى النبي، وابن عباس لن يقول هذا بهذا التفصيل والتحديد بمحض رأيه ومن عند نفسه، فهو إذن محمول على سماعه من النبي ﷺ أو ممن سمعه من الصحابة، والصحابة كلهم عدول.

تفصيل مراحل النزول

١- المرحلة الأولى: نزول القرآن الكريم جملة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في ليلة القدر من شهر رمضان، ونزل على مواقع النجوم، ونزل به الملائكة الكرام البررة، فهو ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ودليل ذلك مما جاء في الأثر الثابت من عدة طرقٍ عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً عليه: "فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرِثْلِهِ تَرْتِيلًا" ٢٥. انتهى

وفي رواية قال ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: "﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا كان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. انتهى. وهذا الأثر هو الوحيد في إثبات هذا النوع من النزول، وهو أثر ثابت لا مطعن فيه من جهة الإسناد، ولا يعرف عند المتقدمين تضعيف لهذا الأثر أو رده لا من جهة السند أو المتن، وقد صححه جمع من العلماء، منهم: الحاكم، والنحاس، وأبو شامة، وابن كثير، وابن حجر، والسيوطي. قال النحاس رحمه الله: " وهذا إسناد لا يدفع" ٢٧ انتهى ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد عزوه للحاكم رحمه الله: " وإسناده صحيح" ٢٨ انتهى، وهذا

٢٥ اسناده صحيح، وأخرجه: ابن أبي شيبه (١٤٤ / ٦)، والنسائي في الكبرى (٢٤٧ / ٧)، والحاكم (٢٤٢ / ٢) (٢٨٨١) (٦٦٧ / ٢) (٤٢١٦)، والطبراني في الكبير (١٢ / ٣٢) (١٢٣٨١) (١٢٣٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧١ / ١) ٤٩٦.
٢٦ أخرجه: الحاكم في المستدرک (٢٤٢ / ٢) (٢٨٧٨)، (٥٧٨ / ٢) (٣٩٥٨) و صححه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٦٩ / ١) (٤٩٥)، وفي السنن الكبرى (٤٠٤ / ٤) (٨٥٢١)، وفي شعب الإیمان (٢٥٣ / ٥) (٣٣٨٦)، وفي فضائل الأوقات (ص: ٢١٤) ٨١.
٢٧ معاني القرآن للنحاس (٦ / ٣٩٥)
٢٨ فتح الباري (٤ / ٩)

ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فدلت هذه الآثار والآيات على أن:

١. القرآن فصل عن اللوح المحفوظ؛
٢. ثم أنزل جملة واجدة في ليلة القدر؛
٣. وأن النزول إلى السماء الدنيا نزول تشريفي لا تكليفي؛
٤. كذلك كان ابتداء نزول القرآن في رمضان، في ليلة القدر؛
٥. وسنعرف أن معارضة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ بالقران الذي كان ينزل على النبي طيلة العام كانت في رمضان.

وأصبح للقرآن مكانين أو وجودين يُحفظ فيهما في السماوات:

أولهما: في اللوح المحفوظ، والثاني: في السماء الدنيا، قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [إنه، لقرءان كريم ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠]، فيؤكد الله تعالى وصفه بكونه في كتاب مكنون ينزل إلى السماء الدنيا بأيدي الملائكة، تمسُّه أيديهم الطاهرة ولا يمسه شيطان ولا نجس، فحفظه الله في السماء الدنيا.

المستفاد من نزول القران جملة (النزول التشريفي):

- تعظيم شأن الرسول عند الملائكة.
- تعظيم شأن هذا الكتاب بين ملائكة السماوات.
- تعظيم شأن الأمة التي أنزل عليها عند الملائكة^{٢٩}.

وهكذا فقد جمع الله للقرآن نزولين، جملة واحدة والنزول مفرق، بينما لم يجتمع للكتب السابقة إلا أحد النزولين إما جملة وإما مفرقا؛ وفي اجتماع الصفتين معا تميز للقران الكريم ولمن نزل عليه ولمن نزل إليهم، والله أعلم بحكمته وأمره.

٢٩ الأمة التي وُصفت في كتب النصارى بأمة الملوكوت.

٢- المرحلة الثانية: نزول (تنزل) القرآن منجماً - أي مفزقاً - من الله، يسمعه جبريل عليه السلام من الله فينزل به على قلب النبي ﷺ على مدار ثلاث وعشرين سنة^{٣٠}. وهذا هو النزول التكليفي. ودليله قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشعراء: ١٩٢-١٩٥﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٣٧﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿الشعراء: ٢١٠-٢١١﴾، فحفظه الله أثناء تنزيله، حتى من الشياطين، بينما الشياطين أن اقتربت ستجد الحرس الشديد والشهب بانظارها. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿الجن: ٨-١٠﴾. وقال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْحَظْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات: ٧-١٠]. ويقول تعالى: ﴿كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿البقرة: ٩٧﴾﴾.

حكمة نزول القرآن منجماً (مفزقاً)

وكان لنزول القرآن الكريم مفزقاً على قلب النبي ﷺ حكم كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي:

- **تثبيت قلب النبي ﷺ:** قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].
- **تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه:** قال عمر رضي الله عنه: "تعلّموا القرآن خمس آياتٍ، خمس آياتٍ، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً، خمساً"^{٣١} انتهى، فكانوا يعلمونهم خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ويقولون هكذا أنزل القرآن وقد قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]. الله يُربي المسلمين تربية ربانية تعليمية على كيفية تعلم كتابه، وقد قال الله لنبيه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: ٦]. فكان يحفظ الآيات، ثم يقرؤها لأصحابه ويأمر بكتابتها ويراجعها معهم فتثبت فإذن هو تيسير للحفظ، وتيسير للفهم والعمل به.
- **التدرج في التشريع، وتربية الأمة الجديدة:** ويبدأ بالأهم فالمهم، فأول ما نزل: أصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار، ثم نزل الأمر بمحاسن الأخلاق، ثم نزلت الأحكام والتشريعات، والحلال والحرام. ومثال هذا التدرج: التدرج في تحريم الخمر، فقد نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧]. فمايز الله

٣٠ اختلف في مدة نزول القرآن منجماً على الرسول ﷺ- تبعاً للاختلاف في مدة بعثة الرسول ﷺ- وهو في مكة، فقيل: عشرين سنة، وقيل: ثلاث وعشرين سنة، وقيل: خمس وعشرين سنة.

٣١ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

بين أمرين أحدهما حسن وهو كونه رزق، والآخر لم يوصف بالحسن وهو السكر، إشارة إلى ذم الخمر، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. فقارنت الآية بين منافع الخمر الوقتية، وبين إثمها وضررها الكبير في تعاطيها، فهذا تنفير من الخمر بترويج المضار على المنافع، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]. فعرفوا تحريمه وقت الصلوات ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. وقد جاء بيان هذا التدرج صريحاً من أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها، حيث قالت: (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)^{٣٢}

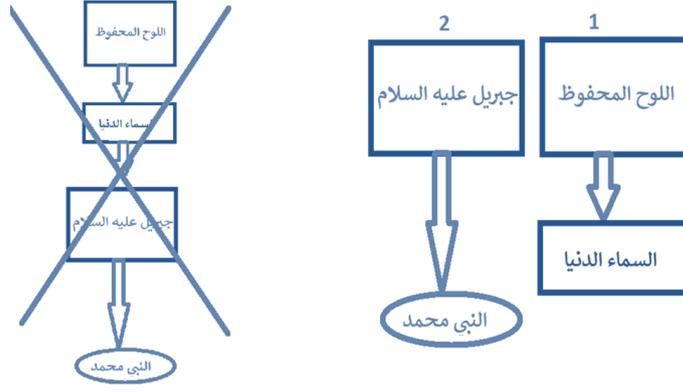
- مسايرة الحوادث: فتأتي الآيات مطابقة لمقتضى الحال، ومناسبة للمقام، فهو ينزله على كل حادثة مسائراً لكل حدث طيلة الثلاثة والعشرين عاماً، وكما قال عبد الله بن عباس: "فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً، أحدث الله لهم جواباً"^{٣٣}. وكذلك كان ينزل بالدواء والتوجيه والتربية للمسلمين كلما حزبهام أمر من الشهوات والشبهات، أو سألوا عنه.
- إثبات أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وليس من عند محمد - ﷺ، وهذا من ثلاثة أوجه:

١. أنه نزل منجماً طيلة ثلاث وعشرين عاماً، حسب الأحداث، وهو مع ذلك لا يتغير أسلوبه ولا نظمه، كما هو، حسن التأليف منسق في نظمه ومعناه، مما يدل على وحدة المصدر، واستحالة أن يكون قد أخذه النبي ﷺ عن أحد.
٢. الوجه الثاني دعواه واحدة أولاً وأخراً، متدرجة في أحكامها لا فصام ولا انفصام بينها.
٣. والوجه الثالث: أن يتحدى العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة، بأن يعارضوه، ويأتوا بسورة من مثله، وهذا إثبات عملي على عجزهم. والتحدي به مُفَرَّقاً أقوى في الإعجاز، فمن يعجز عن أن يأتي بسورة مثله مُفَرَّقاً يعجز بالأولى عن الإتيان بمثله جملة واحدة.

سماع جبريل ﷺ من الله ﷻ

ونود التنبيه على أن النزولين للقران الكريم غير متصلين، كما هو موضح في الرسم (صورة ١)، لان محاولة الايهام بهذا قد يلجأ اليه القائلون بخلق القران الكريم الذي تكلمنا عنه سابقا، فهذا تفريع منه.

٣٢ صحيح البخاري - ط السلطانية - (١٨٥ / ٦)
٣٣ أخرج النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.



صورة (١): بيان التنزيلين إلى النبي عن جبريل عن الله

- فالنزول الأول (الجُملي) ليس نزولاً على النبي محمد، بل هو نزول تشريفي بين الملائكة لا تكليفي على أمة محمد ﷺ.
- بينما النزول الثاني (المُفرق) هو الذي نزل على النبي محمد ﷺ، وهو النزول التكليفي.

ونعني أنهما ليسا متصلين، أي لم ينزل القرآن من الله إلى اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا إلى جبريل إلى النبي، فهذا لا نقول به ولا دليل عليه من الوحي. بل هما منفصلان أي نزل أولاً جملة من الله إلى السماء الدنيا. ثم حين أوحى الله إلى نبيه ﷺ فإنه أسمع جبريل القرآن وكان جبريل عليه السلام يسمع من الله ويلقي على النبي فيسمع النبي من جبريل فيلقي على الأمة فتسمع الأمة من النبي محمد ﷺ. وقد أخطأ من نسب أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وقد نقل الإمام السيوطي رحمه الله بعض هذه الأقوال في كتابه الإتقان، ومنهم من قال إن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من السماء الدنيا من الملائكة، وهذا باب للخلط كما يرمي إلى ذلك القائلون بخلق القرآن، بل القول ما قال الله أنه نزل على جبريل عليه السلام، فسمعه جبريل من الله سبحانه، وسمعه النبي محمد ﷺ من جبريل عليه السلام. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، فكل قول مفاده أن هناك واسطة بين جبريل عليه السلام وبين الله فلا يعضده دليل ولا نقل. بل إن النقل على خلافه، وقد جاء في كتاب الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبا: ٢٣]، فيتكلم الله بالوحي ويسمعه من في السماوات وهم يرتعدون من هيئته. وجاء في الحديث عن سبب نزول هذه الآية عن النُّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوجِيَ بِالْأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعَفُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ

بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)٣٤. وقد أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بمصدره أنه حقيقي (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) إذا هذا التنزيل حقيقي ولا يمكن أن يكون مجازيًا.

وننقل تفصيل شيخ الإسلام ابن تيمية، بعد أن سرد كثير من الآيات، لما في تفصيله رحمه الله من حُجج نافعة في درء الشبهات: "فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَاللُّوْحِ وَالْهَوَاءِ فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ مُكَذِّبٌ لِكِتَابِ اللَّهِ. مُتَّبِعٌ لِغَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنْهُ وَمَا نَزَّلَهُ مِنْ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْمَطَرِ بِأَنَّ قَالَ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنعام: ٩٩]؟ فَذَكَرَ الْمَطَرُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ نَزَّلَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْقُرْآنُ أَخْبَرَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْهُ. وَأَخْبَرَ بِتَنْزِيلِ مُطْلَقٍ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] لِأَنَّ الْحَدِيدَ يُنَزَّلُ مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ لَا يُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ الْحَيَوَانَ؛ فَإِنَّ الذَّكَرَ يُنَزَّلُ الْمَاءُ فِي الْإِنَاثِ. فَلَمْ يَقُلْ فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ. وَلَوْ كَانَ جِبْرِيْلُ أَخَذَ الْقُرْآنَ مِنَ اللُّوْحِ الْمُحْفُوظِ لَكَانَ الْيَهُودُ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ لِمُوسَى التَّوْرَةَ بِيَدِهِ وَأَنْزَلَهَا مَكْتُوبَةً. فَيَكُونُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ فَرَّغُوا الْأَلْوَاخَ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَأَخَذُوهُ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُحَمَّدٌ أَخَذَهُ عَنْ جِبْرِيْلٍ وَجِبْرِيْلُ عَنْ اللُّوْحِ فَيَكُونُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِمَنْزِلَةِ جِبْرِيْلٍ وَتَكُونُ مَنْزِلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْفَعَ مِنْ مَنْزِلَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْلِ هَوْلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ مِنْ فَضَائِلِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ وَأَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ تِلَاوَةً لَا كِتَابَةً وَفَرَّقَهُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ. فَقَالَ: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. ثُمَّ إِنَّ كَانَ جِبْرِيْلُ لَمْ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّمَا وَجَدَهُ مَكْتُوبًا كَانَتْ الْعِبَارَةُ عِبَارَةَ جِبْرِيْلٍ وَكَانَ الْقُرْآنُ كَلَامَ جِبْرِيْلٍ تَرْجَمَ بِهِ عَنْ اللَّهِ. كَمَا يُتْرَجَمُ عَنِ الْأَخْرَسِ الَّذِي كَتَبَ كَلَامًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. وَهَذَا خِلَافُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ. وَإِنْ اخْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، قِيلَ لَهُ فَقَدْ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢]، فَالرَّسُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرَّسُولُ فِي الْأُخْرَى جِبْرِيْلُ فَلَوْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ الرَّسُولَ أَحَدَتْ عِبَارَتَهُ لَتَنَاقَضَ الْخَبْرَانِ. فَعَلِمَ أَنَّهُ أَضَافَهُ إِلَيْهِ إِضَافَةً تَبْلِيغٍ لَا إِضَافَةَ إِحْدَاثٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، وَلَمْ يَقُلْ مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ وَلَا رَيْبٌ أَنَّ الرَّسُولَ بَلَّغَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. فَكَانَ (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْسِمِ وَيَقُولُ: أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ لِأَبْلِغَ كَلَامَ رَبِّي فَإِنَّ فُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلِغَ كَلَامَ رَبِّي؟) وَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١-٢]، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا: هَذَا كَلَامُكَ أَمْ كَلَامُ صَاحِبِكَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِكَلَامِي وَلَا كَلَامَ صَاحِبِي، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ. ٣٥ انتهى.

٣٤ هذا الحديث رواه ابن أبي حاتم بسنده، كما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره.
٣٥ مجموع الفتاوى، ١٢ / ٥٢٠ - ٥٢٢.

فائدة: نُنبه على اخواننا وأخواتنا ممن فتح الله عليهم بحفظ كتاب الله، ويُجيزون الحفظة بالإجازات القرآنية، أن يُصححوا ما قد يكتبوه في الإجازات من سندها المتصل إلى رسول الله فيقولون عن رسول الله عن جبريل عن اللوح المحفوظ، بل هو عن رسول الله عن جبريل -بلا وسطة- عن الله، فأنت تأخذ القرآن بسندٍ من الله.

تفرد القرآن بشهادته لنفسه بالحفظ في السماء قبل الأرض مقارنة بالكتب المحرفة

- وهكذا انفردَ هذا الكتابُ بحِفْظِ الله له في اللوح المحفوظ وفي السماء الدنيا.
- ثم انفردَ القرآن الكريمُ بحِفْظِ الله له بعد الوحي على رسول الله في الأرض.
- ثم انفردَ باستمرار حِفْظِ الله له بتكفُّله بحِفْظِهِ إلى يوم الدين.

ولو طالبنا جميع أرباب الديانات الأخرى أن يُخرجوا من متن كُتُبِهِم التي ينسبونها لله عز وجل مثلَ هذه الشهاداتِ عن الحِفْظِ في السماء والأرض وإلى يوم العرْض لاستحال عليهم وأعيانهم ذلك؛ لينفرد ويتفرد القرآن وحده باحتوائه على شهادتهِ لِنَفْسِهِ بالحِفْظِ في السماء قبل الحِفْظِ على الأرض، بينما تتفرد كتب السابقين بشهادتها على نفسها بالتحريف والتبديل.

أما أدلة وإثبات الحِفْظِ على الأرض بعد نزول القرآن على نبيه، فهذا له محاضرة منفصلة في جمع القرآن الكريم ووثيقة نقله عبر القرون وإلى أن وصلنا اليوم.

فوائد:

١. نعلم أن اللوح المحفوظ فيه كل شيء.
٢. نعرف مرحلتي النزول ونتنبه لمغالطة المعاندين.
٣. ونفرق بين أنواع الحفظ الثلاثة.
٤. ونجزم أن الشيطان لا يمكن أن ينزل بالوحي.

هل هناك فرق بين النزول والتنزيل؟

من استعمال اللفظين (نَزَلَ) و(أُنزِلَ) في القرآن استدلل العلماء أن هناك فرقا بينهما في المعنى. فلفظ (نَزَلَ) يدل على تكرار النزول، بينما (أُنزِلَ) يدل على النزول مرة واحدة. فكان الخطاب القرآني في حق الكُتُب السابقة بكلمة "أُنزِلَ"، بينما كان في حق القرآن الكريم حين خاطب الله نبيه قال "نَزَلَ" بالتشديد. قال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]. وكذلك قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ﴾

يَا لَللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿النساء: ١٣٦﴾.

وقد ذُكر هذا التفريق بين النزول والتنزيل في كثير من كتب التفسير، مثل ما قال الإمام القرطبي في تفسيره، فقالوا كانت الكتب السماوية السابقة تنزل على الرسل جملة واحدة كما ذهب إلى ذلك جمهور المفسرين.

الإنجيل	التوراة	القرآن
أنزل نزولا	أنزل نزولا	نزل تنزيلا
عيسى	موسى	محمد

صورة (٢): الفرق بين نزل تنزيلا وأنزل نزولا

فقالوا إن نزل تنزيلا جاءت مع القرآن بينما أنزل نزولا جاءت مع التوراة والإنجيل. فعمموا هذه القاعدة وسموا بها النزول الأول إلى السماء الدنيا "نزولا" والنزول الثاني منجما ومفرقا من جبريل عليه السلام "تنزيلا"، وهذا التشديد يدل على أن القرآن نزل مفرقا منجما.

وهذا وإن كانت قاعدة أغلبية إلا أنها ليست قاعدة مضطرده، فنجد الدليل على خلاف ذلك، حين اعترض المشركون على نزول القرآن مفرقا فبين الله تعالى ذلك الاعتراض في القرآن، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، كذلك قال الله تعالى مع إنزال القرآن للنبي: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤]. فلا يُسلم إذن بهذه القاعدة على إطلاقها، وإن كانت ملحوظة في أغلب الآيات، لكن تأصيلها كقاعدة فيها من التكلف ما فيها، ويضع إشكاليات نحن في غنى عنها، وهذا نبينه حتى لا نستخدمها -على إطلاقٍ- بناء على ما قد تقرأ في بعض التفاسير دون أن تنتبه إلى هذا.

وقد بين أبو حيان في تفسيره تفصيل هذا الذي وقع فيه المفسرون، وأنه أغلبي لا على إطلاقه، فليطالع هناك^{٣٦}.

٣٦ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ. ١/١٦٧-١٦٨

أسباب النزول

أسباب النزول من القضايا التي زلت فيها أقدام. والوقوف على أصلها واصطلاحاتها أمر ضروري وهام يجدر بك كمقارن للأديان الوقوف عليه. لان اصطلاح المتأخرين لأسباب النزول، يختلف عن اصطلاح المتقدمين؛ فالمصطلحات أحياناً دلالتها عند المتقدمين أوسع من دلالتها عند السلف وهذا يظهر في عديد من المواضيع، كمفهوم النسخ، ومثل مفهوم أسباب النزول. ولذا فسنشرع في تحرير المصطلحات وبيان الفرق بين مفهومها عند السلف وعند المتأخرين.

اصطلاح سبب النزول عند المتأخرين

تعريفه: ما نزل قرآن بشأنه وقت نزوله كحادثة أو سؤال. وهذا التعريف يعني سبب النزول المباشر للآية. وقولهم وقت نزوله، هذا قيد حتى لا يدخل فيه ما نزل من قصص قبل البعثة مثل سورة الفيل فهي لم تنزل بسبب حادثة الفيل، وعلى هذا كل قصص الأنبياء السابقين.

وبالتالي فيكون نزول القرآن على حسب السبب المباشر، قسمين:

١. قسم نزل ابتداء غير مرتبط بسبب مباشر.
٢. وقسم نزل عقب سبب مباشر (واقعة أو سؤال).

وأهمية معرفة سبب النزول المباشر: فهم الآية، وترسيخ معناها في الأذهان، ودفع الإشكالات عنها، فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. مثاله قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾ [البقرة: ١١٥]، قد يقرأ بعض الناس هذه الآية، ويظن أنه إذا صلى إلى أي جهة غير القبلة، فصلاته صحيحة مقبولة، كما يزعم القرآنيون! لكن الواقع أن هذه الآية نزلت لما اجتهد بعض الصحابة وأخطأوا في القبلة. فبينت الآية أن صلاتهم صحيحة وهذا هو الحكم المستنبط من هذه الآية بناء على السبب.

وأما الطريق التي يُعرف بها سبب النزول المباشر: فهو الوحي، السماعي المنقول، كأن يُصرح الصحابي بالتنزيل أو بقول النبي ﷺ: "أنزل عليّ اليوم" وغير ذلك، أو أن يذكر الحديث ثم يأتي بعدها بفاء التعقيب التي تدل على النزول؛ فلا يجوز القول في سبب النزول المباشر هذا لا بالرأي، ولا بالهوى، ولا مجال للاجتهاد فيها. ولا يحل القول فيها إلا بالرواية والسماع.

تحرير مصطلح " أسباب النزول " عند السلف

لم يكن الصحابة والتابعون يُسمون مصطلح أسباب النزول أو يُعرفونه، بما نعرفه به اليوم؛ أي لم يكن عندهم مفهوم أن للآية سبباً مباشراً للنزول. وإنما ظهر هذا المفهوم الاصطلاحي متأخراً.

"السبب" في اللغة هو ما يتوصل به إلى شيء. وقد حصر المتأخرون السبب كما عرفنا في السبب المباشر للنزول، أي ما يتوصل به إلى الواقعة أو الحادثة التي لأجلها نزلت الآية. بينما استخدمه العلماء السابقون من الصحابة والتابعين في كل ما يتوصل به إلى معنى الآية وهذا يشمل السبب المباشر والتفسير وغير ذلك.

وأما تعبير السلف عن هذه الحالات فيقولون:

١. أنزلت الآية في فلان (تنزيلاً على الواقع)؛

٢. أنزلت الآية في كذا (استدلالاً)؛

٣. أنزلت الآية في كذا (يريدون المعنى)؛

٤. قصة الآية هي (بالوحي/نقلى)؛

٥. التصريح بالسبب المباشر أو ذكر الحديث متبوعاً بفاء التعقيب (نقلى).

ثم انبنى على ذلك أن جاء المتأخرون أو المتتبعون للشبهات واتهموا السلف، فعندهم الصحابي قد يكون وهم أو التابعي قد يكون وهم في نسبة هذا السبب لهذه الآية. والحقيقة هي ما عرفناه من أن الصحابة والتابعين لم يحصروا معنى سبب النزول في السبب المباشر (الحادثة والواقعة) وأن الحصر اصطلاح متأخر. وإنما ذهل المتأخرون عن فهم ذلك، وضيقوا المعنى الواسع المتقدم على المعنى المُحدَث المولّد. ثم انهم -أي المتأخريين- عمدوا إلى ما عند الصحابة من اجتهاد في فهم الآيات، وما هو في حقيقته اختلاف تنوع، وعدوه إشكالاً لا يمكن الخروج منه إلا بأحد طريقتين:

- إما بالقول بتعدد النزول.
- وإما بإجراء الجرح والتعديل في روايات صحيحة مسلمة.

أمثلة على معاني أسباب النزول الخمسة عند السلف

مثال على سبب نزول الآية (سبب مباشر):

مثال على ما كان منهم تفسيراً للآية، كما روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قَالَ جَاءَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ «أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلْفَكَ». قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ، أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ فَقَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٢٨]، هذه الآية لم تنزل بسبب هذا الحديث وإنما هنا جمع الصحابي بين الحديث ودلالة الآية هذا تفسير.

مثال على قصة الآية

مثال لتنزيل الآية على الواقع: كأن يقولوا نزلت في القدرية أو الخوارج أو الحرورية، كقول محمد بن سيرين يقول في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُضَرَّفُونَ﴾ [غافر: ٦٩] إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فإني لا أدري فيمن نزلت؟ كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَنَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] قال المغيرة بن شعبة نزلت في قتل عثمان.

السبب	سبب النزول عند المتقدمين	سبب النزول عند المتأخرين
ما يتوصل به إلى شيء	ما يتوصل به إلى شيء	ما يتوصل به إلى شيء
سبب النزول	ما يتوصل به إلى معنى الآية وتفسيرها، أي فهمنا لتنزيل الله للآية يشمل: ١- إما سبب مباشر (سؤال أو حادثة) - نقلي ٢- وإما من قصة الآية- نقلي ٣- وإما من معناها وتفسيرها - اجتهادي ٤- وإما بتنزيلها على الواقع- اجتهادي ٥- أو الاستدلال بها على أمر ما - اجتهادي	ما يتوصل به إلى الواقعة أو الحادثة التي لأجلها نزلت الآية (أي سبب إنزال الله للآية) ١- سبب مباشر (سؤال أو حادثة) - نقلي
الطريق	نقلي (بالوحي) إذا كان سبباً مباشراً أو قصة أو بياناً أوضحه النبي، وعقلي إن كان تفسيراً وتنزيلاً واستدلالاً (فهم واجتهاد) بأدوات الاجتهاد (اختلاف تنوع).	السبب المباشر لا يكون إلا نقلي.

اهتمام الأمة بدقائق النزول التكليفي

لم يكن هناك مقدار معين لما ينزل من القرآن، فقد تنزل:

- سورة كاملة،
- وسورتان كالمعوذتين نزلت معاً،
- وبضع آيات، وآية واحدة،
- وأحياناً جزء من آية مثل ﴿غَيْرِ أُولَى الصَّرِيحِ﴾ [النساء: ٩٥] نزلت لوحدها، ومثل (مِنَ الْفَجْرِ) في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] قالوا لما نزلت بدون (مِنَ الْفَجْرِ) أشكل على بعض الصحابة واستعمل خيطاً أبيضاً وخيطاً أسوداً، فنزلت (مِنَ الْفَجْرِ) لتوضح أن المراد بياض النهار وسواد الليل.

وانظر كيف اهتموا بدقائق النزول وتفصيلاته، في كل آية منه وكل سورة.

فأول ما نزل من القرآن على رسول الله: هن أول خمس آيات من سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ١-٥]، على الأشهر، ونزلت عليه في غار حراء.

وما هو أول يوم نزل فيه القرآن؟ يوم الاثنين ولذلك نصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، وقد سئل النبي ﷺ عن صيام يوم الاثنين، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، قال: (فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنزِلَ عَلَيَّ) ^{٣٧}

وأخر ما نزل: ﴿وَأَنْتُمْ أَيُّومًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وعلى خلاف في ذلك.

وقالوا أكثر نزول القرآن في النهار حضري (وحضري اي عكس السفر)، وقد نزل يسيراً منه في السفر وقليلاً منه في الليل، ومما نزل في الليل سورة المنافقون، وكذلك المعوذتان، فعن عقبة بن عامر الجهني قال: "قال رسول الله ﷺ: (أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾) ^{٣٨}، ومما نزل في الليل كذلك آية المائدة ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

٣٧ صحيح مسلم - ط التركية (١٦٨/٣)
٣٨ صحيح مسلم (٥٥٨/١) حديث رقم ٨١٤

وفي نزول الآيات الصيفية والشتائية: الصيفي، كما قال رجلٌ من المنافقين: لا تفرُّوا في الحرِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١]، ومن الآيات التي نزلت في الشتاء خمسة عشر آية من سورة النور من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١]، وإلى قوله: ﴿وَرَزَقُ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]، وكذلك أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكَلَالَةِ آيَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا فِي الشتاء وَهِيَ الَّتِي فِي أَوَّلِ النَّسَاءِ ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً﴾ [النساء: ١٢]، وَالْأُخْرَى فِي الصَّيْفِ وَهِيَ الَّتِي فِي آخِرِهَا ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. ومنها ما نزل في السماء وما نزل في الأرض، أما في السماء فهو ليلة أسري بالنبى وانتهى إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وفيه "أُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ"^{٣٩} انتهى. وَأَمَّا مَا نَزَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ فَسُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنَ الْقُرْآنِ مَا تَكَرَّرَ نُزُولُهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ وَتَذْكَيرًا عِنْدَ حُدُوثِ سَبَبِهِ خَوْفَ نِسْيَانِهِ. مِثْلَ آيَةِ الرُّوحِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤].

وهنا سور نزلت في مكة ثم نزلت مرة أخرى في المدينة، سورة الإسراء وهود ومكيتان وَسَبَبُ نُزُولِهِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا نَزَلَتَا بِالْمَدِينَةِ وَلِهَذَا أَشْكَلَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَلَا إِشْكَالَ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ قَالَ: وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مِنْ أَنَّهَا جَوَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ وَجَوَابٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ بِالْمَدِينَةِ. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فَصَلَ فِيهِ الْإِمَامُ السِّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ.

فهل يوجد كتابٌ في الكون كله حظي بمثل هذه العناية ولا بقريب منها، وهذا تحقيق لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ثم قارن ما سبق من تفصيل واهتمام وعناية بما عند أهل الكتاب، فأنت تفصل في نزول وكتابة آيات وأوقاتها وأماكنها، بينما هم لا يعرفون أين ذهب الكتاب ككل ولا أين اختفت لغته! وقارن هذا بحال أهل الكتاب الذين فقدوا كتابهم كله ووجدوا ترجمة يونانية في القرن الميلادي الرابع لا يعرفون من ترجمها ولا متى كما قال القديس جيروم في آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس.

أهمية الوحي

الوحي هو أساس الدين كله فثبتت الوحي تتأكد مصدريّة القرآن الكريم وتثبت صدق نبوة محمد ﷺ وتثبت الشريعة كلها، وتسقط بالتبعية كل الشبهات عن الوحي والنبوة. بذلك: - إذا ثبت الوحي ثبتت النبوة، وإذا انتفى الوحي انتفت النبوة.

٣٩ تفسير النيسابوري - غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٩٥/٢)

وقولنا إن الوحي هو أساس الدين كله ينطبق على أي دين في الوجود يزعم نسبته إلى الخالق. ولذا فإن المناظرة حول الوحي، اثباتاً ونفيًا، مع الكتابي: مسيحي ويهودي، باحث أو مستشرق أو مُنصّر، لا بد أن يكون عن طريق أركان الوحي. وأركان الوحي ثابتة للجميع.

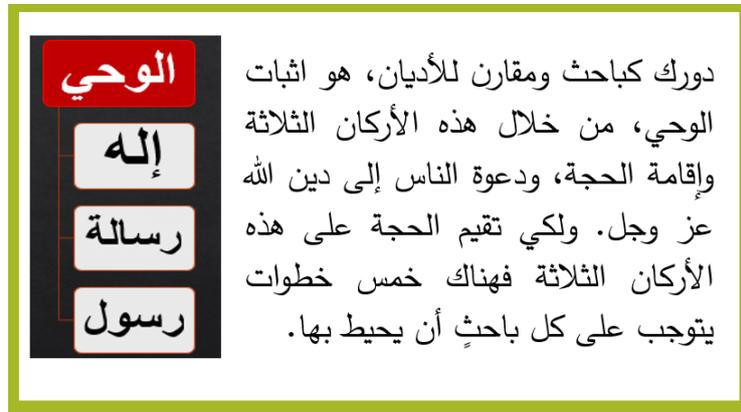
وللحديث عن الوحي مستويان، الأول وهو الذي يختص بكتابتنا وهو التأصيل والإفهام، والمستوى الثاني أكثر تخصصاً وعمقاً وهو التعرف على مدارس الاستشراق وإقامة الحجج في مناظرة المستشرقين وأذيالهم.

وأهم شيء يحتاج إليه الباحث - وخاصة في باب المناظرة والجدل- أن يُحيط في باب الوحي بكل جوانبه إسلامياً، حتى يُمكنه استخراج المغالطات التي قد يُسطرها المستشرقون ورساليات التنصير، فيكون استخراجها والوقوف عليها سليقة إذا ما سمع أحدهم يُلقى بشبهته على الوحي. فإذا ما وقف المحاور على مكن المغالطة - وغالبها في المقدمات- فإنه يستوقف المنكر، ويمنع مقدماته، إما بطلب الدليل عليها وإما بنقضها فوراً: توقف! ويعاجله بطلب الدليل: " هذه النقطة التي بنيت عليها مقدمتك، لا نقول بها كمسلمين، فأين دليلك عليها؟". وهنا تنتهي المناظرة قبل أن تبدأ بالانقطاع، ينقطع المحاور عند عجزه عن الإتيان بالدليل.

أركان الوحي

يُمكن لأي أحد أن يستنبط أركان الوحي عقلاً. إذا سألت عنها اليهودي، والمسيحي، والمسلم فإنهم جميعاً متفقون على أن أركان الوحي ثلاثة:

- الراسل (الإله)
- الرسالة (القرآن، التوراة، الإنجيل، السنة المطهرة ... الخ).
- الرسول (محمد وأنبياء الله صلى الله عليهم وسلم).



صورة (١) أركان الوحي

دورك كباحث ومقارن للأديان، هو اثبات الوحي، من خلال هذه الأركان الثلاثة وإقامة الحجّة، ودعوة الناس إلى دين الله عز وجل. ولكي تقيم الحجّة على هذه الأركان الثلاثة فهناك خمس خطوات يتوجب على كل باحث أن يحيط بها.

خطوات الإعداد لإثبات الوحي

لإثبات الوحي والبرهنة عليه، عند الحوار مع غير المسلم، فإنه يجب عليك أمور:

- أولهم: الإحاطة والعلم بأركان الوحي عندك.
- ثانيهم: الإحاطة والعلم بأركان الوحي عند المخالف ومذهبه.
- ثالثهم: تحديد معايير الإثبات والنفي والحجاج.
- رابعهم: تجهيز البراهين وحشد الأدلة تحت كل معيار.
- خامسهم: قدرتك على البرهنة بإتقان فن الجدل والنظر.

وهذه الخطوات الخمس هي خطوات تحضيرية واجبة على كل مُسلم قبل أن يقتحم مضمار الجدل والمناظرة مع المخالفين.

الإحاطة والعلم بأركان الوحي عندك

العلم بأصول دينك، علمك بربك ونبيك، ودينك، ثم كيفية الاستدلال والجدال بالتّي هي أحسن.



صورة (٢) الإحاطة والعلم بأركان الوحي عندك

إن الإحاطة بأركان الوحي إسلامياً، واجبٌ شرعي لازمٌ لإقامة الحجة، والدعوة إلى الله عز وجل، على بينة وبصيرة، كما هو لازم في الجدل والتي هي أحسن ودعوة الناس إلى دين الإسلام. وتسقط أكثر الشبهات عن الوحي والنبوة بمجرد معرفة المسلم بأصول دينه وتصحيح قناعاته في الوحي. بل إن الإمام بأصول الوحي تُمكن المحاورَ المسلم في المناظرات من الوقوف على مواطن الغلط والمغالطات، التي يُبنى عليها أكثر الشبهات في كتابات المستشرقين ورساليات التنصير؛ فإذا ما وقف المحاور على مكن المغالطة – وغالبها في المقدمات- فإنه يكون قادراً على منع مقدمات المكابر، ومطالبته بالدليل عليها وهو على يقين أن المشغَب سينقطع ويعجز عن الاستدلال على ذلك. وهنا تنتهي المناظرة قبل ان تبدأ بالانقطاع، ينقطع المحاور عند عجزه عن الإتيان بالدليل.

الإحاطة والعلم بأركان الوحي عند المخالف ومذهبه



صورة (٢) الإحاطة والعلم بأركان الوحي عند المخالف

تحديد معايير الإثبات والنفي والحجاج



صورة (٣) معايير الإثبات والنفي والحجاج

المعيار: عبارة عن طريقة متفق عليها، ويُحتكم إليها. فتكون بمثابة خطوطٍ عقليةٍ صحيحةٍ، مرشدةٍ، مقبولةٍ من كل الأطراف: (المسلم والمسيحي واليهودي واللاديني). ولتوفية كل معيار فإنه يتوجب على كُـلِّ طرفٍ من طرفي الحوار، تقديم الأدلة والبراهين التي تُحقق المعيار المتفق عليه. فكل من وفى معيارًا من هذه المعايير فقد أبلج بالحجة، وكل من خالفها فقد انقطع أو بطلت دعواه فيما يخص بعض أو كل المعايير. وصياغة المعايير يجب أن تكون صياغة عقلية محايدة وغير متحيزة، وعليها الدليل القاطع على بدهيتها وضرورتها، مما يجعلها مُلزِمة لكل الأطراف.

هذه المعايير يجب أن توضع وتُرتب بوضوح قبل الخوض في المناظرة واثبات أو نفي أي دعوى. وقبول أطراف الحوار لتحديد المعايير بينهم، هي العلامة الفارقة في اثبات جدية الحوار وضرورته، أو أن يكون الحوار سفسطيًا بيزنطيًا، مذمومًا شرعًا وعقلًا، إن رفض أحد الطرفين أو كليهما الالتزام بمعايير حاکمة.

تجهيز البراهين وحشد الأدلة تحت كل معيار

على كُـلِّ داعيةٍ إلى الله، أن يتحمل مسؤوليته التي عاهد الله عليها في نُصرة دينه، بأن يكون معدًّا للحوار حول أي معيار، ومن اعداد العدة، حشده الأدلة عليها، فيكون جاهزًا لتبيان الحق والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن بحجة وبرهان، مع عدلٍ وانصاف.

حشد الأدلة تحت كل معيار

في ذاته قبل النبوة وبعد النبوة، في أخلاقه، في تصديق الأنبياء قبله، وفي تصديقه لهم، وفيما يبلغ عن ربه، وفيما يتنبأ به من العلة (معايير ونقائص) والمرضى والعرض والجنون

مع الرسالة والمرسل.

الرسول

صدق

سلامة

اتساق

صورة (٤) حشد الأدلة تحت كل معيار

صدق النبي المرسل:

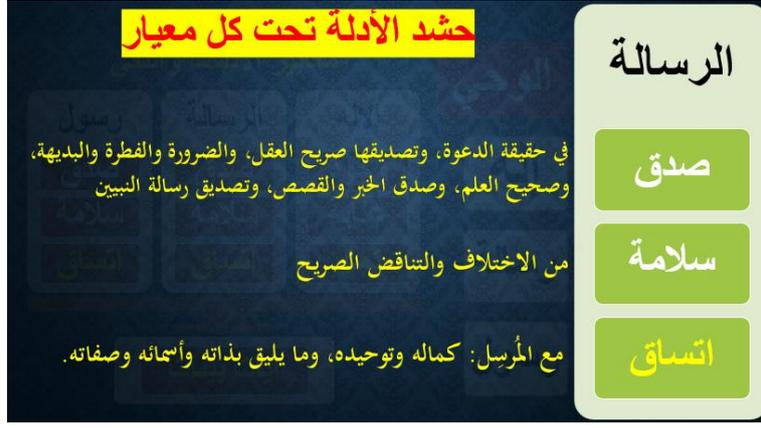
- دلائل الصدق في ذاته قبل النبوة؛
- دلائل الصدق بعد النبوة؛
- دلائل أخلاقه، التي تتعلق بصدقه؛
- صدقه بتصديق الأنبياء قبله له (نبواتهم عنه)؛
- وصدقه في تصديقه لهم (وتحقق نبواتهم فيه)؛
- صدقه فيما يبلغ عن ربه؛
- صدقه فيما يتنبأ به؛
- المعجزات والآيات أعظم براهين الصدق.

السلامة في التبليغ عن ربه:

- سلامته من العلة الطاعنة في الوحي.
- السلامة من المرض والعرض الذي يطعن في الوحي.
- ثبوت التمييز ورجحان العقل.

اتساق النبي المرسل في سيرته:

- تحقيق العقيدة في الله التي يدعو إليها (كمال الإله وأسمائه وصفاته).
- التزامه الرسالة التي يحملها (رسالة التوحيد والدعوة إليها، والأوامر والنواهي والعبادات).



صورة (٤) حشد معايير الرسالة

صدق الرسالة:

- تصديق الرسالة لصريح العقل، والضرورة، والفطرة، والبديهة؛
- تصديق الرسالة لصحيح العلم (عدم التعارض، الإعجاز العلمي)؛
- صدق الخبر والقصص؛
- وتصديق رسالة النبيين (دعواهم واحدة).

سلامة الرسالة:

- من الاختلاف والتناقض الصريح (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)؛
- من الخطأ والغلط؛
- سلامة الرسالة من التحريف؛
- سلامة النقل.

اتساق الرسالة:

- تعريفها بالإله وأسمائه وصفاته ونسبتها إلى الله؛
- إقرار الرسالة بأن موحيا هو الله؛
- لب رسالته ومدى اتساقها مع حقيقة دعوة (التوحيد)؛
- تعريفنا بكيفية عبادة الله عز وجل؛
- إجابة التساؤلات الوجودية.



صورة (٥) حشد معايير الإله

وجوب الخالق واستحالة العدم

- فطرة؛
- نقلاً؛
- عقلاً.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، يقول ابن كثير في تفسيره: "قالت الرسل: (أفي الله شك): وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه (فاطر السماوات والأرض) الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه" انتهى.

يقينية الإتيان واستحالة العبثية:

- فطرة؛
- نقلاً؛
- عقلاً.

فلا يصدر هذا الإتقان في الكون وفي النفس إلا من فاعل، قاصد، مريد، عليم، حكيم، قادر، مقتدر، وثبوت الاتقان يعني استحالة الصدفة.

كمال الله في ذاته وصفاته:

- فطرة؛
- نقلاً؛
- عقلاً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه؛ فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع -أي نصوص الوحي- على ذلك"^{٤١}

وقال في شرح الأصبهانية: "النقص منفي عنه عقلاً، كما هو منفي عنه سمعاً، والعقل يوجب اتصافه سبحانه بصفات الكمال، والنقص هو ما ضادَّ صفات الكمال"^{٤٢}

قدرتك على البرهنة بإتقان فن الجدل والنظر

بعد أن يفتح الله على كل داعية بالإمام والإحاطة وترتيب المعايير وحشد الأدلة عليها، فإنه يأتي ضرورة الإمام بآداب الجدل والمناظرة. والجدل بالتالي هي أحسن قسيمٍ للدعوة إلى الله.

واعلم رعاك الله أن ما تفعله ووكلت نفسك عليه، هو فرض عليك، فرض كفاية. يجب أن تقوم بحقه أمام الله. والدعوة إلى الله هي من أعظم الفروض والواجبات على المسلمين عامة وعلى العلماء بصفة خاصة. وهي منهج الرسل صلى الله عليهم وسلم وطريقهم، وطريق أتباعهم إلى يوم القيامة. قال تعالى: " قل هذه سبيلي أدعو إلى

٤١ مجموع الفتاوى ٦ / ٧١
٤٢ شرح الأصبهانية، ٤١٢

الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"، أي قل يا محمد، هذه دعوتي هذا أمري وسنتي ومنهاجي، هذه طريقي ومنهاجي في الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، على بصيرة، ويقين، وبينه، وبرهان، هذا طريقي ومنهاجي أنا ومن اتبعني وأمن بي وصدقني. فطريق النبي ﷺ هو الدعوة إلى الله على بصيرة وبحجة وبرهان.

الفرق بين الدعوة بالحكمة والموعظة وبين الجدل بالتي هي أحسن

للدعوة إلى الله طريقان:

- **الحكمة:** وهي العلم بالحق والعمل به.
- **والموعظة الحسنة:** والوعظ في القران هو الأمر والنهي والترغيب والترهيب^{٤٣}.

وعامة الناس يحتاجون الى هذا وهذا؛ فإن النفس لها أهواء تدعوها الى خلاف الحق وان عرفته فالناس يحتاجون الى الموعظة الحسنة والى الحكمة معاً. قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ففهم من هذه الآية أن الدعوة إلى الله، ليس منها الجدل، القرآن ليس فيه انه قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل، بل قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم، فالجدل قسيم الدعوة إلى سبيل الله. وقد يكون الجدل مع الدعوة، لدفع الشبهة، وإقناع المدعو أو لدفع الصائل المعارض لدعواك بالتي هي أحسن.

فالإنسان، حين تدعوه إلى الله، له ثلاثة أحوال:

- اما أن يكون ممن يعرف الحق ويعمل به، وهو أفضلهم. وهذا تدعوه بالحكمة؛
- واما ان يكون ممن يعرف الحق ولا يعمل به، وتخافه نفسه. فهذا تدعوه بالموعظة الحسنة؛
- واما ان يكون ممن يجحد الحق، فيعارضه. فهذا يُجادل بالتي هي أحسن.

والجدل أحد أهم الوسائل التي يُدفع بها الصائل إذا جحد الحق، وعارضه وجادل فيه، فيُجادل بالتي هي أحسن ولهذا قال تعالى: **"وجادلهم"** فجعله فعلا مأموراً به مع قوله: **"ادع"** فأمر الله بأمرين:

٤٣ دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْتُوا بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَرْبًا لَكُمْ وَأَسَدًا تَنْبِيئًا ۗ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۗ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَائِمِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٩]. ففعله فعلوا ما يوعظون به أي فعلوا ما يؤمرون به وقال الله تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِيَلْبِسَهُ عَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]. أي ينهاكم عن ذلك أبداً.

- الدعوة
- والجدل.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لمن هو قابل لأحدهما أو كليهما، فهذا لا يحتاج إلى الجدل. أما إذا مانع وعارض، فانت مأمور بالجدل بالتي هي أحسن. وقال في الجدل بالتي هي أحسن ولم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة لان الجدل فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة. والموعظة لا تُدافع كما يُدافع المجادل.

الجدل بالتي هي أحسن فرض كفاية

والمجادلة والجدل يكون بالحجاج: الحجة والبرهان، فالجدل لا يكون إلا بعلم كما أن الحكمة بعلم وقد ذم الله من يجادل بغير علم فقال تعالى: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجُجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وكما أن دعوة الأنبياء بالحكمة والموعظة الحسنة تكون على بصيرة وعلم، فإن الجدل بالحجة والبرهان يستلزم كذلك العلم.

والعلم -الذي تتعلمه اليوم- يجب ان يكون نصيبك منه لوجه الله لا لحظ في الدنيا، وفي الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: " من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة". والعرف: الريح، وهذا من أحاديث الوعيد التي تجري على ظاهرها؛ لأن ذلك أعظم في الزجر، وحكمه حكم سائر أهل المعاصي

فعلى الداعية تجديد النية لله، والعزم أن يكون علمه وعمله وتعلمه لوجه الله لا غير، وأن يطرح النوايا الدنيوية الفاسدة. وقد جاء في الحديث وإن كان ضعيفاً لكن معناه صحيح: (من طلب العلم ليحاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار).

واجبك في الحوار تجاه رؤوس الكُفر والنفاق

ويجب على كل داعية أن يُفارق بين مقام الدعوة والجدال بالتي هي أحسن وبين مقام الإفحام والإلجام. فمن لم يُعطِ هذا المقام حقّه أو اختلطَ عليه تقديره، فقد تهاونَ في حقّ نفسه ودينه.

والأصل أن كل من يسخر من الله ورسوله ويتطاول على دين الله ليس له إلا عزتنا مع الذل والصغار، وحكمه في شرع الله هو حكم المحارب والمُحَاد لله ورسوله، وأمثال هؤلاء لا يجب أن تأخذك بهم رافة أو رحمة. بل يُحرم جدالهم أو حوارهم أو اعطائهم أي أهمية إلا إن ظهر أمرهم وفتنتهم، فهنا إفحامهم والجامهم واجب شرعي، ولا يكون مقام جدال أهل الباطل هؤلاء، مقام الدعوة والإفهام، بل هو مقام إفحام وإلجام. ومنهج علماء الأمة ونظارها وأهل الحق قطع دابر رؤوس الضلالة بالحجة البالغة والبرهان، قطعاً فالجاً، ظاهراً، بلا رحمة، أو تهاون، أو تكتيك يُمَيِّع حقاً، أو يسثر باطلاً، حتى يستبين لك قول الله " فُبِهُتَ الَّذِي كَفَرَ"، ويُبهرك معية الله، وأنت تذوق حلاوة النصر " وَلَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ". ولا تنسى حق الله وفضلَهُ، بستره عليك واستعمالك في نُصرة دينه، فسبحهُ واستغفره واخفض جناحك للمؤمنين.

وبعضُ أحببتنا يغفل عن سببِ هَامٍ من أسباب الهداية، مع هؤلاء، وهو تصوير لحظات انقطاع الباطل، فأنت مُطالب أن تُصوّر بالبطيء، تصويراً فاضحاً، لحظات الإفحام والإلجام والانقطاع، حتى لا يكون لمتشكك - من أتباعه، ممن تابعوك - أرضاً عليها يقف، وكم كان هذا سبباً من أسباب الهداية. ولا تنسى نصيبك في التبخر، فهذا موطئ يغيظ الكفار، ويشف به الله صدور المؤمنين.

الإحاطة والعلم بأركان الوحي في الإسلام

معنى الوحي في اللغة

الْوَحْيُ هو: "الإشارة والكتابة والرّسالة والإلهام والكلام الخفيّ وكلُّ ما ألقىته إلى غيرك"^{٤٤}

والإلهام هو الذي يقع في النفس، وهو أخفى من الإيماء، وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء ولذلك يُسمى الإلهام والإشارة والإيماء وخياً، بل وتُسمى الكتابة أيضاً وخياً.

والعرب تقول: "وَحَيْتُ إِلَيْهِ الْكَلَامَ وَأَوْحَيْتُ، وَوَحَى وَخِيّاً وَأَوْحَى، وَأَوْحَى يَعْنِي أَوْماً، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَلْهَمَهُ، وَكَذَا الْوَحْيُ الْمَكْتُوبُ وَالْكِتَابُ"^{٤٥} انتهى

أمثلة من المعنى اللغوي للوحي في كتاب الله

"ورد لفظ الوحي ومشتقاته في القرآن (٧٨) مرة"^{٤٦} انتهى وكثير من معاني الوحي اللغوي نجده في القرآن الكريم، لأن القرآن نزل بلغة العرب، أمثلة:

- وقد يكون الوحي للجماد وكل مخلوقات الله، ويأتي بمعنى الأمر: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]
- وقد يكون الوحي من الله لملائكته: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [الأنفال: ١٢].

وحي الإلهام الفطري للإنسان

فالوحي بمعنى الإلهام الفطري للإنسان، والهداية، أي مجرد الإلهام، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨] وقوله ﷺ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وحي الإلهام الغريزي للحيوان

والوحي بمعنى الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

٤٤ القاموس المحيط، للفيروز أبادي، باب الباء فصل الواو ٤/٤١٠.
٤٥ ابن منظور، "لسان العرب"، ١٥/٣٧٩. الجوهري، "الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية"، ٦/٢٥٢٠. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، باب الباء فصل الواو، ٤/٤١٠.
٤٦ محمد فواد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة وح ي ص ٧٤٦، بيروت دار الفكر، ط٢، ١٤٠١ هـ.

وحي الإلهام التوفيقى

ومنه وحي الإلهام التوفيقى، وهذا النوع من الوحي حادث في حق الانبياء وغير الانبياء، فأما في حق الأنبياء فيسمى المحدث: هو المُلهَمُ إلى الصواب، وهو ما يُسميه بعض العلماء والمتصوفة الكشف، وأياً ما كانت تسميته فمدار هذا الكشف والإلهام أن يكون من سالم العقيدة، مستقيم في دينه، ويُعرض ما يقول على الكتاب والسنة^{٤٧}، لأن المحدث ليس نبياً معصوماً، بل قد يوسوس له الشيطان بأشياء لا تكون من وحي الله وإلهامه، بل من إحاء الشيطان.

ودليل هذا النوع من الوحي، قوله ﷺ في الصحيحين: (لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عَمْرٌ) ٤٨ ومثله: "رؤيا المؤمن"، ومنه وحي الله لأم موسى ﷺ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: ٣٨-٣٩]، ومثاله كذلك الوحي إلى الحواريين: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَّنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] وقد قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

وحي الإيحاء والإشارة

الوحي بمعنى الإيحاء والإشارة (الرمز والإيماء والايحاء) كإيحاء زكريا لقومه. قال ﷺ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

وحي الإعلام في الخفاء

وقد يكون الوحي بإعلام في خفاء: مثل وسوسة الشياطين من الانس والجن، بتزيين الشر في النفوس، قال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ومثله قوله ﷺ عن وسوسة الشيطان: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وهكذا أكدت اللغة معنى الوحي وهو الإعلام في خفاء، وبين كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ هذا المعنى اللغوي للوحي.

٤٧ قال السلف: إذا رأيت الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء، فلا تغتروا بعمله، حتى يعرض على الكتاب والسنة. ٤٨ أخرجه مسلم (٢٣٩٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث عائشة. ورواه البخاري ٧ / ٤٠ / ٤١ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مسنداً ومعلقاً، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وقال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله. وفي ١٥/٥ (٣٦٨٩) قال: حدثنا يحيى بن قزعة. وأخرجه أحمد ٣٣٩/٢ (٨٤٤٩) قال: حدثنا فزارة بن عمرو. والنسائي في "الكبرى" ٨٠٦٦ قال أخبرنا محمد بن رافع والحسن بن محمد. قالوا: حدثنا سليمان بن داود. أربعتهم (فزارة، وعبد العزيز، ويحيى، وسليمان) عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة.

وقفات مستفادة من معنى الوحي اللغوي

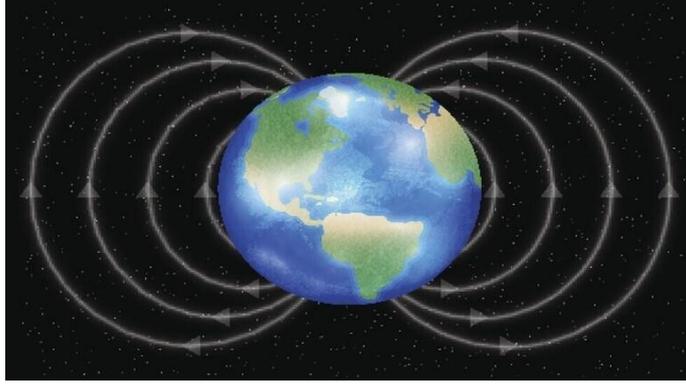
مثال مهم

يجب على كل من يهتم بمقارنة الأديان أن: لا يهمل أي معلومة، بل وعليه أن يُحسن الاستفادة منها وما من تعريف أو تفريق إلا وله فائدة علمية وعملية في حوارك مع أهل الباطل، وهذا نموذج لكيفية الحجاج فقط من التعريف المستفاد لغة للوحي. عرفنا أن من الوحي اللغوي وحي الله للمخلوقات من إنس وحيوان وجماد وكل ما في الكون ما بعد الخلق.

ولننظر كمثال إلى السلحفاة التي تخرج من المحيط إلى الشاطئ وتتوغل في عمق البر حتى تختار مكاناً معيناً تحفر فيه وتضع بيضها، ثم تهيل الرمال عليه وتغطيه وترحل ذاهبة إلى المحيط من حيث أتت. يظل البيض في هذه الحفرة فترة ما بين شهر ونصف إلى سنة ونصف، تختلف هذه الفترة حسب نوع السلحفاة، ثم يفقس البيض وتبدأ فراخ السلاحف في الحفر في الرمال حتى تخرج إلى سطح الأرض، ثم تتحرك ذاهبة في اتجاهات محددة إلى الماء وتنزل فيه. فمن أعلمها وأوحى لها بفعل ذلك؟ هذا في اللغة هو اعلام وتعليم حدث لهذه السلاحف في خفاء لا نعلم عنه شيء، اسمه لغويا: إعلم في خفاء: الهام: وحي.



ولا يتوقف الأمر عند ذلك، بل إن هذه السلاحف نفسها حين تكبر وتتزوج فإن إناثها تخرج مرة أخرى إلى الشاطئ وتذهب إلى نفس المنطقة الإحداثية التي وُلدت فيها لتضع مرة أخرى بيضها وتكرر ما فعلته أمها وهي لم ترَ ما فعلته أمها ولا كان لها وجود حين فعلت الأم ذلك، مرة أخرى من أعلمها هذا؟ العلم الحديث يرصد هذه الظواهر ويُحاول أن يضع لها تفسيراً علمياً وآخر التفسيرات العلمية الحديثة في السنوات الخمس الأخيرة، أن للسلاحف بوصلة أو ما يشبه الجي بي اس تميز بها الاحداثيات، اعتمادا على مجال الأرض المغناطيسي! مما يجعلها تستطيع العودة إلى مكان ميلادها ووضع بيضها مرة أخرى.



صورة (٢) صورة تعبيرية للمجال المغناطيسي للأرض من شبكة رويترز^{٤٩}

وهذا ما قال به الباحثان الأميركيان روجر برازرس و كينيث لومان من جامعة نورث كارولينا في عام ٢٠١٥ بأن المجال المغناطيسي للأرض يقود السلاحف البحرية البالغة في طريق عودتها إلى الشواطئ التي شهدت مسقط رأسها لتضع بيضها هناك مجدداً. ورجح الباحثان أن هذه السلاحف تتعرف على أنماط مميزة للمجال المغناطيسي تتسم بها السواحل التي شهدت مولدها وتقوم بتخزينها في ذاكرتها حسبما أوضحا في دراستهما التي نُشرت في مجلة كارانت بايولوجي البريطانية. حتى أضحي من المعروف في الأوساط العلمية أن السلاحف البحرية تعتمد بالفعل على المجال المغناطيسي للأرض أثناء تجولها في البحار.

وقد قام الباحثان خلال الدراسة بمعاينة الأماكن التي وضعت فيها السلاحف البحرية من نوع "كاريتا كاريتا" ذات الرأس الضخمة بيضها في مناطق الساحل الشرقي لولاية فلوريدا في الفترة بين عامي ١٩٩٣ و ٢٠١١ وكيفية تغير المجال المغناطيسي في الفترة نفسها. وقد تبين للباحثان من خلال ذلك أن هناك علاقة لا لبس فيها بين تغيرات المجال المغناطيسي وطريقة توزيع السلاحف بيضها وأن السلاحف وزعت بيضها بشكل متباعد أو متقارب تبعاً لتباعد الإشارات المغناطيسية عند المناطق الساحلية التي تم رصدها أو التي تقاربها^{٥٠}.

هذه الظواهر التي يرصدها العلم ويحار فيها، هي ظواهر لما نسميه لغويًا "إعلام خفي للسلاحف برمجت، وجُبلت عليه راضخة". وتنفذه السلاحف وكل الكائنات جبرًا وهم لا عقل ولا إدراك لهم عند الميلاد.

هذا الذي يحدث لهم من الإعلام الجبري الخفي يُسمى لغة : اعلام في خفاء: الوحي.

^{٤٩} <https://cdni.rt.com/media/pics/2020.05/1/5ec7aee44c59b73ec223dc6e.jpg>
www.dw.com/ar/ سلاحف-تستخدم-المجال-المغناطيسي-لتجد-على-مكان-ولا-لادتها#18194456/a-

الوقفات

الوقفة الأولى

الوقفة الأولى: أن معرفتك للمعنى اللغوي للوحي يجعلك لا تهمل استخدامه كمعيار حجاجي مُلزم لك ولغيرك

لأن اللغة هي أحد المعايير الأولى المُلزِمة التي يُحتكم إليها في الجدل، وخاصة في قضايا الاعتراض على المعاني. فيُلزَم به كل من يُشغب على معنى آية، أو نص، سواءً بتأويل أو نفي أو تعطيل، سواءً مسلم مكابر أو غير مسلم، فالحاكم على المعاني هو مدونات اللغة ومعاجمها.

فمثلا ماذا لو أن ملحدًا يعترض على أن يوحى الله للنحل أو السلاحف؟

بالمعنى اللغوي وحده للوحي تستطيع كداعية إلى الله ومحاور من أهل الحق أن تقيم الحجة عليه، وتُلزِمه، وهذا المثال الذي ذكرناه مع السلاحف يتكرر مع كل كائن حي على وجه الأرض، ولذا نستطيع الآن أن نفهم في هذا الإطار قوله ﷺ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، فهذا الوحي الجبري للسلاحف والنحل، وغيرها داخل في معنى الوحي مئة بالمئة بحكم اللغة. لأن الوحي في اللغة: اعلام في خفاء، ولأن الوحي في اللغة هو الإلهام السريع في خفاء، فأن يُعلم النحل والسلاحف والنمل والبشر بأن يفعلوا ما فعلوه منذ لحظة ولادتهم بدون تعليم في سرعة وخفاء لا نعلمها ولا نعلم سببه اسمه لغويا اعلام في خفاء= الهام= وحي.

فلا يجوز لمعترض أن ينفي حدوث الوحي، أو أن ينفي أن يوحى للنحل، إذا ثبت المعنى اللغوي للوحي في حق النحل وغيره من المخلوقات.

الوقفة الثانية

الوقفة الثانية: أن الوحي اي الالهام والاعلام في خفاء، هو أمر ضروري لكل الحوادث (المخلوقات) لا يشذ عن قانون الله في ذلك أحد من خلقه (مخلوقاته)

فكل مخلوق أوحى إليه، فإنه ما من مخلوق إلا ورُكِّب بما ركب عليه من سُبل الهداية، والأخذ بأسباب الحماية ليضمن بقاءه واستمراريته، وهذا الوحي يدل بلا أدنى ريب على أمور:

اثبات الخالق، (السببية): أنه لا بد من واضع وضع هذه العناية في تلك المخلوقات ويستحيل عقلاً أن تكون تلك العناية في تلك المخلوقات وجدت بلا موجد، والدليل مستلزم للمدلول أي متى وُجد الدليل وُجد المدلول.

١- أن هذا دليل على الرعاية، والعناية والهداية بعد الخلق. كل شيء أوجده الله، أوجد له قانونه الذي يسير عليه ويفعله بدون تعليم وتوجيه من أحد. هذا القانون هو النزعة أو الفطرة، التي يكتسبها ويستقبلها كل مخلوق بعد خلقه وتقديره، فاستقباله وتنفيذه لها لا إراديا وبدون تعليم هو عين الوحي وحقيقته، وهو مصداق قول الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، فبدأ بالخلق ثم الهداية، وهذه الهداية العامة من غير تعليم سابق. وقد بين الله ﷻ الخلق والهداية وتامهما في قوله ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣-١]: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية، فخلق يُتمم بالتسوية، وتقدير يُتمم بالهداية، وبذلك تكون التسوية والهداية كمالين للخلق والتقدير.

٢- تنفي الصدفة، فهي هداية بعلم وقدر وإرادة، وتقدير وتديبير، فإنه ما من مخلوق إلا ورُكِبَ بما رُكِبَ عليه ليحقق النفع لهذا الإنسان وهذا إن دل على شيء فإنما يدلنا بلا أدنى ريب أنه لا بد من واضع وضع هذه العناية في تلك المخلوقات ويستحيل عقلاً أن تكون تلك العناية في تلك المخلوقات وجدت بلا موجد.

الوقفه الثالثة

الوقفه الثالثة: أن العلم يرصد لجميع الحوادث (المخلوقات) ظواهر مرئية (مُشَاهَدَة) متعلقة بشيء داخل هذه الكائنات غير مرئي (غيبية)، إذن فالعلم يدرس ظواهر الغيبيات

أي ظواهر هذا الشيء غير المرئي المزروع في كل نوع من الأنواع المخلوقة ولنسمه (آلية الإعلام الخفي = آلية الوحي)، هذه الآلية غير المرئية لا يعلمها العلم والعلماء، لم يروها، لا يعرفون ماهيتها ولا كنهها، وبالتالي فالعلم لا يستطيع دراستها، لكن العلم يستطيع دراسة الظواهر المرئية التي نتجت عنها. فيحاول العلم أن يضع رابطاً عقلياً بين هذه الظواهر، وهو ما يُسمى بالنظرية العلمية، أي ان يكون لها تفسير علمي مقبول. ونستفيد من ذلك أموراً:

١- أن دور العلم (العلماء) هو "رصد ظواهر الوحي"، إن وُجدت، وليس دور العلم أن ينفى أو يثبت وحياً.

٢- لكن، حتى لو لم يكن دور العلم اثبات الوحي، إلا أن إقرار العلم بالظواهر هو اثبات ضروري لوجود ما وراء الظواهر وهو ما نسميه (الوحي)، أي أن العلم يُقر اقراراً ضمنياً، عقلياً، ضرورياً، ملزماً، بيقينية وجود آلية الوحي، حتى ولو لم تكن في نطاق دراسته. لماذا؟ لأن القاعدة العقلية، العلمية، البديهية، الأصولية:

أن الدليل يجب فيه الطرد لا العكس، بمعنى أنه يلزم من وجوده الوجود، ولا يلزم من عدم الدليل العدم، فعدم العلم بالدليل ليس دليلاً على العدم، والعلم مُلزمٌ بذلك لأن الدليل مستلزم للمدلول، أي متى وُجد الدليل وُجد المدلول. ولأن لكل سبب مسبب. عدم معرفتنا بالشيء أو بوجود الشيء لا يعني عدم هذا الشيء.

٣- أن حتى العلم الحديث (أي العلماء) في هذا العصر الحديث وإن كان موضوعهم هو دراسة الظواهر ولا يتعلق بإثبات أو نفي الغيبيات إلا أنهم قصرًا مُلزمون بالإقرار بهذا الوحي الخفي وآليته، ولو ضمناً. يقول ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْتَفَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

٤- أن العلم برغم عجزه كل العجز عن تحديد كنه وماهية هذه الآلية (آلية الوحي)، وبرغم أنها ليست من اختصاصه، إلا أنه مع عجزه ومع غياب التخصص فإنه مثبتٌ بيقينٍ لهذا الوحي. بل مُثبت له في جميع الكائنات، صغرت أو كبرت.

الوقفه الرابعة

الوقفه الرابعة: أن العلم يُقر بدهاء وضرورة، بأن آلية الوحي مع كل كائن من هذه الكائنات حصرية على كل نوع، متفردة فيه عن باقي الأنواع الأخرى

أي أن هناك آلية وحي صنعت خصيصاً لكل نوعٍ من أنواع المخلوقات، فلا توجد في غيرها. فالوحي في النحل غير الوحي في النمل غير الوحي في الفيلة غير الوحي في البشر.

وكيف عرف العلم ذلك؟ عن طريق تفرد الظواهر وحصريتها في كل نوع وتباينها عن غيره من الأنواع. ويُستفاد من ذلك:

١- أن وحي الهداية الخاص بكل نوع، لو انتزع من أي نوعٍ من هذه الأنواع هذه الآلية لانقرضت فوراً وانتهت حياة النوع كله، بل لو نُزعت من كل الأنواع ولما وُجد أصلاً أي ظاهرة من هذه الظواهر التي يرصدها ويدرسها العلم ولا وُجد الكون كله.

٢- أنه كما أننا نستطيع تصوّر كيف أن ظواهر وحي الهداية العام التي اخُص بها نوع ما لا تُشابه في جنسها، جنس الظواهر عند النوع الآخر، فكذلك نستطيع تصوّر كيف أن جنس ظواهر وحي التكليف الخاص بالأنبياء (أي جنس آيات الأنبياء) يختصون به دون غيرهم، ولا تتشابه مع غيرهم.

وهذا يقودنا إلى أن قولنا خوارق العادات هو في حقيقته قول عام وضبابي، غير دقيق ولا ينضبط. بل الصواب أن نقول إن جنس معجزات الأنبياء هو مختص بهذا النوع أي الأنبياء ومن قبيل العاديات ليس خارقاً لها، هو من عاديات الأنبياء، التي يأتي بها الأنبياء جميعاً، لكنه يختلف عن خوارق العادات التي يأتي بها السحرة والكهان.

• ماذا يحدث لو لم يكن هناك وحي هداية للمخلوقات؟ - انقراضها وانتهاء الحياة.

• ماذا يستلزم من دراسة العلم لظواهر الوحي؟ - يستلزم ثبوته.

الوقفه الخامسة

الوقفه الخامسة: إن كان هذا حال العلم وعجزه، مع أوليات الوحي (وحي الهداية والإلهام)، فهو من باب أولى أكثر عجزاً مع ما هو أعقد من ذلك كوحي التكليف.

فإن كان هذا حال العلم مع أوليات الإلهام (الوحي الفطري، وحي الهداية)، حال العلم: جاهل بها لا يعرفها ولا يعرف ماهيتها وكنهها، ومع ذلك يقر ضمناً بثبوتها لأنه يُقر بظواهرها. فكيف يكون حاله مع وحي التكليف؟ نريد القول بأن:

١- إن كان الوحي ثابتاً في حق الكائن المولود الذي لم ينمُ عقله، وثبتت بإثبات ظواهره، واسميناه وحي الهداية، فإنه بالضرورة في حق من يعقل أولى بالثبوت إن ثبتت ظواهره، ونسميه وحي التكليف. وظواهر الوحي الأولى هي البدهيات والفطرة والضرورات والنزعات وما يفعله غير المميز راضحاً بلا عقل وبلا تعليم. وظواهر الوحي التكليفي هي المعجزات والآيات وما يأمر به الله وينهى عنه وما يفعله العاقل مخيراً بعقل وعلم وتعليم.

٢- ثم إن من ألهم غير العاقل وهده سبيله بلا عقل ولا تمييز، فإن من باب أولى أن يلهم العاقل ويهديه سبيله بالعقل مع التمييز، فالأول نسميه وحي الفطرة والهداية والثاني وحي التكليف ووحى العقل.

٣- وإن كان أصعب شيء على العقول أن تتقبله، ثبوت الوحي في حق الكائن المولود الذي لم ينمُ عقله، بوحي الهداية، فهده رشده، دون أن يتعلم، ودون أن يكون له عقل يعقل به، وينفذه هذا الكائن غير العاقل بحذافيره، فإن أيسر منه على العقول أن تقبل وحي التكليف لمن يعقل ويقبل.

الوقفه السادسة

الوقفه السادسة: ان ظواهر وحي النبوات، ليس للعلم أن يثبتها أو ينفىها، وأنه كما عجز عن تفسير ما هو أبسط منها فهو في هذه أعجز.

لكن الإعجاز يطرد هنا حتى في الظواهر نفسها، أي ان الظواهر التي يقوم بها البشري النبي والعلم لا يقدم إلا التفسير الطبيعي الذي يربط بين كل المعطيات أو الظواهر. أما في حال كانت المعطيات فوق مقدور البشر فهذه تنتقل من خاتنة الظواهر إلى خاتنة (المعجزات) فيها تثبت النبوات. ولذا لا يمكنك اثبات النبوات بغير المعجزات، وإلا لكان التفسير في نطاق الطبيعيات أو الميثولوجيا والكذب.

الوحي في الشرع وكيفيته

تعريف الوحي في الشرع

الوحي في الشرع هو إعلام الله الخفي لمن اصطفاه من عباده بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب أو هداية، بواسطة أو غير واسطة، والوحي هو أحد طرق كلام الله للبشر، فما هي الطرق الأخرى؟

طرق كلام الله للبشر

بين الله ﷻ ثلاث طرق لكلامه للبشر بقوله في سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلًّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]

ففرق سبحانه بين الوحي العام وبين وحي التكليم من وراء حجاب، وبين وحي الرسالة والنبوة، كما فرق الله مرة أخرى بين وحي التشريع والنبوة وبين التكليم في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

إذن فيكون عندنا ثلاثة أوجه من كلام الله للبشر (التكليم):

- ١- الوحي المجرد أو وحي الإلهام؛
- ٢- التكليم من وراء حجاب؛
- ٣- وحي الرسالة والنبوة (التشريع والناموس).

الوحي المجرد أو وحي الالهام

ويكون هذا الوحي في حق الانبياء وغير الانبياء، ويكون بالإلقاء في القلب والالهام يقظة أو مناماً، والنفت في الروح، وقد يكون بواسطة الملائكة أو صالحى الانس والجن أو هداية الله، والصالحين والمؤمنين، وغيرهم.

الوحي للأنبياء

- ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)^{٥١}
- ومثاله ايضاً ما روى الشيخان عن بدء الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)^{٥٢}
- ومثله رؤيا ابراهيم عليه السلام على ما أخبر الله صلى الله عليه وسلم عنه في قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢]، ومثله رؤيا يوسف عليه السلام.

الوحي لغير الانبياء في حق المؤمن أو المحدث أو الولي

- رؤيا المؤمن: قال عبادة ابن الصامت: (رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام)^{٥٣}.
- وقد ثبت في الصحيح ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُؤَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)^{٥٤}.
- وَقَالَ: (إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُؤِيَا الْمُؤْمِنُ تَكْذُؤِيَا الْمُؤْمِنِ جُؤِيَا مِنْ سَنَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُؤِيَا مِنْ النَّبُؤَةِ)^{٥٥}. وفي رواية: (أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا: أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا)^{٥٦}
- التثبيت بالقول الثابت: كما يحصل في القلب من العلم والقوة ونحو ذلك قد يجعله الله بواسطة فعل الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ يُؤِؤِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُواؤِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ثَبَّتِ اللهُؤِيَا الَّذِينَ ءَامَنُواؤِيَا الْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَؤِيَاؤِيَا الدُّنْيَاؤِيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧]، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من

٥١ صحيح، أخرجه أبو نعيم عن أبي إمامة في الحلية (٢٧/١٠). والقضاعي في مسند الشهاب (١٨٥/٢)، رقم (١١٥١).

٥٢ صحيح، متفق عليه (رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر وأخرجه البخاري من وجه آخر عن يونس).

٥٣ قال الشيخ الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: ٣٠٧٨ في ضعيف الجامع، وأخرجه: ابن أبي عاصم (٢١٣/١)، رقم (٤٨٦)، وذكر الحافظ ابن حجر انه قد أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث عبادة ابن الصامت، في الأصل الثامن والسبعين، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر وهو واه، وفي سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة.

٥٤ أخرجه البخاري (٦٩٩٠) قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، فذكره.

٥٥ متفق عليه، أخرجه الشيخان عن أبي هريرة، مسلم (٤/١٧٧٣ - ١٧٧٤) رقم (٦/٢٢٦٣)، البخاري (٣٧٣/١٢) رقم (٦٩٨٨)، وانظر (٧٠١٧). وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢٩١/١)، رقم (٩٥٥)

٥٦ صحيح مسلم: ١٧٧٣/٤ - ح ٢٢٦٣. مسند أحمد: ٢/٢٦٩ - ح ٧٦٣٠

سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه انزل الله اليه ملكا يسدده) والتسديد هو الفاء القول السديد في قلبه.

- **التأييد بروح من الله، قال ﷺ: ﴿لَا تَحْدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]** ومنه معية الله: النصر والتأييد، كقول الله ﷻ لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ومعية الله ﷻ مع النبي ﷺ وأبي بكر وهما في الغار، قال ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

كلام الله من وراء حجاب

وهذا مما اختص به بعض انبياء الله، ولا نعلم من أوتي هذه المنزلة غير آدم عليه السلام وموسى ومحمد ﷺ، وأن من اختص منهم بكلام الله على الأرض هو موسى وحده ولذا سمي كليم الله والله أعلم.

فأما موسى ﷺ، فدليل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولذا سمي كليم الله، وهو قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

وقد علم بالاضطرار من دين الله بل من دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أن كلام الله ﷻ لموسى أعظم من خطاب الله ﷻ وإيحائه لسائر الأنبياء والمرسلين، فيقول ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله ﷻ: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَ لَمِئِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]

وممن كلمه الله ﷻ كذلك من وراء حجاب، تكليم الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ في ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة، فيما رواه البخاري ومسلم: (فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ... فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأَسْلِمُ)^{٥٧}

وممن كلمه الله ﷻ سيدنا آدم ﷺ: ودليله من الحديث: (يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال: نَعَمْ مُكَلِّمٌ)^{٥٨}

٥٧ أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٨٧)، وبدء الخلق (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (١/٢١٧). وقد رواه الشيخان بألفاظ متقاربة: البخاري مقطعا في بدء الخلق وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان، والترمذي في التفسير والنسائي في الصلاة كلهم عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة. ٥٨ صحيح، أخرجه ابن منده في "التوحيد" (ق ١٠٤ / ٢)، وعنه ابن عساکر، والحاكم (٢/٢٦٢). وقال هو وابن منده: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وزاد ابن منده: "وروي من حديث القاسم أبي عبد الرحمن وغيره عن أبي أمامة عن أبي ذر بأسانيد فيها مقال".

هل كلم الله إبراهيم كما كلم موسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام؟

يقول الله ﷻ: ﴿وَتَذَيِّنَهُ أَنْ يَتَّابِرَهُمْ ۗ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّءْيَا ۗ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥]، هذه الآية لا تدل إلا على كلام الله لأنبيائه بالوحي.

كلام الله إما أن يكون (وحي إلهام أو وحي نبوة أو تكليم من وراء حجاب)، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]

إنما لا نستطيع أن نستدل بقوله: ﴿وَتَذَيِّنَهُ﴾ [مريم: ٥٢] على أن الله كلمه تكليماً مباشراً إلا بنص من الله. ولذا فإن قول الله ﷻ لموسى ﷺ: ﴿وَتَذَيِّنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، لا يفيد تكليم الله مباشراً لموسى، لولا أن خبرنا الله بذلك تصريحاً في كتابه، فقال ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال ﷻ: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَحِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]. وقال ﷻ: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال ﷻ: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]

ولولا هذه النصوص والأدلة لما جاز لنا أن نتخطى عتبة الوحي إلى التكليم، ونتجرأ قائلين إن الله كلم موسى من قوله: ﴿وَتَذَيِّنَهُ﴾ [مريم: ٥٢]، فلا تُصرف إلا على الوحي حتى يأتي فيها نص صريح عن الله.

وحي النبوة والرسالة

كَمَا كَلَّمَ الرُّسُلَ بِإِزْسَالِ الْمَلَائِكَةِ، وكما كلمنا عن طريق الرسل، كما قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وهذا وحي التشريع، ولا يكون إلا للأنبياء والرسل، ومثاله:

نزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ، وبلغه جبريل ﷺ لمحمد ﷺ.

قال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۗ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۗ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۗ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] وقال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]

ما هو الفرق إذن بين وحي الإلهام للنبي ولغير النبي؟

عرفنا في النوع الاول من الوحي " الوحي المجرد/ الإلهام"، أنه يكون للنبي وغير النبي، فما هو الفارق اذن بين الوحي للنبي والوحي لغير النبي؟

نقول أن الوحي للنبي:

- ١- يكون من الله. ولا يكون من الشيطان
- ٢- ويكون معصوما فيما يبلغ به عن الله، فينسخ الله ما يُلقى الشيطان فلا يقول النبي الا حقا.
- ٣- ويكون النبي على يقينٍ منه فلا يُحتاج معه غيره.

بخلاف غير النبي، فإن الوحي للمُحدثين والاولياء والصالحين وعامة الناس:

قد يكون من الله (رؤيا المؤمن) وقد يكون من الشيطان او حديث النفس.

ليس بمعصوم، بل يقع له الصواب والخطأ.

ولا يكون على يقين من صحته فيكون محتاجا أبدا إلى أن يزن ما يستشعره بالميزان النبوي المعصوم.

والفلاسفة والمتصوفة ضلوا في هذا الباب، فاعتبروا الإحياءات الشيطانية والوساوس النفسانية وحيا، بل بلغ من بعضهم الجراءة، قوله، قال رسول الله ثم يقول حديثا عرفه في منامه، فينسب ما يره في المنام للرسول!، وهذا مصداق قول الله فيهم: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِرُحُونَ إِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]

فتجد الصوفي تارة يدعي أحدهم المهدية أو القطبية ويقول أنا القطب الغوث، وانا المهدي المنتظر، ويأتي بما يخالف دين الله ويضرب يعضه بعضا، و منهم من يجعل نفسه فوق الانبياء والمرسلين، فكل هؤلاء ضلوا من باب الوسوسة والنزغ، ومرض القلوب، واعتبروا كل خاطر عندهم حديث الله، فيملي لهم الشيطان وما يزيدهم الشيطان الا غرورا، ولم يفرقوا بغرورهم بين باب النبوة خصيصة الانبياء وبين الالهام وحديث النفس التي يختص بها كل البشر ويجب ان تكون تبعا لله وللرسول.

ما الفرق بين النبي والرسول؟

هل النبي غير مرسل والرسول مرسل؟ ، الجواب لا ، بل كلاهما مرسلان من الله، قال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، فكلاهما مرسلان، انما النبي يُرسل إلى المؤمنين من قومه ممن عرفوا نبوته ويؤمنون به، فيخبرهم بأمر الله ونهيه وخبره، ولذا حالهم كحال العلماء

ولهذا قال النبي ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)، بينما الرسول يرسله الله الى المخالفين والمكذابين من قومه، ولا بُدَّ أن يكذب الرسل قوم؛ قال ﷺ: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقال ﷺ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال ﷺ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ﴾ [يوسف: ١١٠]

وليس من شروط الرسول أن يأتي بشرع جديد - فسيدنا داود وسليمان كانا رسولين وعلى شريعة موسى (نقول مجازا كانوا يهودا، والا فهم ما عرفوا هذا الاسم " اليهودية" بل هو اسم لاحق اصطلاحه اليهود لأنفسهم ومات موسى ﷺ ولا يعلم ان دينه صار اسمه اليهودية).

وسيدنا يوسف كان نبيا ورسولا، ودليله قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]

حسنا سيدنا يوسف كان على دين من؟ يوسف كان على ملة إبراهيم، لان اليهودية جاءت من بعد يوسف عليه السلام.

هل أرسل سيدنا يوسف لأهل مصر؟

لا نقول ذلك، بل الصواب أن نقول أرسل سيدنا يوسف إلى قومه. ولم يُكلف الأنبياء قبل النبي محمد ﷺ إلا بدعوة أقوامهم خاصة وليس الناس عامة. وقد يدعو الرسول غير قومه ممن يلقاه عرضاً إلى التوحيد، وهذا لا يتعارض مع خصوصية الرسالة قبل النبي محمد ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي) ومنها قوله (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة). ولم يكن يوسف عليه السلام مصرياً ولا كان المصريون قومه. ولم يظهر من النصوص تكليفه لهم بشريعة أو ملة بعينها.

فإن كان الأمر كذلك، ألا يتعارض هذا مع الآيات في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]، ومعلوم أن الخطاب من المصري الذي أسلم وأمن بنبوته موسى، موجه إلى قومه من المصريين؟

والجواب: لا تعارض، فيصح على ما قلناه أن يُرسل النبي إلى قومه، وأن يدعو غيرهم ممن يلقاه من غير قومه إلى التوحيد كما حدث مع يوسف عليه السلام وصاحبي السجن، وكما حدث في تأويله الرؤيا وكانت من معجزات نبوته بين المصريين وبين قومه. وكما حدث مع موسى عليه السلام والسحرة المصريين ودعوته فرعون إلى التوحيد. فدعواهم إلى التوحيد ولم يلزمهم بهجرة وشريعة.

ومن يقول إن يوسف عليه السلام بهذه الآيات مرسل إلى المصريين، فيلزمه أن يقول من نفس هذه الآيات أن موسى عليه السلام أرسله الله إلى المصريين. فقد احتج المصري المسلم عليهم لموسى بيوسف. فكان يدعوهم بتصديق موسى، ويقيم الحجة عليهم بيوسف، ولا أحد يقول بذلك، بل من يقول ان موسى أرسل إلى المصريين فقد عارض صريح آيات القرآن التي أكدت على أن موسى عليه السلام مرسل إلى قومه من بني إسرائيل، فكما أن دعوة المصري المسلم قومه المصريين إلى تصديق موسى، لا تتنافى مع كون موسى مرسل إلى قومه من بني إسرائيل خاصة، فالأمر كذلك مع يوسف عليه السلام؛ والصواب إن كل نبي يُرسل إلى قومه خاصة، ولا يتعارض هذا مع دعوته من يلقاه من غير قومه. ولم يلزم موسى عليه السلام المصريين بشريعته، مع انه دعاهم للتوحيد. فلا تضرب النصوص بعضها بعضاً بفهم خاص، والله أعلم.

كلمات الله

كلمات الله نوعان:

١. قدري كوني: والكون كله وخلق آدم والمسيح ﷺ وخلق البشر جميعا داخل تحت هذه الكلمات، ومنها ما استعاذ به النبي ﷺ فقال: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهَا بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ) ^{٥٩} ومنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقوله ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، حارت عقول النصارى في كلمات الله الكونية القدرية فضلوا وعبدوا المسيح.

٢. شرعي ديني: مثل القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل وشرع الله وأمره ونهيه وخبره.

المسيح كلمة الله، وكلمة من الله: ويأتيك المسيحي ويقول لك: 'كتابك اعترف بأن المسيح هو كلمة الله، وهذا صحيح فالمسيح كلمة الله وأنا كلمة الله وأنت كلمة الله، وكلنا مخلوقون، فدعواك أنه لا يستطيع أحد أن يقول إن كلمة الله هي مخلوق، فهذه دعوة باطلة وساقطة.

وقد بين الله ﷻ أن كون المسيح ﷺ كلمة الله أي مخلوق بالكلمة، قال الله ﷻ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. فقال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥١﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٢﴾﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٧]، وقد بينها الله ﷻ في موضع آخر من قرآنه فقال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ولذا بين الله ﷻ أنه ﷻ عبد ورسول في القرآن وكذا قال ﷻ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) ٦١.

الآية الثانية فقال ﷻ: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل ﷺ إلى مريم ﷺ، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ، فكان عيسى ﷺ بإذن الله ﷻ وروح منه، أي روح من عند الله ﷻ، فليست تبعضية بل ابتداء غاية، أي أنه روح مخلوقة ابتداء من الله ﷻ، وذلك مثل قوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجناب: ١٣]، أي كل ما في السماوات وما في الأرض من الله أي ابتداء من الله، مخلوق من عند الله.

وقال الله ﷻ على لسان المسيح ﷺ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣١﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣٢﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٣﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٠-٣٥]، وقال ﷻ عن المسيح ﷺ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وهم يقولون إن كلمة الله لا بد أن تكون خالفة وغير مخلوقة، لكن يُكذِّبهم كتابهم، كما في إنجيل لوقا: "فَقَالَ: قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْتُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللَّهِ. أَمَّا الْبَاقُونَ فَأَكْلِمُهُمْ بِالْأَمْثَالِ، لِكَيْ يَنْظُرُوا فَلَا يُبْصِرُوا، وَيَسْمَعُوا فَلَا يَفْهَمُوا. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَثَلِ: الزَّرْعُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ" [إنجيل لوقا، الإصحاح: ٨، العدد: ١١].

وهم يقولون ان الزارع هو يسوع ﷺ بينما الزرع ليس يسوع، بل كلمة الله ﷻ! فهل عند هذا السفسطي، الزرع خالق وليس مخلوق؟ إذا تأتأ وتأول فهذا هو الكيل بمكيالين وهذا هو الهوان. ومهما كانت تأتأته وحججه فهي ثابتة عليه أن كلمة الله ﷻ لا تعني أنها الخالق نفسه، وإذا بان له بالدليل ذلك، فإنه يجب أن العلم أن المسيح كلمة الله أي ليس الكلمة صارت عيسى ﷺ، ولكن بالكلمة صار عيسى ﷺ. كلنا كلمة الله ﷻ كلنا صرنا وخلقنا بكلمة من الله، أي كلنا كلمة منه ﷻ وهي كلمة القدرة ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. فعيسى كآدم ﷺ مخلوق من تراب بكلمة الله ﴿كُنْ﴾ [البقرة: ١١٧] فكان، فالله ﷻ حين يقول عن المسيح ﷺ أنه كلمته أي أنه تكون بكلمة القدرة ﴿كُنْ﴾ [البقرة: ١١٧] فكان.

مقارنة تلخيصيه بين وحي الهداية وحي التكليف

وحى النبوة والتكليف	وحى الهداية والفترة	
الأنبياء والرسل	جميع المخلوقات	حامله
شرعية دينية	قدرية كونية	كلمات الله
المكلفون	المكلفون وغير المكلفين	مستقبله
العقل والتمييز	الخلق والتقدير	لوازمه
اختياري	جبري	التزامه
تكليفي	فطري، جبلي	نوع الوحي
إعلام العقل	إعلام الفطرة	إعلام الوحي
الآيات والمعجزات	الظواهر والمخلوقات	دليله
التوحيد والعبودية	العناية والهداية والتقدير	مدلوله
العقليات والنقليات	الفطرة والبديهة والضرورات	مُستنده
عبادة الله وجنة الآخرة	بقاء واستمرار الحياة	غايته

الوحي: صفته ووقعه على النبي ﷺ

الأحوال التي يأتي بها الملك جبريل عليه السلام على النبي ﷺ

في النوع الثالث من أنواع التكليم، وهو الذي ينصرف إليه العقل والعرف اليوم بقولنا 'وحي' وهو وحي الرسالة والنبوة، فإن جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ - لتبليغ الوحي- على ثلاثة أحوال:

١. يظهر للرسول ﷺ على صورته الحقيقية الملكية: التي خلق عليها ولم يحصل هذا إلا مرتين رآه مرة

بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ورآه ﷺ مرة ثانية

ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾

[النجم: ١٣-١٤].

٢. يظهر على صورة إنسان: يراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في حديث **عمر** رضي الله عنه الذي أخرجه **مسلم**: قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، قال: "صدقت"، قال: "فعجبنا له يسأله ويصدقه"، قال: "فأخبرني عن الإيمان"، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: "صدقت"، قال: "فأخبرني عن الإحسان"، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: "فأخبرني عن الساعة"، قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: "فأخبرني عن أمارتها"، قال: (أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: (يا عمر أتدري من السائل؟) قلت: "الله ورسوله أعلم"، قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)"^{٦١}.

٣. يهبط على الرسول خفية فلا يرى: ولكن يظهر أثر التغيير والانفعال على صاحب الرسالة، فيتصبب من جبينه العرق في اليوم الشديد البرد. ويأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال، قالت **عائشة** رضي الله عنها: "ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا"^{٦٢}.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الحالتين الأخيرتين في إجابته **للحارث بن هشام** رضي الله عنه لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)"^{٦٣}. ومعنى فصم: أي أفلع وانكشف.

وَفَعَّ الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم

وكانت تحصل مع النبي صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه أحوال، يراها ويسمعها ويشعر بها من حوله من أصحابه رضي الله عنهم، وفي بعضها معاناة شديدة مثل وقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وذلك أشد أنواعه، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّ عليَّ فَيَفْصِمُ عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قال)"^{٦٤}.

٦١ المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: عمر بن الخطاب | رقم الحديث: ٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
٦٢ المصدر: صحيح ابن حبان | المحدث: ابن حبان | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٣٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
٦٣ المصدر: صحيح البخاري - مسلم | المحدث: البخاري - مسلم | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٢ - ٢٣٣٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
٦٤ متفق عليه- التخريج السابق

يسمع صلصلة الجرس

- سماع صوت عند الوحي: والثابت في مقامه ﷺ أنه يسمعه كصلصلة الجرس. وإنه يسمع ويعي ما يوحي إليه دون لبس ولا خفاء، ومن غير شك ولا ارتياب، فيجد ما أوحى به إليه حاضراً في ذاكرته، كأنما كتب في قلبه. وربما سمع الحاضرون صوتاً عند وجه الرسول ﷺ كأنه دوي النحل، لكنهم لا يفقهون كلاماً، فجاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سُمع عند وجهه كدوي النحل"^{٦٥}، فهذه الرواية إن صحت تكون باعتبار سمع الصحابة له.

يصيبه التعرق الشديد

- أن يفيض جبينه وجبهته الشريفة بالعرق: حتى في اليوم الشديد البرد. قالت عائشة رضي الله عنها: "وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبُرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ -أَي يَنْقَطِعُ- وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْفَصِّدُ -أَي يَسِيلُ- عَرَقًا"^{٦٦}. وعن عائشة رضي الله عنها كذلك: "حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ -كَاللُّوْلُؤِ- مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ مِنَ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ"^{٦٧}
- وهذا فيه دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية، من ثقل ما يُلقيه عليه الملاك من القول.

يثقل ثقلاً شديداً

- أنه يثقل وزنه ﷺ جداً: فيظهر أثر ذلك على دابته، حتى إن البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك إن جاءه الوحي وهو عليها، فجاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إِنْ كَانَ لِيُوحَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ -ناقته- فَتَضْرِبُ بِجَرَانِهَا"^{٦٨}، ومعنى تضرب بجرانها أي تمد عنقها من التعب بل وحتى خشي زيد بن ثابت على فخذته أن ترضّ والنبي ﷺ يوحى إليه، وقد كانت فخذته رضي الله عنه تحت فخذ النبي ﷺ فجاء في الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخَذَهُ عَلَى فَخْذِي فَتَقَلَّتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرْضَ فَخْذِي"^{٦٩}.

٦٥ المصدر: ضعيف الترمذي | المحدث: الألباني | الراوي: عمر بن الخطاب | رقم الحديث: ٣١٧٣ | خلاصة حكم المحدث: ضعيف
 ٦٦ المصدر: صحيح ابن حبان | المحدث: ابن حبان | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٣٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٦٧ متفق عليه | المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٢٧٧٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٦٨ المصدر: مسند أحمد | المحدث: شعيب الأرنؤوط | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٢٤٨٦٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٦٩ المصدر: صحيح البخاري | المحدث: البخاري | الراوي: زيد بن ثابت | رقم الحديث: ٢٨٣٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

يصيبه الكرب وشدة الحمى

- **وكان تصيبه شدة: فعن عائشة** رضي الله عنها، وهي تتحدث عن وحي الله على نبيينا ﷺ ببراءتها من حادثة الافك، فقالت: "قَالَ اللَّهُ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ نَبِيَّهُ ﷺ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ - أي شدة الكرب وشدة الحمى - عِنْدَ الْوَحْيِ" ^{٧٠}.

يحمّر وجهه ويتغير لونه من الغط والعصر

- كان يتغير وجهه ﷺ فيتردد ثم يحمّر. فجاء في الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ كُرْبٌ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ" ^{٧١}. ومعنى كُرْبٍ أي أصابه الحزن. وتردد أي تغير وصار كلون الرماد. وقد وصف الصحابي الجليل يعلى بن أمية وجه ﷺ النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه بقوله: "فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ يَغْطُ سَاعَةً ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ (أَبْنُ الدُّنْيَةِ سَأَلَنِي عَنِ الْعُمْرَةِ أَنْفًا) ^{٧٢}". والغط أي العصر كما جاء في الحديث في (صحيح البخاري)، عن بدء الوحي حيث قال: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ - أي ضمني وعصرني - حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ) ^{٧٣}.

ينكس رأسه ويغطيه بثوب

- أن ينكس رأسه، ويغطيه بثوب: فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ نَكَسَ رَأْسَهُ وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ فَلَمَّا أُنْتَلَى عَنْهُ - أي ارتفع عنه الوحي - رَفَعَ رَأْسَهُ" ^{٧٤}. وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَرَفْنَا ذَلِكَ فِيهِ فَتَنَحَّى مُنْتَبِئًا خَلْفَنَا قَالَ فَجَعَلَ يُغَطِّي رَأْسَهُ بِثَوْبِهِ وَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفْنَا أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَاتَانَا فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] ^{٧٥}.

يحرك لسانه قراءة بالوحي والتعجل به

- ان يحرك لسانه قراءة بالوحي والتعجل به: كان ﷺ يحرك لسانه بسرعة وشدة ليحفظ عن جبريل رضي الله عنه حتى نهاه الله ﷻ عن ذلك وطمأنه أنه سيجمع القرآن له في صدره. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ ﷺ ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ النَّزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحْرِكُ بِهِ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ

٧٠ متفق عليه | المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٢٧٧٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٧١ المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ | رقم الحديث: ٢٣٣٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٧٢ المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: يعلى بن أمية | رقم الحديث: ١١٨٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٧٣ المصدر: صحيح البخاري | المحدث: البخاري | الراوي: عائشة أم المؤمنين | رقم الحديث: ٦٩٨٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٧٤ المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ | رقم الحديث: ٢٣٣٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٧٥ المصدر: تخريج المسند لشاكر | المحدث: أحمد شاكر | الراوي: عبدالله بن مسعود | الجزء: ٦/الصفحة: ١٩٤ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، قَالَ: جَمَعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، -أي إذا فرغ جبريل من قراءته- ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، قَالَ: فَاسْتَمِعَ لَهُ وَأَنْصِتُ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ^{٧٦}.

يُسمع تردد انفاسه في أنفه

• كان يُسمع تردد انفاسه في أنفه كغطيط البكر، وهو الفتى من الإبل. فجاء في الحديث عن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال: "وددت أني قد رأيت رسول الله ﷺ وقد أنزل عليه الوحي فقال عمر: تعال، أيسرك أن تنتظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله عليه الوحي؟ قلت: نعم، فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط، وأحسبه قال: كغطيط البكر"^{٧٧}.

والغطيط: هو النفس الذي يتردد ويتحسرج في صدر المرء، وهو على حسب الحال، فإما نَحِيزُ كما عند النائم، أو صوتٌ فيه بُحُوحةٌ كما عند المخنوق. وهذا الصوت في حق النبي ﷺ من الشدة لا النوم، بدليل أنه قد شبهه بغطيط البكر بفتح الباء، ولم يُشبهه بغطيط النائم، وكأنه أشبه بصوت المخنوق، كما قال الشاعر:

يَعْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَافُهُ لِيَقْتَلَمِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالِ^{٧٨}

فهو كصوت النفس الخارج من أنف الإبل الفتى الشاب، وليس كغطيط النائم (الشخير/النخير)، وقد قارب عمر رضي الله عنه صوته للسائل برفعه طرف الثوب. وهذه تُضاف مع سياق وصف حاله ﷺ ان جبريل رضي الله عنه يغطه أي: يعصره ويخنقه، مع احمرار وجهه وتربده وتسارع أنفاسه، فكل هذا ليس وصف نائم، بل وصف من هو في شدة وعصر.

يتضح من هذه الأنواع أن الوحي حَدَثٌ مفاجئ يطرأ على النبي ﷺ دون أن يتوقعه أو يتطلع إليه، وانه مع ذلك واعٍ به متحكم فيه شاعر به، فيحرك به لسانه ثم يمنع ان يحركه فلا يحركه، ويغطي بيديه وجهه بثوبه، فهو في تحكم كامل، لا فيه نوم او سقوط، ولم يثبت قط أنه كان يحنق عند فمه، ولا أنه يتمدد على الأرض عندما يأتيه الوحي، ولا أنه كان يعرض على شفثيه، ولا أنه يغلق عينيه، فكلها دعاوى مغرضة باطلة روج لها بعض المستشرقين مغالطين لنسبة الصرع الى النبي ﷺ، بل ومع التفصيل فيما سبق، فانه يدحض الشبهة بالكلية أنه كما يظهر من الروايات يشترك في سماعه ورؤيته من حوله من الصحابة رضي الله عنهم، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

٧٦ المصدر: صحيح مسلم | المحدث: مسلم | الراوي: ابن عباس | رقم الحديث: ٤٤٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
٧٧ المصدر: صحيح البخاري | المحدث: البخاري | الراوي: يعلى بن أمية | رقم الحديث: ١٧٨٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح
٧٨ المصدر: ديوان امرئ القيس - الصفحة: ١٣٧

هل الوحي أمر داخلي من نفس الرسول ﷺ أم خارجي عنه؟ وما أهمية معرفة ذلك؟

هل الوحي شيء يأتي به النبي من داخله وتلقاه نفسه، يؤلفه أو يزيفه أو قناعة شخصية أو يكذب به، نتيجة ذكاء أو عبقرية، أو ينقله من مصدر آخر؟ أم هو أمر خارجي لا يتحكم فيه؟

الجواب: إنَّ الوحي أمر خارجي عنه ﷺ، بمعنى أنه لا تحكم له فيه.

خلافاً لما تشبث به كثير من المستشرقين بأنه أمر داخلي، حتى يتوصلوا إلى التشكيك في ظاهرة الوحي والنبوة التي هي أخص مزايا الرسول ﷺ، وهم في هذا يرون أن محمداً ﷺ بعبقريته الفذة، وفطرته السليمة، كان المصدر الوحيد للقرآن، أو أنه جاء به من عند نفسه، بطريق الإلهام، أو من تأثير البيئة التي نشأ فيها، أو أنه القاه إليه أحد غيره، أو أنه كان على علم بالأديان عقائد اليهود والنصارى، فهو ليس وحياً إلهياً من عند الله ﷻ.

المعايير المقترحة للبرهنة على أن الوحي أمر خارجي عن النبي ﷺ**السؤال: وما الدليل على أنه أمر خارج عنه ﷺ؟**

الجواب: يكون ذلك بإثبات أنه ليس داخلياً، الأمر الداخلي إما منه بمرض، وإما منه بذكاء وعبقرية، وإما من غيره، والأمر الخارجي من الله ﷻ.

أدلة نافية كونه من داخل النبي ﷺ

١. حالات الوحي وما دلت عليه الروايات الصحيحة
٢. الأدلة العقلية على أن القرآن ليس من تأليف النبي ﷺ
٣. الأدلة العقلية على أن القرآن ليس من تأليف غيره

أدلة مثبتة كونه خارجاً عنه ﷺ وعن مقدور البشر

١. أسلوب القرآن البليغ المعجز، والتحدي المفتوح
٢. أدلة صدق النبي ﷺ
٣. صدق النبي ﷺ (المرسل) في ذاته وفي أخلاقه، قبل البعثة وبعدها
٤. تصديق النبي ﷺ للأنبياء قبله

٥. التواطؤ الكوني: ما تضمنه القرآن من إشارات علمية دقيقة، ونبوءات غيبية
٦. التواطؤ الغيبي: صدق وتحقق النبوات والمعجزات وبشارات الانبياء قبله ﷺ
٧. التواطؤ الآني الحاضر في زمانه ﷺ: نُبُؤَاتِهِ، وبشاراته
٨. حقيقة الدعوة: وحقيقة دعوة النبي ﷺ هي التوحيد

أدلة حجاجية ملزمة بنيوته

٩. الالتزام الالهي بمتلية الوحي
١٠. الالتزام العقلي بانقطاعهم والرد على شبهاتهم
١١. إلزامهم بما عندهم وهو أشنع

وسياتي تفصيل كل ذلك في الحديث عن حجية الوحي.

الإحاطة والعلم بأركان الوحي عند أهل الكتاب

النبوات والمعجزات وخوارق العادات

لا نبوة بلا معجزات

النبوة هي أصل المعجزة، فلا نبوة بلا معجزات، والمعجزات قد يُعلم بها ثبوت الصانع -إثبات الخالق ﷻ- وصدق الرسول ﷺ معاً، والمعجزة -آيات الله الكبرى- دليل على النبوة كما أن الكرامة -آيات الله الصغرى- دليل على صدق المتبع للنبوة الصادقة. ودلالة المعجزة على صدق النبوة معلوم بالضرورة، فأيات الأنبياء هي أدلة وبراهين على صدقهم، والدليل يستلزم المدلول عليه، أي متى وُجد الدليل وُجد المدلول. فكما أن الحادث دليل على المحدث؛ أي إذا وُجد الحادث دلّ على وجود المحدث، ويمتنع وجود حادث بلا محدث، فكذلك المعجزة دليل على صدق النبوة، فإذا وُجدت المعجزة دلت على النبوة، ويمتنع وجود المعجزة -الدليل- مع غياب صدق النبوة -المدلول-.

قصور قولنا خوارق العادات، والتعريف الاصطلاحي للمعجزة

قصور قولنا خوارق العادات

وقد قالوا 'إن من شرط المعجزة أو الآية للأنبياء أن تكون خارقة للعادة'، أي: خارجة عن المألوف، مخالفة للمعهود، لكن هذا القول غير دقيق لأمرين:

١٢. أن لفظ العادات غير دقيق وغير منضبط: لأن هناك عادات قد يعتادها قوم وقد لا يعرفها ولا يعتادها آخرون. فإذا ما جاءهم شخص بعادة لا يعتادونها فقد خرق عاداتهم، ولذا فمجرد خرق العادة ليس في ذاته معجزة ولا آية، أي أنه في ذاته مصطلح غير دقيق. والسحرة في سحرهم يخرقون العادات ولا يستطيع أحد أن يأتي بجنس ما فعلوه.

١٣. أن المعجزات منها ما هو كذلك من عادات الأنبياء: ومتماثلة، ويشتركون في بعضها، فليس كل معجزات الأنبياء خارقة لعادات الأنبياء.

١٤. أن من المعجزات ما هو قدر مشترك بين النبي وغير النبي

١٥. إذا كان مصطلح 'الخارق للعادة' غير منضبط، فإنه لم يأت به نص في الكتاب أو السنة. وإنما ما جاء هو الآية والبينة والبرهان: والمراد بهم جميعًا ما اصطلح المتأخرون على تسميتها بالمعجزة. ومن باب التقسيم والاصطلاح النظري للتيسير على طلاب العلم، ووقوفهم على دقائق الفروق، فقد اصطلح العلماء على تسمية آيات الأنبياء معجزات، وتسمية آيات الأولياء كرامات.

ولذا فقصر المعجزة على كونها خارق للعادة، فهذا لا تفريق فيه بين ما يأتي به النبي وغير النبي؛ لأنه متى عُرف أنه يوجد منها لغير الأنبياء بطلت دلالة الاعجاز، وبطلت النبوات. فهو ممتنع على الله ﷻ أي يمنع العقل جوازه على الله ﷻ، لأنه منافٍ لحكمته وعدله أن يُظهر معجزات الأنبياء وآية صدقهم على يد كذاب. كما أن من معجزات النبي وخواص الانبياء الإخبار عن الغيب، والإنباء به، وهذا لا يتأتى لأحدٍ من البشر، ولا يقدر عليها إلا الله ﷻ ولمن اصطفاه الله ﷻ من انبيائه وأوليائه، فيمتنع وقوعه في حق غير الأنبياء.

وبالتالي فإنه يتوجب عند استخدام هذا المصطلح 'خوارق العادات' ألا يُكتفى بالقول أن تكون معجزة النبي خارقة للعادة، بل يجب أن يعلم أنها خارقة لعادة غير الأنبياء، من الثقلين إنسهم وجنهم، أي أن جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس ومقدور الجن، فلا يوجد لها نظير عند أحد من البشر غير الأنبياء، بحيث لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، فيثبت أنها من عند الله ﷻ.

تعريف المعجزة في الاصطلاح

ولذا فيمكن تعريف المعجزة في الاصطلاح: بأنها خوارق عادات الأنبياء؛ الدالة على صدقهم، مع سلامة المعارضة، والإتيان بمثلها.

مراتب خوارق العادات

مراتب خوارق العادات ثلاثة:

١٦. خوارق عادات للأنبياء: وهي الآيات والبيانات والبراهين وهي ما تُسمى معجزات، وتكون للأنبياء، لا تكون لغيرهم، وهي خرق لعادة كل البشر في الماضي والحاضر والمستقبل، بل خرق لعادة الثقلين الإنس والجن. وقد تكون معجزات النبي خارقة لعادات غيره من الأنبياء، وقد يكون منها ما هو مشترك متشابه ومتماثل، وقد يكون بعضها أعظم من بعض.

١٧. خوارق عادات للأولياء: وهي ما تُسمى كرامات، وهي إما خرق عام لعادة كل الناس في زمان هذا الولي، أو خرق خاص لعادة قومه وأهل بلده (كما مع ستنا مريم). وكرامات الصالحين منها ما هو من جنس آيات الأنبياء كأن تكون النار عليه بردًا وسلامًا، وكتكثير الطعام وغير ذلك، لكن هذا في حقيقته دلالة على اتباعهم للنبي، ودليل على صدق دين هذا النبي، لا تدل على أن الولي معصوم، أو أن يجب طاعته في كل ما يقول. وهذا سبب ضلال النصارى فيمن أطاعوهم. فتكون كرامات الأنبياء في أصلها من معجزات النبي، فمعجزات الأنبياء: ارهاصات قبل النبوة، ومعجزات وآيات أثناء النبوة، ومعجزات وآيات وكرامات أولياء بعد النبوة.

١٨. خوارق عادات للفجار ولأهل الصنعة: سواءً من الفجار والكفار، فالكافر كالسحرة والكهان يخرقون بما اكتسبوه من صناعة السحر ما لا يعرفه من ليس بساحر، وكذا مبتدعة المسلمين، وكذلك أهل الصنعة كالأطباء والمهندسين فهو خرق بالاكْتِسَاب والتعلم لما لا يعرفه من ليس بطبيب أو مهندس، ومنها خوارق الدجال والكذاب بالحيلة والخديعة لإيهام الناس بغير الحقيقة، ومنه ما يُخرق للمسيح الدجال.

المعجزة والكرامة متعلقة بكمال الله ﷻ (العلم والقدرة والغنى)**خوارق الأنبياء والأولياء متعلقة بصفات الله: العلم والقدرة والغنى**

ثم إن خوارق الأنبياء والأولياء هي من عند الله ﷻ وحده، ومتعلقة بالعلم والقدرة والغنى، وهذه الثلاثة عليها مدار صفات الكمال الذي لا يكون إلا لله ﷻ وحده، بينما يُقدر سبحانه بقدر منها لمن شاء من عباده:

١٩. العلم: فهو ﷻ من ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

٢٠. القدرة: وتكون قدرة على الفعل أي التأثير، سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]

٢١. الغنى: وهو القدرة على الترك، فهو ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

ومثل هذا النفي جاء على لسان المسيح ﷺ، كما بينه الله ﷻ، فقال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ وَتَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣٢﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

وهذه الشهادات بنفي القدرة والعلم والغنى، ثابتة على لسان المسيح ﷺ فيما لا يزال من الهدى والنور في كُتُب أهل الكتاب، فينفي عن نفسه العلم، كعلم الغيب فيقول: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده" [إنجيل متى، الإصحاح: ٢٤، العدد: ٣٦]، وفي ذلك يقول القديس إيريناوس (٢٠٢م) قبل أن تظهر تبريرات من عبدوا المسيح ﷺ بعده بقرن وجعلوه هو الله نفسه: "فحتى الرب ابن الله الحقيقي اعترف بأن الأب وحده يعلم بالتحديد -وقت- يوم وساعة الدينونة، وذلك حينما أعلن بوضوح: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الابن إلا الأب" [إنجيل مرقس، الإصحاح: ١٣، العدد: ٣٢]. فإذا كان الابن لم يستح من أن ينسب علم ذلك اليوم للأب وحده وإنما أعلن حقيقة الأمر فعلينا أيضاً ألا نستح من أن نترك لله تلك الأسئلة الكبرى التي تأتينا"^{٧٩}. ثم يرد سبب عدم علم المسيح ﷺ إلى أنه أقل من الأب وأن الأب -الله ﷻ- فوق الكل، فيقول: "وذلك لتتعلم منه أن الأب فوق الكل، لأنه كما يقول المسيح: "الأب أعظم مني" [إنجيل يوحنا، الإصحاح: ١٤، العدد: ٢٨]، لذلك فإن ربنا أعلن تفوق الأب فيما يتعلق بالعلم"^{٨٠}. فالسبب الذي جعل علماء القرن الرابع -وما بعده- لأن يختلفوا بتبريرات ومعانٍ لم يقل بها المسيح ﷺ إنما هي بسبب أن القرن الرابع شهد رفع المسيح ﷺ من مرتبة تحت الله ﷻ إلى مرتبة مساوية لله ﷻ وجعلوه هو الله ذاته^{٨١}.

ونفى المسيح ﷺ عن نفسه القدرة والاستطاعة والمشية: فيسوع ﷺ لا يقدر أن يفعل من نفسه أي شيء كما جاء منسوباً إليه في إنجيل يوحنا: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينوتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الذي أرسلني" [الإصحاح: ٥، العدد: ٣٠]. وكذلك في إنجيل يوحنا: "فقال يسوع لهم: الحق، الحق أقول لكم: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك" [الإصحاح: ٥، العدد: ١٩]. وهو ما فهمه أتباعه من الحواريين عن معجزاته، وإنها دليل نبوة لا دليل ألوهية، كما جاء في سفر أعمال الرسل: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات و عجائب و آيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم أيضاً تعلمون" [الإصحاح: ٢، العدد: ٢٢].

٧٩ المصدر: كتاب ضد الهرطقة | المؤلف: إيريناوس | الجزء: ٢ | الصفحة: ٢٨-٦
٨٠ المصدر: كتاب ضد الهرطقة | المؤلف: إيريناوس | الجزء: ٢ | الصفحة: ٢٨-٨
٨١ www.hurras.org/vb/forum/المنبر-المسيحي/الثالث-واللاهوت-المسيحي/٥٢٣٠٦-المسيح-لا-يعلم-وقت-يوم-القيامة-عرض-لتخطبات-آباء-الكنيسة-وتناقضاتهم-بسبب-قوة-النص

كما بين افتقاره لله وأثبت عبوديته له، وأنه ليس إلا رسول الله، فقال في إنجيل يوحنا: "وهذه هي الحياة الأبدية، ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" [الإصحاح: ١٧، العدد: ٣]. وجاء في نفس الانجيل أيضاً: "وَرَفَعَ يَسُوعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ دَوَّماً تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنِّي قُلْتُ هَذَا لِأَجْلِ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِئُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي" [الإصحاح: ١١، العدد: ٤١-٤٢] وقال في إنجيل يوحنا: "لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأعملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني" [الإصحاح: ٥، العدد: ٣٦].

وهكذا فإن الحق واضح جلي، أن الله ﷻ يصطفي من شاء رسلاً وأنبياء، وبعضهم من قدرته وعلمه مع غناه عن العالمين، وهم مفتقرون إليه مقرون بأن العلم والقدرة ليست إلا من الله ﷻ.

تصنيف خوارق الأنبياء والأولياء المتعلقة بصفات الله: العلم والقدرة والغنى

ويمكن تصنيف المعجزات، والكرامات التي يقرها الله لنبي من أنبيائه، أو ولي من أوليائه، تحت أحد هذه الأبواب الثلاثة المتعلقة بالعلم والقدرة والغنى:

٢٢. خوارق العلم (المكاشفة والكشف): كعلم السماع -المُخاطبات- وتشمل النبوات واخباره عن الغيبات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، ومنها الوحي والإلهام أو الفراسة الصادقة، أو علم الرؤية إما يقظة وهي المشاهدات كقول عمر رضي الله عنه: "يا سارية الجبل" ^{٨٢}، أو مناماً وهي المُبَشِّرَات، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ) ^{٨٣}.

٢٣. خوارق القدرة: فإما أن تكون عُلُويَات مثل صعود الأنبياء إلى السماء ومعراج النبي، وانشقاق القمر. وإما جَوِّيَات كالاستسقاء ونزول المطر، والإسراء، والإتيان بعرش سبأ كما فعل من عنده علم من الكتاب. وإما أرضيات كاهتزاز الجبل أو تكثير الماء في عين تبوك والحديبية، أو نبعه من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، وعصا موسى صلى الله عليه وسلم، وقلق البحر، وناقاة صالح صلى الله عليه وسلم، وإحياء الموتى. وإما مُرْكَبَات كاستجابة الدعاء، والهمة والصدق، أو تذليل النفوس له، أو اهلاك عدوه ومن يشتمه، ومنه قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارَبَةِ وَإِنِّي لَأَتَّأُرُّ لِأَوْلِيَائِي كَمَا يَتَّأُرُّ اللَّيْثُ الْحَرْبُ) ^{٨٤}.

٢٤. خوارق الغنى: فيغنيه بفضل الله صلى الله عليه وسلم عن سواه، وتأتيه الأرض والدنيا والملوك راغمة. وكاستغناؤه صلى الله عليه وسلم عن الأكل والشرب فيما يُعرف باسم الوصال وقد تواتر ذلك عنه. كما جاء في (صحيح البخاري): "أَنَّ النَّبِيَّ

٨٢ المصدر: السلسلة الصحيحة | المحدث: الألباني | الراوي: عمر بن الخطاب | رقم الحديث: ١١١٠ | حكم الحديث: إسناده جيد حسن
٨٣ المصدر: سنن الترمذي | المحدث: الترمذي | الراوي: أبو الدرداء | رقم الحديث: ٢٢٧٣ | حكم الحديث: حسن
٨٤ المصدر: صحيح البخاري | المحدث: البخاري | الراوي: أبو هريرة | رقم الحديث: ٦٥٠٢ | حكم الحديث: صحيح

﴿وَاصِلٌ، فَوَاصِلَ النَّاسِ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَتَنَاهُمْ، قَالُوا: إِنَّكَ تَوَاصِلٌ، قَالَ: (لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظْلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى)﴾^{٨٥}.

مقارنة بين خوارق عادات الأنبياء وخوارق عادات السحرة والكفار

خوارق عادات السحرة والكفار	خوارق عادات الأنبياء
يذم بعضهم بعضا	يصدق بعضهم بعضا
علم واكتساب وحيلة	اصطفاء
مقترنة بدعوة الشخص لمجد نفسه	مقترنة بدعوة التوحيد وعبادة الله ﷻ
الكذب	الصدق
تمائم ولغة كهانة	قرآن ووحى وهداية
يتنبا بالكذب والدجل	يتنبا بالصدق
حيلة يمكن معارضتها	معجزة لا تُعارض
النفع والضرر	نفع العباد وهدايتهم
الجن والشياطين	جبريل والملائكة
بلسان غير مفهوم	بلسان قومه
غير معصومين	معصومون من الكبائر
خطاب خز عبي وهمي وضلالي	خطاب العقل والفطرة والضرورة
تُعلم لا تُورث	تُورث لا تُعلم
تخرصات لا يعضدها برهان	براهين عقلية ونقلية
ما يستدلون به على مدلولهم موجود في وجود المدلول وعدمه	مستلزم للمدلول عليه مختص به
مقدور للإنس والجن	غير مقدور للإنس والجن
دليلهم على صدقهم هو جنس كذبهم وحيلتهم	لا يتوقف صدق النبي على المعجزة، بل يثبت كذلك بغيرها

الوحي والتبوة عند أهل الكتاب

تعريف الوحي عند أهل الكتاب

الوحي عند أهل النصارى هو إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر. وهو عمل روح الله، أو بعبارة أدق: عمل الروح القدس. فالروح القدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم، ويجعلهم أداة للوحي الإلهي. وعندهم في الكتاب عن النبي: "واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به" [سفر التثنية، الإصحاح: ١٨، العدد: ١٨].

وهم يفرقون بين النبي وبين الرائي، وربما لا يعرف هذه التفرقة معظم النصارى، النبي تعبير عن المرسل الحامل لكلام الله ﷻ ومعطيه فهو يعمل على توصيل الكلمة للاخرين "active" أما الرائي فتعبر عن استقبال كلام الله ﷻ بالاستعلان فمعناها يعود على الشخص نفسه "subjective" ويسمون النبي كذلك: رجل الله، عبد الله، وخادم الله والمرسل، ورسول الرب، وملاكي وملاك العهد.

أحوال أنبياء الكتاب المقدس عند نزول الوحي

أحوال أنبياء الكتاب المقدس عند نزول الوحي:

٢٥. ذهول وغيوبة
٢٦. سهو واختطاف حواس وعقل
٢٧. خوف ورعدة وتغطية وجه
٢٨. غياب عن الحس واختطاف عقل
٢٩. رؤية رجل أو سماع صوت متكلم
٣٠. ذبول الوجه
٣١. التصاق الوجه بالتراب
٣٢. انفعال وانزعاج جديد
٣٣. جذب روحي

الوحي عند النصارى كما يقول ميخائيل مينا في كتاب (علم اللاهوت)^{٨٦}:

(حالة الملهم وقت الوحي) ما حادة الملهم وقت الوحي فقد وعصفها علباء
الكتاب بقولهم: أن النبي أو الرسول الملهم يحصل له وقت الوحي سهو وهو
ذهول وغيبوبة واختطاف عن الحواس. ويصدر ذلك لاستغراق عقله
وتأمله في الأشياء المتعظمة والأسرار العميقة استغراقاً هنا حده حتى أنه
يتبين أنه ترك جسده ونفث عن حسه واختطف عقله.

وحالات الوحي عند انبياء الكتاب المقدس من اليهود معلومة، وهي ملزمة لليهودي والنصراني: فهذا حال
موسى ﷺ: "وَوَظَّهَرَ لَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ... ثُمَّ قَالَ: "أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ". فَعَطِيَ
مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ" [سفر الخروج، الإصحاح: ٣، العدد: ٢-٦]. فنجد هنا اقرار حدوث الخوف
لموسى ﷺ، وهو مما جرت عليه العادة بين الانبياء، ومنهم كذلك النبي دانيال عندهم، وبين ذلك الرابي
موشي بن ميمون في كتابه (دلالة الحائرين)^{٨٧} ومنه اقتبس:

س ٤١٩

لا احتاج ان ابين الحُلم (١٤٥٤) ما هو؟ اما المرأى (١٤٥٥) وهو قوله :
فبالرؤيا اتمرف له (١٤٥٥) وهى التى تسمى مرأى النبوة (١٤٥٧) وتسمى 10
ايضا يد الرب (١٤٥٨) ، وهى ايضاً تسمى رؤىة (١٤٥٩) . فهى حالة مزعجة
مهولة تصحب النبي فى حال اليقظة كما تبين فى دانيال فى قوله: رأيت
هذه الرؤيا العظيمة فلم تبق فى قوة ، ونحو ذلك نضرتى فى الى ذبول ،
ولم املك قوة وقال : كنت فى سبات ، وانا على وجهى ووجهى
ملتصق بالتراب (١٤٦٠) . فاما | خطاب الملك له واقامته له ، فكل ذلك بمرأى 15
ب - م

٤١٩

النبوة (١٤٥١) . فى مثل هذه الحالة تتصلل الحواس ايضاً عن فعلها ويأتى
ذلك القبيض لقوة الناطقة ويفيض منها على التخيلة ، فتكفل وتعمل
فعلها . وقد يتبدئ الوحي بمرأى النبوة (١٤٥١) ، ثم يعظم ذلك الانزعاج
والانفعال الشديد التابع لكامل فعل التخيلة . وحينئذ يأتى الوحي كما تنبأه
فى ابراهيم الذى جاء فى ابتداء ذلك الوحي : كان كلام الرب الى ابرام
فى الرؤيا (١٤٥٢) وآخره : وقع سبات على ابرام الخ (١٤٥٣) وبعد ذلك:
فقال لابرام الخ. (١٤٥٤)

٨٦ المصدر: كتاب علم اللاهوت | المؤلف: ميخائيل مينا | الجزء الأول - الصفحة: ٢٤
٨٧ المصدر: دلالة الحائرين | المؤلف: موشي بن ميمون | الصفحة: ٤١٨ - ٤١٩

رؤيا دانيال لرجل

1 وفي السنة الثالثة لحكم كورتن ملك فارس، أعلن وحي إلهياني المذبح بلمناسر، والوحي دائماً حياً. وبعد مكابدة مجيد، أترك فحوى الوحي وفهم معنى الرؤيا. 2 في ذلك الوقت أنا دانيال فمضيت ثلاثة أسابيع في التوج، 3 لم أكن فيها طعاماً شويًا، ولم يذبح في لي لي أو خنزير، ولم أطلب يدعي. 4 وفي اليوم الرابع والبشرى من الشهر الأول، بينما كنت إلى جوار نهر بجلة الكبير، 5 تطلعت حولى فإذا برجل مرتب كئادًا، وحفواه متخترمان ببطاري من ذهب نقي، 6 وجسده كالزبرجد، ووجهه يتألق كالنيز وعينه تتوهجان كمنياخي نار. ووزاعاه ورجلاه لامعة كالخاس المسقول، وأسناده كمنياخ كجاية جهور. 7 كنت وحي أنا دانيال الذي شاهدت الرؤيا، أما الرجال الذين كانوا معي فلم يروا شيئاً. إنما هيمنت عليهم رعدة عظيمة، فهزوا مخيفين. 8 وتبينت أنا وحي أشهد الرؤيا الطبيعية، وقد تلامت في الرؤيا، وتحوّلت لتستازني إلى ليول، وتفتت فذري. 9 وما إن سمعت أسناده كمنياخ حتى سقطت على وجهي إلى الأرض فبنتاهي سادًا عبقًا.

10 وإذا بي لمستني وأمانتي، وأنا أرتجف على يدي ورجلي 11 وقال لي: «يا دانيال، أيها الرجل المخرب، أقيم الكلام الذي أحاطيك به، وقف على رجلك لأني قد أرميتك إلك». وعندنا قال لي هذا الكلام فهضت مرتجداً. 12 فقال لي: «لا تخف يا دانيال، فمئذ اليوم الأول الذي عزيت فيه على الفهم، وتكلمت أمام إلهك، سمعت تصنر عاك، وما أنا جلت تلبية لها. 13 عز أن زيين منلكة فارس قاتمني وأجاد وجشرين يؤما. فأقبل بيخليل، أخذ كبار الرؤساء لمتوني، بعد أن حوزت هناك عند ملوك فارس. 14 وقد جلت الآن لأطبتك على ما لميسب شحك في الأيام الأخيرة، لأن الرؤيا تخلص بالأيام المتطيلة».

15 فلما خاطبني بيثل هذا الكلام، أطرقت بوجهي إلى الأرض وصمت، 16 وإذا بيته بي البتر لمن تنقي، فتتخت في وقت اللال أمالي: «يا سيدي، قد غلبني الألم بسبب الرؤيا، فما تملكك فؤ، 17 فكيف

وفي سفر حزقيال: "كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر هكذا منظر اللعان من حوله. هذا منظر شبه

مجد الرب. ولما رايتها خررت على وجهي. وسمعت صوت متكلم" [سفر حزقيال، الإصحاح: ١، العدد: ٢٨].

وفي سفر حزقيال: "كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر هكذا منظر اللعان من حوله. هذا منظر شبه

مجد الرب. ولما رايتها خررت على وجهي. وسمعت صوت متكلم" [سفر حزقيال، الإصحاح: ١، العدد: ٢٨].

ويقول متى المسكين عن غيبوبة الانبياء واختطافهم، في كتاب (النبوة والانبياء في العهد القديم)^{٨٨}:

الغيبوبة أو اختطاف العقل أو الجذب الروحي عند الأنبياء Ecstasy:

هكذا وصف آباء الكنيسة الأولون حالة الدهن عند الأنبياء. وهي كلمة يونانية ἔκστασις حيث يكون الوعي بالنفس مغلقاً نوعاً ما، حيث يكون عقل النبي خارج الحدود الطبيعية ومرتفعاً لمنطقة الإلهام

النبوة والأنبياء في العهد القديم

١٦

والوعي الفائق للعقل. ولكن تكون النفس في كامل وعيها لقبول الاستعلان ويكون العقل حاضماً لقوى الروح، والشخص يكون في حالة شبه غيبوبة ليستطيع أن يطلع على ما هو فوق المعقول:

+ «فجاع كثيراً واشتهى أن يأكل. وبينما هم يهيمون له وقعت عليه غيبة فرأى السماء مفتوحة...» (أع ١٠: ١٠١٠)

+ «أنا كنت في مدينة يافا فرأيت في غيبة رؤيا...» (أع ١١: ٥)

+ «وحدث لي بعدما رجعت إلى اورشليم وكنت أصلي في الهيكل أبي حصلت في غيبة. فرأيت (الرب) قائلاً لي أسرع واخرج عاجلاً من اورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عني» (أع ٢٢:

١٧ و ١٨)

سؤال: هل الكتب السابقة معجزة، أم لا؟

الجواب: من قال: إنها ليست بمعجزة، فإن أراد ليست معجزة من جهة اللفظ والنظم؛ كالقرآن، فهذا صحيح، لأنهم ضيعوا أصولها، وأما كون التوراة معجزة من حيث ما فيها من معانٍ باقية، لما فيها من الإخبار عن الغيوب، أو الأمر والنهي. فهذا لا ريب فيه. ومما يدلّ على أنّ كتب الأنبياء معجزة: أنّ فيها الإخبار بنبوة محمد ﷺ قبل أن يُبعث بمدة طويلة. وهذا لا يُمكن علمه بدون إعلام الله ﷻ لهم.

كيف يفرق النصارى بين النبي الصادق والنبي الكاذب؟

ولا يفوتنا ان نتوقف بالنقد عند تفريقهم بين النبي الصادق المتكلم بروح الله وبين النبي الكذاب كما يوضحها متى المسكين^{٨٩}. فعنده: النبي الكاذب أو مدعي النبوة يدخل في الغيبوبة أولاً، فتكون الغيبوبة هي الأصل أو الوسيلة والبرهان على النبوة، وتكون غيبوبة عقل، بينما النبي الصادق فإن غيبوبته مسببة بالوحي، وبالتالي تكون غيبوبة روح! ثم يبيّن على ذلك أن مدعي النبوة يدخل الغيبوبة بإرادته، بينما يدخلها النبي الصادق رغماً عنه، بدون إرادته.

النبوة في الكتاب المقدس

+ «لأنه لم تات نبوة قط عشيبة زسان، بل تكلم أناسُ الله القديسون مسرفين من الروح القدس.» (٢ بط ١: ٢١)

والفارق كبير وحظير بين العبوية ecstasy التي تحدث لأشباه المُتَّحِينَ النبوة وبين تلك التي تحدث لأشباه إسرائيل الحقيقيين الذين يتكلمون بكلمة الله. فالذي مدَّعي النبوة يدخل الغيبوبة أولاً لكي يقول هو كلمة بطني أما من الله، وهنا تصح العبوية هي الأصل أو الوسيلة أو الرهان لادعاء الكلمة كأنها من الله، أما أنبياء الله المحاربون أرسلون من الله فحينما نحل عليهم كلمة الله السني يفسروها بأن "بد الله كانت علي"، أو "روح الله علي" أو "في"، فكلمة الله هي التي تعتم على العقل أن يدخل العبوية ليستقبلها، كما يتحمّن أن يفتح وعيه الروحي لكي يكون علسي مستنوي الروح أو الكلمة ليدركها. هنا العبوية أو ecstasy سببها اختلاف مستوى الروح الإلهي أو كلمة الله عن مستوى العقل المادي البشري، فحينما نحل كلمة الله ترفع العقل إلى مستوى الروح الإلهي فيدخل النبي تلقائياً في غيبوبة ويفتح وعيه لاستقبال طبيعة كلمة الله أو روح الله كعمل من أعمال الله: «فحينئذ فتح دهمهم ليهيما الكتب» (كو ٢: ٤٥). هنا النبوة الحقيقية هي صوت الله وعمله بالفعل وكأنما الله يتكلم فيه.

نخرج من هذا بأن العبوية أو أي مظاهر أخرى لدى مُدَّعي النبوة لا يمكن أن تؤدي إلى كلام الله من داخل، أما النبي الحقيقي فالنبوة هي التي تدخله في العبوية خارجاً عن إرادته، ومن هذا يتضح أن مُدَّعي النبوة هو الذي يدخل العبوية بإرادته بوساطة مختلفة، أما النبي الحقيقي فهو يدخل العبوية رغماً عنه أي بدون إرادته: «وكانت يد الرب علي».

فالنبوة في صحتها وقوّتها تعتمد على مدى صحة النفس والعقل، وكلما كانت النفس قوية واضية متفتحة للإلهيات كلما كانت نبوتها عميقة ومفهومة ومؤثرة. أما النفس المريضة فتكون عرضة لتداخلات من قوّات أخرى شريرة تستلجها لأغراض شريرة. وعندنا عينايت مجازة من الأنبياء أصحاب الجسد الثابت والنفس الواضحة والفكر النّسج مثل موسى وإشعيا، فحمايت نبوتهم بامتداد زمن مديد وغطت مساحات واسعة من التدبير والسلوك العقلي والنسني للإنسان السليم، ووضعوا قوانين إلهية للإنسان غاية في العمق والدماثة. فروح النبوة قد وصفت بأنها روح الحكمة والأوهة، روح الفهم والمشورة والقوة، روح الحكمة والتدبير والتبميز، روح العدالة والسلطان والتفوق. فكلنا افتتح الوحي البشري لسعت النبوة وأكسبت وأثبتت.

صورة والاشياء ٢٠٠

وهذا الكلام الذي يقول به كلام غير علمي ولا عملي، ولا يمكن البتة أن يفرق بين النبي الصادق والكاذب،

فكلاهما عندهم يدخل في غيبوبة، فهو يفرق في النظرية إنما الملاحظ للعيان واحدا!

ومتى المسكين يجعل سبب غيبوبة الانبياء من الله ﷻ ووحى الله ﷻ، بينما غيبوبة الكذاب بسبب مادي يتعاطاه، وشيء يفتعله بإرادته.

وهذا الكلام مردود، فلو كان المتنبيء مصابا بالصرع ونسب صرعه إلى الله ﷻ وتنبأ للناس، فهذا صرعه خارج عن إرادته ولم يضطر إلى تعاطي أي شيء، ومع ذلك نسبه إلى الله ﷻ! فلا يمكن أن يكون هذا هو التفريق العقلي الصحيح، وكذلك قد يخفي المتنبيء ما يتعاطاه فليس بالضرورة أن يُعلم ان كان هذا هو السبب، فإن أخفاه فكيف يُعرف ان كانت نبوته صادقة أم كاذبة؟

إذن لابد من معايير مادية وعقلية صحيحة وملموسة، وهذا ما يفتقر إليه أهل الكتاب، وهذه مبلغ ثقافة النصرانية في النبوات، لذا هم ضالون، ولذا استطاع شخص كبولس أن ينسب النبوة لنفسه ويغير دين المسيح ﷺ تماما، وصدقوه، مع أن ما من أحد شاهده وهو يتنبأ، أو يهبط عليه الوحي، كلها دعاوى مرسله ادعاها لنفسه وصنع دعايته في رسائله للكنائس أنه كان معه من رأى وشاهد وعاین، فمن هؤلاء الذين رأوا يا بولس؟!، لا يعرفون!، المهم انهم صدقوه.

نسبة الكتاب إلى الله ﷻ في الكتب المقدسة

العقل والضرورة يوجبان أن يعلن صاحب الكتاب عن أنه مؤلف الكتاب. حتى الكتاب البشري التافه يسجل باسم صاحب الكتاب، أي كتاب بشري له رقم إيداع مسجل باسم مؤلفه، وله شهادة مؤلفه عليه، فما بالك بكتاب رب الارباب؟ أما كُتِبَ أهل الكتاب فلا توجد فيها هذه الشهادة اليوم، كيف لخالق الاكوان ﷻ ان لا يذكر فيها أنه أنزله إن كانت من عند الله ﷻ؟

شهادة إلهية تشهد للقرآن الكريم أنه من عند الله ﷻ وأهمية ذلك

يقول ﷻ:

- ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]
- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]
- ﴿وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمَ ﴿١﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ٢-٥]
- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ؕ إِذَا يُنزَلُ عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٨]
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]
- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايٰتُهُ فُرءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢-٣]

• ﴿وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]

• ﴿وَأَنَّهُ لَفَرْعَانُ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠]

• ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٣-٤٥]

ولهذه الشهادة أهميتها، فإن لم يكن هذا صدقا، فمن ذا الذي يجروا أن يفرد من بين أديان البشر وينسب كتابه لله ﷻ مباشرة، ثم بعد ذلك أتركه الله ﷻ ينتشر شرقا وغربا دون أن يقطعه ويقطع دابرهم؟، يقول ﷻ: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٣-٤٥].

وأهمية هذا كذلك أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي يقول فيه مؤلفه صراحة أنه الله ﷻ. بخلاف التوراة والانجيل أو أي كتاب آخر في الدنيا يُنسب للوحي السماوي. وهذه شهادة في أحقية الكتاب الخاتم وهيمنته، والذي جاء يقرر الحق ويبطل تحريف المحرفين، هو وحده من يُنسب إلى خالق الأكوان.

ولهذه الشهادة أهمية عظيمة في حوارك مع الباحث عن الحق، سواء كان لا دينيا أم كان من أهل الكتاب، فاللاديني يُثبت بالعقل والفطرة كما يُثبت كل البشر بالفطرة أن لكل سببٍ مُسبب، وأن لهذا الكون بداية، إذن فله مسبب، هذه ضرورة عقلية، وهذا ما يثبته العلم الحديث، ولو جاء العلم الحديث بما يُخالف الضرورات العقلية لسقطت كل العلوم، لذا يؤكد العلم أن الكون لا يُمكن أن يكون أزليا أو أوجد نفسه بنفسه، وهذه ضرورة عقلية يصل إليها العلم والعالم والجاهل. فتكون مقدمة اللاديني، في بحثه عن الحق ويعلم أنه المحتاج بفطرته إلى الخالق وأن الله غني عنه، ومع ذلك يدرك أنه لكي يصل إلى الخالق فلا بد أنه أرسل إلينا وحيا، فهنا يبدأ رحلة البحث.

نسبة الكلام في الكتب المقدسة ما عدا القرآن الكريم

وأول شيء يبدأ البحث العاقل عنه في الكتب، هي النسبة إلى الله ﷻ، فإن من يبحث عن وحي الله ﷻ لن يتجه إلى تلك الكتب التي تنفي سماوية مصدرها، بل سيتجه مباشرة إلى كل دينٍ ينسب نفسه إلى السماء، فإذا ما اطلع على التوراة والانجيل وكتب البوذية والهندوسية أو كتب المندائية والمورمون والبهائية وغيرهم فلن يجد فيهم نسبة هذا الكلام إلى الله ﷻ، بل في جميعهم يقول صاحبها ومؤلفها ان هذا كلامه هو بصياغته البشرية، لا يقول ان الله ﷻ نفسه من يتكلم.

فلا تجد أي تدوين لشهادة الله ﷻ بنفسه في هذه الكتب. ففي الكتاب المقدس مثلا: يعتمدون على أنه كلام الله ﷻ بما قاله آباء الكنيسة فقط، وليس بما قال الله ﷻ مباشرة.

ومع ما سبق فالنصارى والقساوسة أن الكلام أسلوب كاتب الانجيل لا كلام الله ﷺ ذاته، وأن الاسلوب يختلف حسب كل مؤلف ورؤيته لكنه مجملا مسوق بالروح القدس، وأما نصوصهم التي يعتمدون عليها ان الكتاب موحى به فهما نسان: نص بولس في تيموثاوس: "كل الكتاب هو موحى به، ونافع للتعليم والتوبيخ والتقويم" [سفر الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح: ٣، العدد: ١٦]، وعندهم في هذه الفقرة خلاف بين مخطوطاتها، فهل: "كل الكتاب الموحى هو نافع" ام "كل الكتاب هو موحى ونافع"، ام " كل كتاب موحى"؟

فإن كان الاول فهو الذي عليه شواهد الكتاب كما هو في نسخة البشيطا السريانية ونسخة ايرونيوموس (جيروم) الفولجاتا اللاتينية، وترجمة لوثيروس ١٥٢٢م. أما الثاني فلا دليل عليه عند جميع آباء الكنيسة وأول ظهور له هو في كتابات يوحنا ذهبي الفم اثاناسيوس وجريجوري النيزني.

وأما أقدم مخطوطات الكتاب المقدس فتوضح كلام بولس أن المراد ليس كتاب بعينه ولا هو العهد الجديد والانجيل، لأنه لم يكن قد كتب في زمانه بإقرارهم ويمكن الاطلاع والاستزادة من هنا^{٩٠}.

وانظر إلى إنجيل مرقس يقول بابيلاس، أحد أقدم رهبان الكنيسة وعاش في نهاية القرن الميلادي الاول وبداية القرن الميلادي الثاني: "اما مرقس فقد كتب ما تذكره"^{٩١}

اما يوسابيوس القيصري، فيذكر ان انجيل المسيح ﷺ لم يُكتب قط قبل ان يكتبه مرقس، حين كتبه بضغط من المؤمنين ببطرس الحواري.



ومن بين الاناجيل الاربعة فقط متى ويوحنا هم تلامذة المسيح ﷺ، بينما لوقا تلميذ بولس، ومرقس تلميذ بطرس:

٩٠ معاذ عليان، " كل الكتاب وكشف الكذاب، (٢ تيمو ٣ / ١٦) - رداً علي القس بسيط"، منتديات حراس العقيدة
 ٩١ المصدر: التاريخ الكنسي (٣: ٣٩، ١٥)

(٥) أما باقى أتباع مخلصنا، الاثنا عشر رسولا، والسبعون تلميذا، وآخرون كثيرون لا يحصى عددهم، فلم يجهلوا هذه الأمور. ومع هذا فمن كل رسل الرب لم يترك لنا أحد شيئا مكتوبا سوى متى ويوحنا، ويقول التقليد أنهما لم يكتبتا إلا تحت ضغط الحاجة.

ومتى كتب انجيله بالعبرانية وليس اليونانية:

١٢٥

٢٤: ٣

(٦) لأن متى، الذى كرز أولا للعبرانيين، كتب إنجيله بلغته الوطنية، [٤] إذ كان على وشك الذهاب إلى شعوب أخرى، وبذلك عوض من كان مضطرا لمغادرتهم عن الخسارة التى كانت مزعومة أن تحمل بهم بسبب مغادرته إياهم.

ويقول بابياس كذلك عن متى، أنه كتب انجيله لليهود وكتبه بالعبرية ليناسبهم، ولعله هو انجيل العبرانيين او غيره.

(٥) وضمن هذه النتيجة يضع البعض أيضا إنجيل العبرانيين [٥] الذى يجد فيه لذة خاصة العبرانيون الذين قبلوا المسيح. وكل هذه يصح اعتبارها ضمن الأسفار المتنازع عليها.

وتقول الموسوعة البريطانية وعلماء النقد النصي اليوم أن متى استخدم تقريبا كل إنجيل مرقس بالإضافة لبعض المواد التي انفرد هو باستخدامها للكتابة.

مدخل الى الانجيل كما رواه متى

ربما في انطاكية (اغناطيوس يستشهد به في أوائل القرن الثاني) او في فينيقية، وكان يعيش في هذه البلاد عدد كبير من اليهود. ومن الممكن آخر الأمر أن نتلمس فيه حملة على يهودية الفريسيين الجمعية المستقيمة، كما تبدو في مجلس جَمِينَا الجمعي نحو السنة ٨٠. ولذلك فالكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الانجيل الأول بين السنة ٨٠ والسنة ٩٠ وربما قبلها بقليل، ولا يمكن الوصول الى يقين تام في هذا الأمر.

أما المؤلف فالانجيل لا يذكر عنه شيئا. وأقدم تقليد كنسي (بابياس، أسقف هيرابوليس، في النصف الأول من القرن الثاني) ينسبه الى الرسول متى - لاوي. وكثير من الآباء (اوريجينس وهيرونيمس وأيغناطيوس) يرون ذلك الرأي، وهناك بعض المؤلفين الذين يستخلصون من ذلك أنه يمكن ان تنسب الى الرسول صيغة أولى آرامية او عبرية لانجيل متى اليوناني. لكن البحث في الانجيل لا يثبت هذه الآراء، دون ان يبطلها مع ذلك على وجه حاسم. فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة، يُحسن بنا ان نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الانجيل نفسه، فالمؤلف يُعرف من عمله. فهو طويل الباع في علم الكتاب المقدس والتقاليد اليهودية، يعرف رؤساء شعبة الدينين ويوقرهم، بل يتادبهم بقساوة، بارع في فن التعليم وتقريب يسوع الى سامعيه، يشدد على ما في تعليمه من نتائج عملية: فجميع هذه الصفات توافق صفات يهودي مثقف أصبح مسيحيا و«رب بيت يُخرج من كتبه كل جديد وقديم» (٥٣/١٣).

واما عن إنجيل يوحنا، فيعلل يوسابيوس القيصري أن يوحنا كتب الانجيل لانه وجد ان انجيلي مرقس ولوقا ومتى كان ينقصها وصف أعمال المسيح ﷺ في بداية خدمته.

(٧) وبعد أن نشر مرقس ولوقا انجيلهما يقال أن يوحنا، الذي صرف كل وقته في نشر الإنجيل شفويا، بدأ أخيرا يكتب للسبب التالي: أن الإنجيل الثلاثة السابق ذكرها إذ وصلت إلى أيدى الجميع، وإلى يديه أيضا، يقولون أنه قبلها وشهد لصحتها، ولكن كان ينقصها وصف أعمال المسيح في بداية خدمته.

وأما انجيل يوحنا نفسه فإنه يشهد على نفسه بالبشرية وأنه ليس من عند الله ﷺ، ولا أن كاتبه هو يوحنا الرسول نفسه، ففي إنجيل يوحنا: "هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ونحن نعلم أن شهادته حق" [الإصحاح: ٢١، العدد: ٢٤]

فهم يؤكدون ان الكاتب هو يوحنا، إذن فمن شهد له؟ هل هو الله ﷻ؟ بالطبع، الجواب ظاهر: لا، بشر لا نعلمهم أقحموا النص في الكتاب وقالوا: "ونحن نعلم أن شهادته حق" [إنجيل يوحنا، الإصحاح: ٢١، العدد: ٢٤]، قارن هذا بقول الله ﷻ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦].

وأما انجيل لوقا، فقد اراح واستراح، فيقول: "إذ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيْفِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَبَيَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدَءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِنَدْفِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى النَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عَلِمْتَ بِهِ. كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ" [إنجيل لوقا، الإصحاح: ١، العدد: ٥-١].

وأما بولس الرسول، فيقول: "وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب" [الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح: ٧، العدد: ١٢]، ويقول كذلك: "الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب" [الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، الإصحاح: ١١، العدد: ١٧]، وهو هنا أيضا لا يعني الرب أي الله ﷻ، بل يسوع المسيح ﷺ، ولا يعني تأليهه كذلك، فالرومان يقولون الرب أو اللورد على عظمائهم. ويقول أيضا: "الرِّدَاءُ الَّذِي تَرَكْنَاهُ فِي تَرُوسَ عِنْدَ كَارْبُسَ أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتُ" [الرسالة الثانية لأهل تيموثي، الإصحاح: ٤، العدد: ١٣].

الحجاج مع المخالفين في مقام الوحي

ادعاءات المستشرقين

ادعاءهم أن النبي ﷺ تلقى القرآن عن غيره

وكرر المستشرقون ما قيل ويُقال أن الرسول تلقى القرآن من عند غيره، مع اختلافهم في هذا الغير من يكون؟ وهم لم يُبدعوا ويأتوا بأي جديد في هذا، كحيرة كل مكذب حتى في زمان النبي، لا يستطيع أن يرى تفسيراً، ولا يريد أن يقر بالوحي، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا

وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤-٦﴾ [الفرقان: ٤-٦]

• فتارة يقولون إنه أخذه عن أسلم من اليهود والنصارى: وهذا قول جولد زيهر، وكارل بروكلمان، وغوستاف لوبون، وكثير من المستشرقين ومنهم كذلك: دانييل، وس. جويتين، وأديسون، وتايلور، وجورج سيل.

وعليه يجب ألا يكون النبي أميا، ولذا يحاولون بشتى الطرق نفي الأمية عنه.

وممن نفي أمية النبي: الفريد جيوم ومونتغمري واط. وقد ردوا على بعضهم البعض، وممن رد عليهم من المستشرقين وأكد أمية محمد ﷺ توماس كارلايل والمستشرق الكونت هنري، والمستشرق الإنجليزي لايتنر، وهنري كاستنر.

• وتارة يقولون عن عبيد فارسيين، أو عن سلمان الفارسي ﷺ

• وتارة يقولون علمه قوم من اليهود

الحداد الرومي: فقد كرر هذا المستشرق جوتيين، في كتابه دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، فيرد عليهم الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

افتراءهم على النبي ﷺ بتلقي القرآن من الراهب بحيرا

بحيرا الراهب النصراني: والراهب في تلك الحادثة لم يسم مطلقاً في الرواية الصحيحة، يعني لا يثبت أن اسمه "بحيرا"، وتسمية الراهب بـ (بحيرا) إنما جاء في بعض الروايات الواهية، في إحداهما الواقدي وهو كذاب، وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب السيرة رواها بدون إسناد، وهاتان الروايتان هما عمدة كل المؤرخين الذي سموه بهذا الاسم، فلا يجوز اعتبارهما.

الرد على هذه الفرية

• على المدعي البينة: فليخبرونا ما الذي سمعه محمد ﷺ من الراهب ومتى كان ذلك وأين كان؟

ثم أن لقاء الراهب بالنبي كان وهو صبي يبلغ من العمر ١٢ عاماً، وكان لقاء قصيرا محدودا، فطبيعة اللقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلم لمحمد ﷺ من الراهب، لأنه لقاء قصير عابر لا يكفي للدرس والتحصيل، وسن النبي إذ ذاك صغيرة لا تؤهله للتلقي، ولا توجد رواية تذكر ذلك التعليم، ثم إن اللقاء حضره عدد من رجال القافلة، فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقد كانوا أحرص الناس على إحباطها بعد إعلانها.

- والرواية لا تقول أكثر من أن الراهب رأى علامات النبوة على ذلك الفتى، وأخبر عمه أبا طالب بأنه سيكون له شأن عظيم، فمن أين ابتدع المشكك بخياله الخصب أن يكون قد أملاه هذا الدين كله؟
- يعقل أن بحيرا كلم هذا الطفل في ساعة من نهار بهذا الدين المتكامل الذي تعجز البشرية جمعاء أن تأتي بمثله، والذي تنزل على محمد على مدار ٢٣ عاما؟

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

[الإسراء: ٨٨]

- ولو تنزلنا وقلنا باحتمالية أنه تعلم على يديه وتلمذ فمتى كان هذا؟ عبر الانترنت مثلا؟ فالتاريخ لا يعرف أكثر من أنه سافر إلى الشام في تجارة إلا مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما، ولم يسمع من الراهب ولا من غيره شيئا من الدين ولم يك أمره سرا هناك، بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب، وشاهد في الثانية وهو ميسرة غلام خديجة.

- بل والعجيب زعمهم أن بحيرى كان أسقفا شديدا بالإيمان بالمسيح والثالوث الأقدس والخالص... الخ فهل يشرح لنا هؤلاء لماذا تأمر ولقن الرسول ما يهدم به عقائد المسيحية؟ بحيرى ليس عربيا ولغته هي العبرية أو الآرامية، ألا يشرح لنا كيف ألف هذا الرجل أقوى كتاب لغوي في التاريخ، وبالمقارنة هل يمكن لشخص ياباني أن يؤلف كتابا أدبيا باللغة العربية أقوى من كل الأدب الذي صاغه عمالقة الأدب العربي؟

وأما قصة بحيرا الراهب والمخطوط السرياني المزعوم والذي قالوا أنه كُتب بلغة الإنجيل، فقد ادعى فيه صاحب المخطوط أن بحيرا علم رسول الإسلام القرآن، وقام الدكتور اسماعيل علي معتوق بدراسة المخطوط وأثبت أن المخطوط كُتب في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك لأن ماورد في المخطوط من أحداث تصل إلى هذا التاريخ، كما أن مؤلفه غير معروف، وأثبت أن بحيرى لم يكتب شيئا، وأثبت أن بحيرة لا يستطيع أن يمد النبي بشيء قل أو كثر لأن ثقافة بحيرة لا تؤهله لذلك من ناحية ولأن القرآن قد أعجز العرب أجمعين ٩٢.

افتراءهم على النبي ﷺ بتلقي القرآن من ورقة بن نوفل القرشي

كما ادعوا أن ورقة بن نوفل هو ملهم القرآن للرسول ﷺ، وهذا ادعاء بعض المستشرقين أمثال: درمنغام ومونتغمري واط، وقد أخذه عن راهب نصراني اسمه يوحنا الدمشقي جاء بعد النبي بمائتي عام وأراد أن يطعن في نبوته فهو أول من قال أنه تعلم من ورقة ومن بحيرى، نافيا مصدره الإلهي، معتبرا الإسلام هرطقة مسيحية.

٩٢ انظر: قصة بحيرة الراهب السريانية، رسالة دكتوراة مقدمة من اسماعيل علي معتوق، كلية الآداب جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) ١٩٤٩م.

ومن يقرأ كتاب يوحنا هذا يجد كم السذاجة التي كان عليها، حيث كان يصنع حوارا وهميا بين مسلم ومسيحي بغاية تعليم المسيحيين كيفية الرد على المسلمين، فتجد الحوارات سطحية ساذجة، يعني لو جننا بمبتدئ في الحوار اليوم مع النصارى، لهلهل أمثال يوحنا هذا، وهذا ليس بمستغرب فحتى قساوستهم اليوم لا يوجد عندهم أي منطق في الحوار، بكل بساطة لأنه دين اعتنق التناقضات العقلية، فطبيعي أن ينعكس هذا عليهم وعلى عقليتهم في حوار الأديان.

الرد على هذه الفرية

- على المدعي البينة: أين نصوص التقاء بورقة والتعلم منه؟
- اللقاء الوحيد الذي تم كان قصيرا وكان بعد الوحي وليس قبله، ولا يوجد أي صلة سابقة بين محمد عليه السلام وورقة، فلو كانت هناك صلة سابقة كما زعم (واط) من غير دليل، لتبادرت إلى ذهن الرسول ﷺ لسؤاله عما حدث له، حتى إن فكرة الاتصال به لم تطرأ على بال النبي، بل كانت الفكرة من اقتراح زوجته، فمن رتب اللقاء هي السيدة خديجة زوج النبي ﷺ، وفي هذا اللقاء لم يكن يعرف ورقة أي شيء عما حدث للنبي في الغار، وإنما حكوا له ما حصل، لعلهم يجدون عنده تفسيراً.
- ولم يثبت لقائه معه في غير ذلك، ولو كان ورقة هو معلمه لقال له عند ادعائه النبوة: " يمكنك أن تقول هذا وتضحك به على أي أحد غيري"، ولفضحه عند زوجته خديجة والمقربين منه، وكل هذا لم يحدث، بل أن ورقة تمنى أن لو كان شابا ليساعده، ولما سمع ما وقع للنبي ﷺ آمن به وشهد.
- ثم لم يذكروا لنا كيف فعل ذلك ورقة وعلم النبي وهو ميت؟ لم يعاصر ورقة التسلسل الزمني للحوادث الواردة في القرآن الكريم على مدى ٢٣ سنة من نزوله إذ أنه قد توفي في أول البعثة، " فأجابه ورقة:

(.. هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا لبيتي فيها جدعا، لبيتي أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينسب ورقة أن توفي..)^{٩٣}

وكيف كتب الآيات طيلة العشر سنوات إذن في مكة أو العشر سنوات في المدينة، وكيف علم بالغيب ما سيحدث ورتب لها الآيات ونزلها لمحمد - وورقة ميت والأحداث لم تحدث- المهم أنه عند أهل الضلال أنه كتبها له قبل حدوث الأحداث بعشرين عاما، فهذا من السخف والضلال.

٩٣ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم | 3 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

ثم أن كان ورقة يعلمه، فكيف يعلمه ما يناقض دينه ونصرانيته؟ روى البخاري في صحيحه بخصوص ورقة بن نوفل: (..كَانَ أَمْرًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ..)^{٩٤}

بل الظاهر من النصوص أن كل الإرهاصات كانت تنتظر نبيا يأتي من العرب، وقد كان من العرب ممن ينتظر هذا النبي: ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، حتى انهما أرادا أن يلتصبا ديننا يعبدوا الله عليه، فتنصّر ورقة، وقيل لهم "إنه يوشك أن يظهر الذي تطلبون في أرضكم"

وكان هذا حال اليهود كذلك، فقد كانوا ينتظرون هذا النبي في المدينة اعتمادًا على نبوات كتابته، ولا يزال هذا النص المذكور عندهم في كتبهم، وإن كانوا يرون أنه سيظهر في العرب، ولكن لا يكون عربيا، بل سيكون يهوديا منهم.

لجوء المستشرقين إلى التزوير بعد اليأس

عرفنا فيما سبق كيف تكون المحاولات مستميتها في الطعن في مصدرية الوحي، وحين لا يجد الحيارى الدليل على كذب الوحي، وكل ما يفعلونه ينقلب عليهم، فماذا يفعلون؟ يلجأون إلى التزوير بعد اليأس، تزوير الحقائق، إما بمغالطات فكرية، أو إرساليات ظاهرها علمية، أو بطعن مباشر مجرد، أو تلفيقات مادية: يختلقون لها أدلة كاذبة مفسوحة، ومن ذلك:

- [نفيهم أمية النبي محمد ﷺ](#)
- [اتهامه بالصرع](#)
- [والتزوير في المستندات](#)

طعنهم في أمية النبي ﷺ بلا بينة

فبعد أن عجزوا عن اثبات تلقي الوحي عن غيره، لجأوا إلى افتراض أنه كان يتلقاه بنفسه مما وقع تحت يديه من الكتب، وعليه فروجوا إلى أنه ﷺ كان يقرأ ويكتب، إذن فهو نقل القرآن من الكتب، وهو فيلسوف مطلع على عقائد أهل الكتاب كاليهودية والنصرانية وفرقها، ومطلع على تراث الأمم، وحضارات اليونان، والفرس، والعرب.

٩٤ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم | 3 : خلاصة حكم المحدث] : صحيح | [التخريج : أخرجه البخاري (٣)

وكون النبي يتعلم من غيره إذا تنزلنا -فرضا- فهذا لا يطعن في نبوته، وإلا فينفس الكأس أنت تطعن في نبوة المسيح عندك، لأنك اتهمت محمد النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب بأنه تعلم من الرهبان والقساوسة واليهود والنصارى، وكل ما سبق بلا دليل أو برهان إلا خيالك الخصب وأمنياتك السعيدة، لكن عندنا نحن الدليل على أن المسيح لما تاه من أمه وأبيه وجدوه يتعلم في الهيكل (لوقا إصحاح)

"ولما لم يجدها رجعا الى اورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعون ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه واجوبته. فلما ابصره اندهشا. وقالت له امه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا. هوذا ابوك وانا كنا نطلبك معذيين" [الإصحاح: ٤٤؛ العدد ٧/٢]

وأमितه ﷺ من أكبر الأدلة على صدقه، لذا حاولوا إنكارها بشتى السبل، وراموا نفيها بكل الحيل، لذلك أخذوا يتأولون الآيات الصريحة التي تدل على أميته، وينكرون السنة الصحيحة التي تثبت هذه الأمية، وتبعهم بعض العاطفيين من المسلمين، وإن كان عن حسن نية إلا أنه يتم عن تخبط في المنهج وجهل بالأصول، فاذا قال المستشرق هذه صفة نقص، هرولوا يثبتون أنه غير أمي لكي يثبتوا أنه كامل.

وقد استثمر هؤلاء المستشرقون قروناً كاملة لمعرفة سر قوة المسلمين ومواطن القوة في وحي النبي، ودرسوها ووضعوا الآليات في كيفية التشكيك فيها وإن لزم الأمر تفريغ المسلمين منها وحثهم على النفور وكراحتها، تمسك بأسلحة عزتك يُعزك الله، لا تحجل من أي شيء في دينك فأنت منصور حتماً ويقينا رغم أنفك.

الأدلة على أميته ﷺ

ومنذ ١٤٠٠ عام يرد الله على مستشرفيهم، فيقول تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقد عرفنا ان هذه من أدلة النبوة وموجودة في كتبهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٩﴾ [العنكبوت: ٤٧-٤٩]

فقد نزلت هذه الآيات، والنبي بين ظهراي قريش، فلم يستنكره أحد من المشركين، ليقينهم بأमितه، وكيف يجهلون ذلك وقد مكث بينهم قبل بعثته أربعين سنة، قال تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]

وفي الحديث: (إِنَّا أُمَّةٌ أَمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ)^{٩٥}

يقول الذهبي: "فصدق إخباره بذلك، إذ الحكم للغالب، فنفي عنه وعن أمته الكتابية والحساب لندور ذلك فيهم وقلته، وإلا فقد كان فيهم كتاب الوحي وغير ذلك، وكان فيهم من يحسب، وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢] ومن علمهم الفرائض، وهي تحتاج إلى حساب وعول، وهو - عليه السلام - فنفي عن الأمة الحساب، فعلمنا أن المنفي كمال علم ذلك ودقائقه التي يقوم بها القبط والأوائل، فإن ذلك ما لم يحتج إليه دين الإسلام والله الحمد، فإن القبط عمقوا في الحساب والجبر، وأشياء تُضَيِّعُ الزَّمانَ. وَأَرْبابُ"^{٩٦}

وفي الحديث عن بدء الوحي عليه ﷺ، وهو في غار حراء فيما رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها ومما قالت: (..فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾ [العلق: ١-٤])^{٩٧}

فالحديث يظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن الرسول ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، بدليل قوله لجبريل عليه السلام: "ما أنا بقارئ؛" أي: لا أعرف القراءة ولا أجيدها، فكيف أقرأ؟ ولو كان النبي ﷺ قارئاً، لقال لجبريل: ماذا أقرأ؟

ومن الأدلة كذلك، الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب في صلح الحديبية في آخر العام السادس من الهجرة أي قبيل وفاته بثلاثة سنوات ومما جاء فيه قوله: (أن علياً رضي الله عنه كتب في كتاب الصلح بين المسلمين والمشركين: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)، فقال المشركون: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك وما قاتلناك - ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقال: (أنا والله محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله)، قال الراوي: وكان ﷺ لا يكتب، فقال النبي لعلي: (امح رسول الله)، فقال علي: والله لا أمحاه أبداً، قال صلى الله عليه وسلم: (فأرينه)، قال: فأراه إياه فمحاه النبي ﷺ بيده)^{٩٨}.

فكون النبي ﷺ يطلب من علي رضي الله عنه أن يريه موضع الكلمة ليمحوها بنفسه دل بوضوح على أميته، حتى بعد زمان من الدعوة إلى قبيل وفاته.

٩٥ رواه البخاري (١٨١٤) ومسلم (١٠٨٠)

٩٦ سير أعلام النبلاء للامام الذهبي ١٤ / ١٩٠

٩٧ الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3 | خلاصة حكم المحدث: صحيح

٩٨ أخرجه البخاري ح (٣١٨٤)، وأخرجه مسلم ح (١٧٨٣).

ومن الأدلة كذلك على أميته ﷺ، لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا، فَجَاءَ بِكُتْبٍ فَكَتَبَهَا، وكان أولى أن يكتبها بنفسه، بدلا من تكرار الآيات عند نزول الوحي وأن يحرك بها لسانه حتى لا ينساها، وبدلا من أن ينادي غيره يكتبها.

وقد أجمع علماء اللغة العربية أن الأمي في لغة العرب هو من لا يعرف الكتابة، فلا خلاف على معنى الأمية في قواميس اللغة ومعاجمها قديمها وحديثها، وسأكتفي بمثالين: أولهما من لسان العرب:

قال الزجاج: "الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته، وفي التثنية العزيز: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني؛ قال أبو إسحاق: معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه أي لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب أمي، لأن الكتابة هي مكتسبة فكل من نُسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه" ٩٩.

والثاني ما ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة: "قال أبو عبيد: الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلته الناس لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه" ١٠٠

وأجمع المفسرون على أن الأمي هو من لا يعرف القراءة والكتابة، وإن كان قد جاء للأمية معنى آخر أضافه كتاب الله وهو الأمية بالنسبة للكتاب المنزل، وسيأتي تفصيله في حينه.

فلو كان محمد ﷺ يقرأ ويكتب لاشتهر بين الناس بذلك، ولعرفوا أنه قارئ وكاتب، وخاصة في أمة أمية مثل العرب؛ حيث كان من يقرأ ويكتب فيها رجالاً قلائل، ففي مثل هذه البيئة الأمية يكون القارئ والكاتب فيها معروفاً لدى الكافة، مشهوراً عند العامة، وخاصة إذا كان يعمل بالتجارة مثل النبي ﷺ الذي عمل في تجارة خديجة ردحاً من الزمن.

لكن قد يتمسك المعترض برواية أخرى لنفس الحديث: (..وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكُتِبَ: هذا ما قاضى عليه مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، لَا يُدْخِلُ مَكَّةَ السِّلَاحِ إِلَّا السَّيْفَ فِي الْقِرَابِ..) ١٠١

وهذه الرواية يلجأ إليها المعترض، كأقوى ما قد يُشْعَبُ به إنكاراً لأميته.

الجواب على هذه الشبهة ١٠٢

٩٩ لسان العرب لابن منظور ٣٤ / ١٢.

١٠٠ معجم مقاييس اللغة ٥٦ / ١.

١٠١ الراوي: البراء بن عازب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 4251 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

١٠٢ معجم افتراءات الغرب على الإسلام، أنور محمود زنتي - جامعة عين شمس

أولاً: لم يأت في هذه الرواية التصريح بمباشرة النبي ﷺ للكتابة بنفسه، بل أقصى ما يفهم منها المعترض احتمالها للأمرين: أن يكون النبي ﷺ هو الكاتب، أو أن يكون على ﷺ هو الذي قام بالكتابة، وتكون نسبة الكتابة إلى النبي ﷺ مجازية باعتبار أنه هو الأمر بالكتابة.

ثانياً: وإذا أردنا معرفة رجحان أي الاحتمالين، فإنه يجب علينا العودة إلى مرويات الحديث وطرقه، ليتبين منها الحق. ويُنهى الشبهة برمتها، ما سقناه أعلاه من حديث البخاري، بل وفي رواية أخرى لنفس حديث البراء، أوردها ابن حبان في صحيحه عن محمد بن عثمان العجلي قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ﷺ قال: (فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فأمر، فكتب مكان رسول الله محمداً، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) ١٠٣

بل قد روى هذا الحديث المسور بن مخرمة ومروان وأنس بن مالك ﷺ أجمعين، واتفقت تلك الروايات كلها على أمر النبي ﷺ لعلي بالكتابة، فقد جاء في البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالوا: "فقال النبي ﷺ: (والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله) ١٠٤"

وكذلك قال أنس بن مالك ﷺ في صحيح مسلم ما نصّه: "فقال النبي ﷺ: (اكتب من محمد بن عبد الله) " أما رواية البراء ﷺ، فنلاحظ أن الرواة الذين نقلوها، اقتصروا على بعض الألفاظ دون بعض، ومن هنا حصل اللبس والإيهام في هذه الرواية.

ثالثاً: ثم إننا نقول: إن رواية البخاري التي ذكرت قول النبي ﷺ: (فأرينه)، فيها إشارة واضحة إلى احتياج النبي ﷺ إلى علي كي يرشده إلى مكان الكلمة، مما يدل بوضوح على عدم معرفته للقراءة أصلاً كما ظهر في الفقرتين: ٦ و ٧.

رابعاً: أن أقصى ما يُستفاد من مجموع هذه الروايات أن النبي لا يعرف الكتابة لكن قد يستطيع كتابة اسمه، يقول الذهبي: " قُلْتُ: لَمْ يَرِدْ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَتَبَ شَيْئاً، إِلَّا مَا فِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) مِنْ أَنَّهُ يَوْمَ صُنِحِ الْخُدَيْبِيَّةِ كَتَبَ اسْمَهُ (مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ). وَاحْتَجَّ بِذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلَيْدِ الْبَاجِي^{١٠٥}، وَقَامَ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْأَنْدَلُسِ بِالْإِنْكَارِ، وَبَدَّعُوهُ حَتَّى كَفَّرَهُ بَعْضُهُمْ. وَالْخَطْبُ يَسِيرٌ، فَمَا خَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ أُمِّيًّا بِكِتَابَةِ اسْمِهِ الْكَرِيمِ، فَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ مَا عَلِمُوا مِنَ الْكِتَابَةِ سِوَى مُجَرَّدِ الْعَلَامَةِ، وَمَا عَدَّهُمُ النَّاسُ بِذَلِكَ كَاتِبِينَ، بَلْ هُمْ أُمِّيُونَ، فَلَا

١٠٣ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١١ / ٢٢٩، حديث رقم: ٤٨٧٣، رقم طبعة باوزير = (٤٨٥٣)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، [تعليق الألباني] صحيح - «الصحيحة» (١١٨٢)، «الإرواء» (٢١٩٠). [تعليق شعيب الأرنؤوط] إسناده صحيح على شرط البخاري.
١٠٤ انظر البخاري: ٥ / ٢٢٣ في الصلح: باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان فلان بن فلان، و ٧ / ٣٨٦ في المغازي: باب عمرة القضاء.
١٠٥ هو الحافظ العلامة، سليمان بن خلف بن سعد التجيبي المالكي الأندلسي الباجي، كان من كبار علماء الأندلس وحفاظها، رحل إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربع مئة، ثم عاد إلى وطنه بعد ثلاث عشرة سنة يعلم جم، وولي قضاء أماكن، وصنف التصانيف الكثيرة. ترجمه المؤلف في " التذكرة " ٣ / ١١٧٨، وانظر في ترجمته أيضا " معجم الأدباء " ١١ / ٢٤٦ ٢٥١، و" وفيات الأعيان " ٢ / ٤٠٩ ٤٠٨.

عِزَّةٍ بِالنَّادِرِ، وَإِنَّمَا الْحُكْمُ لِلْغَالِبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ جُكِّمَتْهُ لَمْ يُلْهِمْ نَبِيَّهَ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَلَا قِرَاءَةَ الْكُتُبِ حَسْمًا لِمَادَةِ الْمُبْطِلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبِمِيمِنِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وَمَعَ هَذَا فَقَدْ افْتَرَوْا وَقَالُوا: ﴿أَسْطِيزُ الْأَوْلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥] فَأَنْظُرْ إِلَى قِحَةِ الْمَعَانِدِ، فَمَنْ الَّذِي كَانَ بِمَكَّةَ وَقَتِ الْمَبْعُثِ يَدْرِي أَخْبَارَ الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ؟ مَا كَانَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَصْلًا.

وهو نظير قول الصحابي: (ونفخ النبي ﷺ في خاتمه: محمد رسول الله) أي أمر بنقشه، قال الإمام الذهبي: "فَهَذَا كُلُّهُ يَفْتَضِي أَنَّهُ عَرَفَ كِتَابَةَ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مَا كَانَ يَدْرِي مَا الْكِتَابُ؟ ثُمَّ عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ. ثُمَّ الْكِتَابَةُ صِفَةٌ مَدْحٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۗ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤-٥] فَلَمَّا بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، شَاءَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ النَّادِرَةَ الَّتِي لَا يَخْرُجُ بِمِثْلِهَا عَنْ أَنْ يَكُونَ أُمِيًّا" ١٠٦

خامسا: ولكن دعنا نفترض أن المباشر للكتابة هو النبي ﷺ، فهل يخرج ذلك عن أميته؟ يجب الإمام الذهبي فيقول: "ما المانع من تعلم النبي ﷺ كتابة اسمه واسم أبيه مع فرط ذكائه وقوة فهمه ودوام مجالسته لمن يكتب بين يديه الوحي والكتب إلى ملوك الطوائف" ١٠٧

فمعرفة النبي ﷺ لطريقة كتابة اسمه واسم أبيه لا يخرج عن كونه أمياً كما هو ظاهر، فإن غير الأمي يحسن كل كتابة وكل قراءة، لا بعضاً منها.

وأما قول النبي ﷺ في آخر حياته: (انتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) ١٠٨

فلا يفيد معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة، وأنه سيكتب بنفسه هذا الكتاب، فإن الناس لم تزل تقول: قَتَلَ الْأَمِيرَ، وَكَتَبَ الْأَمِيرَ وَجَلَدَ وَضْرَبَ، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ أَنَّهُ وَجِهَ بِذَلِكَ وَأَمْرٌ بِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْهَمَ السَّمَاعُ أَنَّهُ فَعَلَهُ بِنَفْسِهِ.

ولتأكيد صحة هذا الفهم نذكر روايتين يرويهما الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب يتحدثان عن نزول قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]

ففي الأولى يقول البراء بن عازب: لما نزلت هذه الآية أتاه ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، ما تأمرني؟ إني ضريب البصر، فنزل قوله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] فقال النبي ﷺ: (انتوني بالكف والدواة، أو اللوح

١٠٦ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ١٤ / ١٩٠

١٠٧ نفسه.

١٠٨ رواه مسلم في صحيحه

والدواة) ١٠٩ ، فهذه الرواية تفيد أن النبي ﷺ طلب أدوات الكتابة، ولربما فهم منها أنه يريد كتابة الآيات بنفسه، كما فهم من قصة الكتاب الذي أراد ﷺ كتابته في آخر حياته.

لكن ذلك غير مقصود، إذ تفسره الرواية الأخرى للحديث، حيث يقول فيها البراء: (كنت عند رسول الله ﷺ فقال: ادعوا لي زيدا يجيء أو يأتي بالكثف والدواة أو اللوح والدواة، كتب: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ..)، فالمقصود من قوله: «اثنوني بكتاب أكتب لكم كتاباً» طلب أدوات الكتابة مع من يكتب بها، لا أنه سيكتب بها ﷺ بنفسه.

وهكذا يتبين أنه ﷺ كان أمياً، وأن النصين يكملان ما جاء في القرآن الكريم من التصريح بأميته ﷺ ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ١١٠.

وأما استشهادهم بما جاء في رواية مجالد حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُثْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (مَا مَاتَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى قَرَأَ وَكَتَبَ) فهذا الحديث إسناده ضعيف لضعف مجالد وهو ابن سعيد الهمداني الكوفي ١١١.

دعاواهم في صرع النبي محمد ﷺ

وجوه إبطال الشبهة

١. تنتهي الشبهة دائما عند المطالبة بالدليل، حتى تتعرف على مغالطاته في الاستدلال.

٢. دحض الشبهة وإبراز المغالطات بما صح من الروايات، والتي تبين تناقض حاله في الوحي مع حالة المصروع علمياً: فقد كانت تحصل مع النبي ﷺ بنزول الوحي عليه أحوال، يراها ويسمعا ويشعر بها من حوله من أصحابه ﷺ، وسننقل دعاواهم بلسانهم ثم نضع الرد الملزم بالحجة عليها

الفرية الأولى

المصروع يسقط ويفقد الوعي ونيكم كان يفقد الوعي ويغط ساعة ويتردد عند الوحي.

وينسف هذا القول، ويبطله، تبيان حقيقة المعنى للكلمات، فيتردد الوجه أي يتغير لونه من الغط، والغط يعني العصر: فلا يوجد قط أي فقدان وعي أو نوم أو غير ذلك مما يصيب المصروع، فجاء في الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ

١٠٩ أخرجه أحمد ح (١٨١٧٤).

١١٠ يُراجع: " تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين"، ص. ٦٤، دكتور منقذ السقار

١١١ وأورده الحافظ في " الفتح " ٣٧٨ / ٧ ، ٣٨٦ وقد تحرف فيه مجالد إلى مجاهد، ونسبه لابن أبي شيبه، وضعفه.

الصَّامِتِ قَالَ: (كَانَ نَبِي اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ) ^{١١٢} -تغير لونه كلون الغبرة مع الحمرة-

والغظ أي العصر كما جاء في الحديث في صحيح البخاري، عن بدء الوحي حيث قال " فأخذني - جبريل - فغطني، أي ضمني وعصرني: حتى بلغ مني الجهد" ^{١١٣}.

وأما ما ينسف هذا نسفا ويبين سقوط الشبهة بالكلية هو في نفس الرواية التي استشهد بها المعترض وذلك حين وصفه الصحابي الجليل يعلى بن أمية بقوله (فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحَمَّرُ الْوَجْهِ يَغِطُّ سَاعَةً ثُمَّ سَرِي عَنْهُ فَقَالَ: أَيْنَ الَّذِي سَأَلَنِي عَنِ الْعُمَرَةَ أَنْفًا) ^{١١٤}

فكيف لمن يُصرع صرعا كاملا Complex أن يتذكر الأحداث ثم يحكي فيها بأبلغ ما يكون ويحكم؟ بل كيف يعي ما يوحى إليه، دون لبس ولا خفاء، ومن غير شك ولا ارتياب، فيجد ما أوحى به إليه حاضراً في ذاكرته، كأنما كتب في قلبه، ففي أي لغة في لغات الدنيا يُسمى هذا صرعا؟

الفرية الثانية

قد لا يكون صرع كامل ويكون صرع جزئي، وفي هذه الحالة يكون المصروع في وعيه ويتذكرها، ويتعرق، ويسمع أصواتاً، وهذا متفق مع رواياتكم عن نبيكم

وينسف هذه الفرية، أن من أهم أعراض النوبة الجزئية التي أسقطها المخالف ليسبكك شبهته:

ثقل القدرة على الكلام أو عدم القدرة على الكلام مطلقاً، وهذا يُخالف حال النبي الذي كان يردد الوحي ويتعجل بنطقه، ومن أعراضها المميزة كذلك التي لم يُبينها المعترض: حدوث تشنجات حركية وعضلية في الوجه واليد وهذا ليس حادثاً في حق النبي ﷺ، كما أنه غالباً ما تؤدي إلى نوبة كاملة من الصرع وهذا لم يحدث لنبي الله قط.

ومما قد يستشهد به من يرى صحة رواية سماع من حوله صوتاً وأنهم ربما سمعوا صوتاً عند وجه الرسول كأنه دوي النحل، لكنهم لا يفقهون كلاماً، والتحقيق أن الرواية لم تصح، ولا نحتاج إليها، ففيما صح نقلاً مما ثبت ويُخالف تشخيص الصرع الجزئي الغنية والكافية، ثم بإظهار ما أخفاه المغالط من التشخيص العلمي الذي يدعم حجتك.

١١٢ صحيح مسلم، ٢٣٣٤
١١٣ صحيح البخاري، ٦٩٨٢
١١٤ صحيح البخاري، ٤٩٨٥

وفي كلتا حالتنا <الصرع (الجزئي والكلي) فقد بان انتفاء هذه الفرية عنه ﷺ، وبالتالي تنتقل القضية عند المخالف إلى إثبات صدقه أو عدمه.

الفرية الثالثة

من المحتمل أنه كان يُصدر ذلك ويتعمده، ليظهر أنه يوحى إليه فقد كان كذلك يضغط بجسده على فخذ الصحابي:

إن هذا ينسف الصرع، ومرة أخرى ينقل الدعوى إلى مساءلة صدقه، يُشير المعترض إلى الرواية التي رواها زيد بن ثابت، وأنه خشي على فخذه أن ترضَّ والنبى يوحى إليه، وقد كانت فخذة ﷺ تحت فخذ النبي ﷺ فجاء في الحديث عن زيد بن ثابت قال: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَخَذَهُ عَلَى فَخْذِي فَفَقُلْتُ عَلَى حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرْضَّ فَخْذِي) رواه البخاري.

لكن ينقض استدلالهم أنه كذلك كان يثقل وزنه ﷺ جداً فيظهر أثر ذلك على دابته، حتى إن البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك إن جاءه الوحي وهو عليها، فهل يثقل وزنه على البعير كذلك، فلا يستطيع حمله؟ ويتحكم في الحيوان فيضرب بجراؤه؟

وقد جاء في الحديث عن عائشة ؓ أَنَّهَا قَالَتْ: (إِنْ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاجِلَيْهِ -نَاقَتِهِ -فَتَضْرِبُ بِجَرَائِهَا ١١ -أَي بَاطِنِ عُنُقِهَا)^{١١٦}

أما دعوى التعمد أو الكذب، فكيف يكون الأمر كذلك وقد كان جبينه وجبهته الشريفة تفيض بالعرق: حتى في اليوم الشديد البرد. وإذا انتفى الصرع والمرض كما بينا، ويستحيل فيها التعمد، فلا يبقى إلا أن هذه فسيولوجية، فهل تحكم في فسيولوجيته كذلك ليُدعى كذبا على الله؟ فيعينه الله بمعجزة كهذه وهو يكذب؟، قَالَتْ عَائِشَةُ ؓ (وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبُرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ -أَي يَنْقَطِعُ- وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ -أَي يَسِيلُ - عَرَقًا)

رواه البخاري، وعنهما كذل (حَتَّى إِنَّهُ لَيَنْحَدِرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ -كَالْوَلْوِ- مِنْ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ مِنَ تَقَلُّ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ) رواه مسلم.

١١٥ رواه أحمد (٤١ / ٣٦٢) وصححه المحققون

١١٦ قال السندي - رحمه الله -: قوله (فَتَضْرِبُ بِجَرَائِهَا) - بكسر الجيم -: باطن العنق، والبعير إذا استراح مدَّ عنقه على الأرض. حاشية "مسند أحمد" (362 / 41) "

وهذا فيه دلالة على كثرة معاناة التعب والكره عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية، من ثقل ما يُلقيه عليه الملاك من القول. وكذلك في هذا المقام يمكن سوق أدلة صدق النبوة السابق ذكرها، لأن القضية الآن خرجت عن كونها صرع إلى كونها اتهام في الصدق.

بل وينسف كل أنواع الصرع، أنه ﷺ كان لديه التحكم الكامل العقلي (ضد فرية الصرع الكامل) والعضلي (ضد فرية الصرع الكامل والجزئي)، أو غير ذلك:

فينكس رأسه، ويغطيه بثوب، فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ نَكَسَ رَأْسَهُ وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ فَلَمَّا أَتَى عَنْهُ -أي ارتفع عنه الوحي- رَفَعَ رَأْسَهُ)^{١١٧}.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَرَفْنَا ذَلِكَ فِيهِ فَتَحَى مُنْتَبِذًا خَلْفَنَا قَالَ فَجَعَلَ يُعْطِي رَأْسَهُ بِثَوْبِهِ وَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفْنَا أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَأَتَانَا فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)^{١١٨}، وهو مع ذلك يتنبا بالنصر لأصحابه وينتصرون.

بل ومن دلائل تحكمه الكامل أنه كان يحرك لسانه قراءة بالوحي والتعجل به: كان ﷺ يحرك لسانه بسرعة وشدة ليحفظ عن جبريل حتى نهاه الله عن ذلك وطمانه أنه سيجمع القرآن له في صدره. فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحْرِكُ بِهِ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿﴾

قَالَ: (جَمَعَهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ (فَإِذَا قَرَأَهُ -أي إذا فرغ جبريل من قراءته- فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ)^{١١٩}.

يتضح من هذه الأنواع أن الوحي حَدَثٌ مفاجئ يطرأ على النبي ﷺ دون أن يتوقعه أو يتطلع إليه، وأنه مع ذلك واعٍ به متحكم فيه شاعر به، فيحرك به لسانه ثم يمنع أن يحركه فلا يحركه، ويغطي بيديه وجهه بثوبه، فهو في تحكم كامل، لا فيه نوم أو سقوط، و لم يثبت قط أنه كان يحقن عند فمه، ولا أنه يتمدد على الأرض عندما يأتيه

١١٧ صحيح مسلم، ٢٣٣٥
١١٨ رواه أحمد (٧/ ٤٢٦، ٤٢٧)
١١٩ رواه البخاري، ٥. ومسلم، ٤٤٨.

الوحي ، ولا أنه كان يعرض على شفتيه، ولا أنه يغلق عينيه، فكلها دعاوى مغرضة باطلة روج لها بعض المستشرقين مغالطين لنسبة الصرع إلى النبي ﷺ، بل ومع التفصيل فيما سبق، فإنه يدحض الشبهة بالكافية.

- **كمال عقله:** إن سيرة النبي ﷺ تشهد بكمال عقله ﷺ وبسلامة حواسه وبقوة بنيانه الجسدي.
- **بل كيف يقنعهم بما جاء به فيصدقونه ويسيروا تحت قيادته؟** وكيف يصنع منهم أمة ذات حضارة عريقة إلا إذا كان ذا عقلية موهوبة وذكاء حاد، إضافة إلى التوفيق والتأييد من عند الله؟! لذا كان ﷺ أمة وحدة.
- **الصرع كان معلوما عند العرب،** فكيف لم يلاحظوا أمرا كهذا؟ وكيف تؤمن أمة بأكملها برسالة رجل مصروع؟ ولا يتنبهون لصرعه ومرضه؟ وهذه الحجة هي التي ساقها فريمون تقنيدا لادعائهم بقوله: "الأطباء العرب كانوا على دراية بمظاهر الصرع ولم يذكر أي من خصومه المعاصرين هذا الاحتمال" ١٢٠.

وما يقوله فريمون ليس ما يعرفه الأطباء العرب فحسب، بل كل العرب، والنبي ﷺ نفسه كان يقدر على شفاء الصرع بإذن الله، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه^{١٢١} ، عن المرأة التي كانت تصاب بالصرع^{١٢٢}

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ، أَنْتَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أُنْكَشَفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: ((إِنْ شِئْتَ صَبْرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ)) فَقَالَتْ: أَصْبِرْ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُنْكَشَفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أُنْكَشَفَ، فَدَعَا لَهَا^{١٢٣}

هذا يعني أن الصرع كان معلوما عند العرب، بل ومعلوم بينهم جميعا أن النبي كان باستطاعته علاج هذا المرض عند من ابتلوا به، أما كان أولى أن يُقال إن كان عنده هذا فإذا يستطيع فعلا علاجه فلما لم يعالج نفسه؟ بل ولم تصدر تهمة الإصابة بالصرع عن واحد من معاصريه - ﷺ - رغم استحكام العداء بينهم وبينه، ورغم حرصهم على تليفيق الأكاذيب فقالوا شاعر وكاهن ومجنون.

وأخيرا فإن اعتراض الكتابي بالصرع، فيكون الصرع علامة نبوة عند أهل الكتاب، لأن جميع أنبيائهم كان يأتيهم الوحي، فإما يلزمكم تسمية أحوالهم صرعا والكفر بهم، وإما يلزمكم الإقرار بنبوة محمد، لأن حالهم في الوحي واحد، ولم يمنعكم من الإيمان بهم.

Freemon F.R. A differential diagnosis of the inspirational spells of Muhammad the Prophet of Islam. Epilepsia. 1976; 17 ١٢٠

١٢١ ومعنى متفق عليه أي رواه البخاري ومسلم عن صحابي واحد، وهو هنا ابن عباس. ١٢٢ وهي أم زُفر الحبشية الأسدية، السوداء، الطويلة، الصحابية الصابرة، يُقال اسمها سُغَيْرَة (بالتصغير)، وقال بعضهم سُغَيْرَة (بمعجمة مضمومة وقاف مفتوحة)، قيل إنها ماشطة خديجة - رضي الله عنها

١٢٣ رواه البخاري (٤٨٤ ح ٥٦٥٢) ومسلم (١١٢٩ ح ٢٥٧٦)

لكن من المهم على المسلم أن يرد على هؤلاء الكفرة، فتثبت عليهم بإنصاف وعدلٍ ما اتهمنا به ببهتان وبطلان، لأنك لو لم تفعل فإنك تهتمش خصيصة عظيمة من خصائص أهل الحق وهو برهان البهت: ﴿فَبُهَّتْ أَلْدَى كَفَرًا﴾ [البقرة: ٢٥٨] لأن الله رزقك الدليل على كل صغيرة وكبيرة تتحدث فيها، وكل مصادر مفتوحة للدنيا كلها لا يوجد ما نخفيه، فرأينا كيف أن كل شيء يقوله نرد عليه بالدليل الصحيح من كتبنا ثم ببيان كيله بمكيايين ووقوعه الصريح فيما اتهم به غيره.

وقد رُويت كل هذه الأحاديث، وما كان في مخيلة الصحابة والتابعين ورواة الحديث أنها حجة في نفي صرعه، بل كانوا يروونها ليحافظوا على وصف حقيقي دقيق لكل حياة النبي، فتكون النتيجة أن سيرته ﷺ حجة باقية، وتيسير رباني، يُرد بها على كل شبهاتهم اليوم مع أنها لم تُرو في الأصل لأجل ذلك.

أما عندهم ومع الصمت التام عن سيرة وحياة أنبياء بني إسرائيل، فلو أنك قلبت الطاولة عليهم وقلت لهم بمثل قولهم: نبيك صُرْع، يسوع صُرْع، بولس صُرْع، موسى سقط وصُرْع، لن يستطيع الإتيان بأدلة تنفي أنها لم تكن صرعا، بل إن سياق النصوص المحرفة هذه يُثبت الدعوى عليهم، ونبراً ونبرئ رُسل الله من ذلك، ونُدين أهل الكفر والتحريف، ونُلقمهم حجرا.

من محاولاتهم في تزوير المستندات

المثال الأول: القس كلير تيسدال

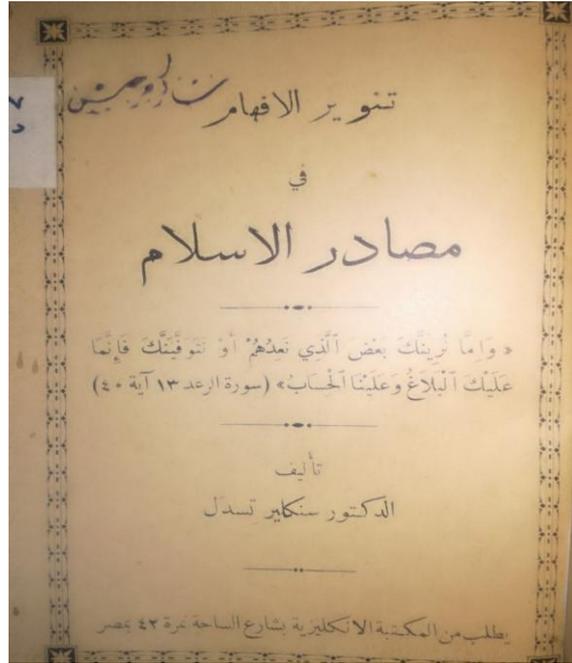
المستشرق والقس كلير تيسدال (1859–1928) William St. Clair Tisdall ، وهو مؤرخ وعالم لغة بريطاني شغل منصب أمين كنيسة إنجلترا في جمعية التبشير في أصفهان وبلاد فارس، وكانت أبحاثه تتميز بالميل والتجني وخلوها من العلمية، وقد عمد تيسدال إلى كتاب ميزان الحق للقس فندر، ونقحه وأضاف إليه مطاعن كثيرة وحذف منه عبارات جمة ليرد بها على الشيخ رحمة الله الهندي الذي كان قد أتى على ميزان الحق في حياة مؤلفه ورد عليه وناظره فيها بكتابه "إظهار الحق". وزعم تيسدال ان ما زاده في الكتاب قد بناه على الكشف العلمي!

وقد ظهر جنوح تيسدال عن العلمية جليا في كتابه "تنوير الأفهام في مصادر الإسلام" ١٢٤، والكتاب كله مبني على فرضيات، افتراضها وقدمها للقراء كحقائق، شرع فيه تيسدال بمهاجمة ضارية للإسلام ورسوله ومصادر النص

١٢٤ والذي نشره في عام ١٩٠٥ م، باللغة الألمانية، وقد صدر بترجمة الصحفي القبضي ميخائيل عبد السيد (ت. ١٣٣٢ هـ، ١٩١٤ م) تحت عنوان: "تنوير الأفهام في مصادر الإسلام"

المقدس في مقابل دفاع مستميت عن المسيحية ورموزها ونصوصها، ويقول محمد رشيد رضا عن هذا الكتاب الذي ظهر في زمانه:

"وهذا الكتاب يثبت للنبي الأمي الاطلاع على جميع أديان الأمم وتقاليدها، وعاداتها، ولغاتها، وانتخاب قواعد الإسلام وأحكامه منها كأنه كان ناشئاً في مكتبة كمكاتب باريس وبرلين ولندره حيث الكتب في جميع اللغات والعلوم والفنون تأتي طالبها بآلات كهربائية كلمح البصر مع أنه لم يقرأ، ولم يكتب، ولا نشأ بين قوم قارئيين كاتبين، وإنما كان أمياً ناشئاً في أمة جاهلية لا كتب عندها ولا علوم."^{١٢٥}



مثال:

ونتطرق لمثال مما أورده تسدال فيه، وهو محاولة الربط بين القرآن الكريم وأبيات نسبها للشاعر العربي القديم امرئ القيس يُصور القرآن وكأنه مأخوذ من أشعار العرب فيقول في كتابه بالعربية، بينما في نسخته الألمانية الموجهة إلى الألمان، نجده بعد سرد القصة يُنكرها هو بنفسه ويثبت أنها موضوعة بعد الإسلام، ويبرئ محمد ﷺ من الفرية التي هو نفسه ساقها.

١٢٥ تنوير الأفهام، مجلة المنار - المجلد [٧] الجزء [١] ص ١٠٤ غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٢ - ١٨ مارث (أذار) سنة ١٩٠٤

— ٢٥ —

آيات القرآن على حد سواء، أو تختلف عنها في لفظة أو لفظتين
ولكنها لا تختلف عنها في المعنى مطلقاً وهاك الآيات التي
يوردها المعترضون وقد اشرنا على العبارات التي اقتبسها القرآن
بوضع علامة تحتها كهذه —

عن غزال صاد قلبي ونقر	دنت الساعة وانشق القمر
ناعس الطرف بعينه حور	احور قد حرت في أوصافه
قرماني فتعاطى قمقر	مرّ يوم العيد في زيتته
فتركي كوشيم المحتظر	يسهام من لحاظ فانك
كانت الساعة أدهى وأمر	وإذا ما غاب عني ساعة
بسحيق المسك سطرًا مختصر	كتب الحسن على وجنته
فرايت الليل يسري بالقمر	عادة الاقاريسرى في الدجى
فرقة ذا التور كم شيء زهى	بالضحى والليل من طرته
دنت الساعة وانشق القمر	قلت إذ شق المدار خده

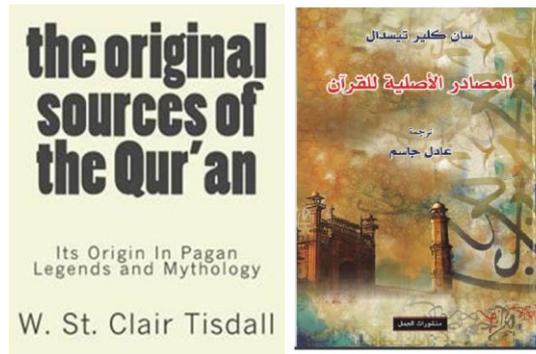
وله أيضاً

كانهم من حذب ينسلون	أقبل والمشاق من خلقه
لمثل ذا فليعمل المماوت	وجاء يوم العيد في زيتته

« ٤ »

وقد تنكر ورجع تيسدال عن هذا بعد أن نقد فريته المستشرق الألماني السير تشارلز ليال، وبرأ رسول الله منها، فترجع تسدال صاغراً، مما يدل على غياب النزاهة العلمية، فهو يقر بعلمه أنها موضوعة ثم يثني على تنبيه السير تشارلز! بينما يستمر في تصديرها للعرب بدون أن ينكر أو يبين ذلك لمن يريد لهم أن يقرؤوها، بخلاف ما فعل وتتصل منها في مخاطبة الغرب حفظاً لماء وجهه.

وهذه الترجمة للكتاب الألماني قد نقلها للعربية عادل جاسم في ترجمة عربية حديثة عن الألمانية ونقرأ فيها تنكره



القصة الشرقية التي نقلتها، فإن ميزان الاحتمالات يميل بالتأكيد إلى افتراض أن محمداً بري^(١) من نهمة الانتحال المتهور التي اتهم بها^(٢).

(١) هذا هو رأي السير تشارلز ليال، وسيكون من الصعب أن نجد أي شخص أفضل منه مؤهل للتحدث في موضوع الشعر العربي القديم. وفي الرسالة التي نكزّم ويعنها لي فيما يتعلق بمسألة الأبيات المنسوبة إلى امرئ القيس، عبّر عن قناعته بأنها ليست له، وأبدى مبرراته اعتماداً على فحص الأسلوب والوزن. ولقد أدرجت بعضاً من ملاحظاته في هذا الملحق، وأنا مدينٌ له في الملاحظة السابقة أيضاً لأن حججه تسببت في تعديل رأئي في هذا الموضوع الذي أوردته في عملي الفارسي «با نبي الإسلام».

المثال الثاني: القس لويس شيخو اليسوعي

القس الأب لويس شيخو اليسوعي، واسمه الحقيقي رزق الله يوسف



هذا الرجل العلامة عند النصارى يضعونه في عداد علمائهم الذين أبدعوا في كشف الحقائق التي أخفاها نبي الإسلام والمسلمين على مر التاريخ كما صوروه لهم وخدروهم به في مؤلفاته، وهذا أهم ما يتم تعريف العالم العربي به، فيقولون عنه: "أديبٌ ومؤرِّخٌ ولاهوتيٌّ رائد، وأحد أبرز أعلام النهضة العلمية والأدبية في العالم العربي. عُيِّنَ مُدرِّساً لِلأدبِ العَرَبِيِّ بِالْكَلِيَّةِ الِيسُوعِيَّةِ بِبيروت، وسُمِّيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِـ «كَلِيَّةِ القَدِيسِ يوسُف».

وقد كرس وقته لدراسة التاريخ العربي والإسلامي حيث وضع فيه الكثير من الكتب، كذلك أسس مجلة «المشرق» التي نشر فيها الأبحاث الأدبية والعلمية المتميزة لكبار الأدباء والمفكرين العرب، حتى صارت منارة ثقافية كبرى يتخاطف القراء إصداراتها.

كان من أهم المفهرسين والمحققين للكتب والمخطوطات العربية، لمس النقد بعض النحيز الطائفي لدى الأب شيخو، ولكن هذا الأمر لا يُنكر مجهوداته العظمى التي دفعت بعجلة النهضة العلمية والأدبية للعرب في أوائل القرن العشرين، توفي الأب شيخو في عام ١٩٢٧م عن ثمانية وستين عاماً.

من آثار تعصبه

١. جعل معظم الشعراء الجاهليين نصارى، في كتابه "شعراء النصرانية في الجاهلية"، يقول إدوارد فنديك "عدّ من النصارى كل شاعر لم يثبت إشراكه" ١٢٦
- حتى قال مارون عبود ساخرا منه ومن خيانتة العلمية: "سمعنا بكتاب شعراء النصرانية، فإذا هو لهذا العلامة الجليل " لويس شيخو " وإذا كل من عرفناهم من شعراء جاهلين قد خرجوا من تحت سن قلمه نصارى، كان التعميد بالماء فإذا به قد صار بالحبر" ١٢٧
٢. في كتابه تاريخ الآداب العربية، لم يذكر إلا الأدياء والعلماء النصارى، وقليل جدا من علماء الإسلام، وحين سأله، قال: "لا أعرف علماء الإسلام"
٣. حملته الظالمة على العالم اللغوي الأديب أحمد فارس الشدياق (ت. ١٣٠٤ هـ) - حين تحول من النصرانية للإسلام، فكان يعرض به، ويسميه الضال ويعلل إسلامه أنه لأجل المال، ولم يتورع أن يكذب عليه ويقول إن الشدياق عاد إلى النصرانية عند وفاته ١٢٨
٤. إحياء الكتب العربية الإسلامية، فطبع "الألفاظ الكتابية" للهمداني و"فقه اللغة للثعالبي" وحذف منهما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
٥. ألف أشعاراً ونسبها للجاهليين ووضع فيها آيات قرآنية، بينما حذف الآيات القرآنية وأدلة البعث والنشور والتوحيد واسم النبي محمد من أشعار الشعراء بعد الإسلام، فعل ذلك في طباعته لديوان أبي العتاهية، وفي كتابه "مجاني الأدب في حدائق العرب" و"شعراء النصرانية" وغيرها.
٦. هذا القس خرج بفرضية بناها على التزوير، فقد صور أدباء العربية أنهم نصارى وأن النصارى متقشبة في العرب، كمقدمة يريد أن يجعل بها من مكة مدينة نصرانية تنعم بكنيسة كبيرة وكبيرها القس ورقة بن نوفل، وكل ما سبق لا يوجد عليه دليل عنده إلا الإفتراء والكذب.

ومن كان هذا حاله، فلا إشكال عند أمثاله أن يمتنن التزوير قربي، والحقد ديناً، وما أيسر هذا الدين الذي لن يكلفه الا جرة حرف بقلم. كما فعل بأن يجعل الكعبة أسقفية نصرانية!

لويس شيخو اليسوعي وسقف الكعبة

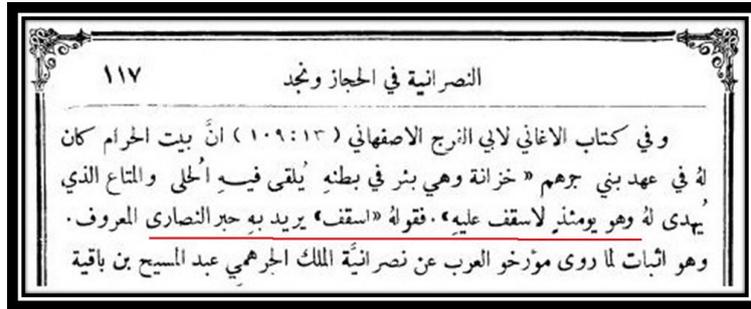
لقد سطرّ لويس شيخو اليسوعي كتاباً كاملاً يُثبت فيه أن الكعبة ماهي إلا كنيسة مسيحية، كان المسؤول عنها أسقف مسيحي، ومن هذه الكنيسة انتشر القرآن كنسخة منقحة عن الإنجيل!

١٢٦ اكتفاء الفتوح بما هو مطبوع، ص. ٣٧
١٢٧ رواد النهضة الحديثة، ص. ٢٢٥
١٢٨ تاريخ الآداب العربية، ص. ١١١

وببراعة استطاع شيخو أن يقنصها من بين كُتُب التاريخ الإسلامي، وتحديدًا من كتاب "الأغاني للأصفهاني" وعمد لقول الأصفهاني عن الكعبة: "أن البيت لا سقف عليه"، فحولها شيخو إلى "أن البيت لأسقف عليه"، لصق "لا" في "سقف" ، إذن فالكعبة بدون جهد يُذكر صارت أسقفية مسيحية ولها أسقف عليها.

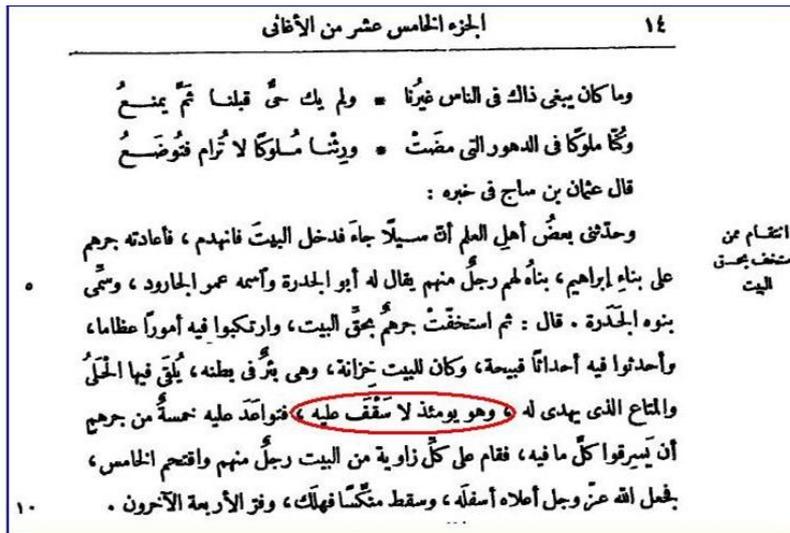
تلك الحقيقة التي أخفاها المؤرّخون المسلمون - في زعمه - وألف كتابه الكامل لإثبات أن ورقة ابن نوفل كان هو هذا الأسقف للكعبة، وأنه هو من علّم محمداً الإنجيل، ونظريته انتشرت كالكهشيم بين علماء المسيحية قبل عوامها.

لقد قال لويس شيخو المسيحي...نقلًا عن كتاب "الأغاني للأصفهاني":



"وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني (١٣ : ١٠٩) أن بيت الحرام كان له في عهد بني جرهم "خزانة وهي بئر في بطنه يُلقى فيه الحلي والمتاع الذي يهدى له وهو يومئذ لاسقف عليه" ، فقله "أسقف" يريد به حبر النصراني المعروف^{١٢٩}."

لكن هل هذا ما قاله الأصفهاني في الاغاني؟ لنفتح كتاب الأغاني للأصفهاني:



فمن المهم لكل مهتم بمقارنة الأديان أن يفتن لمثل هذا فلا يعطي الأمان المطلق للكتب العربية والإسلامية التي حققها هؤلاء، ويجب الإطلاع على غيرها من الكتب والمخطوطات مما أصبحت تتوافر في كل مكان، وهذا لا يهضم حق كثير من المستشرقين ممن تحلوا بالنزاهة العلمية وساهموا إسهامات قوية في إخراج تراث الأمة للنور بتحقيق الكثير من المخطوطات تحقيقاتٍ تشهد لهم ولجهدهم.

حجية الوحي

الاستدلال بحالات الوحي

وذلك بما دلت عليه الروايات الصحيحة، أثناء نزول الوحي عليه كان يأتيه فجأة وهو بين أصحابه، وتعترية أعراض إلزامية كاحمرار الوجه، وتتابع الأنفاس، وثقل في الجسم، وتقصد العرق في اليوم الشديد البرد، ومع كل ذلك ما كان يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه، مما يؤكد أن الوحي أمر خارجي.

الأدلة العقلية على أن محمد ﷺ ليس هو مؤلف القرآن الكريم

- لو كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن بما فيه من مبادئ وأفكار، فلماذا كان ذلك بعد (٤٠) سنة من عمره، أكان يسكت طوال الأربعين السنة الأولى من حياته عن الدعوة ثم ينشط فجأة بعد الأربعين؟
- ولو كان الوحي من عند محمد ﷺ ومن ابتكاره لجعله يوافق هواه، ولو كان من إنشائه، فلماذا لم يضمه أحاديثه؟ ولماذا لم يسرد فيه قصة حياته؟
- وكيف يمكن أن يكون القرآن من عنده وهو يخالف رأيه في بعض المواقف، بل يعاتبه ويلومه على أفعاله وبعض تصرفاته؟
- ثم إن القرآن لا يعكس شخصية الرسول ﷺ في أفراحه وأحزانه، فقد توفي عمه وزوجه في عام واحد فحزن عليهما شديداً، ومع ذلك لم توجد في القرآن أي إشارة إلى ذلك.
- وفي بعض المواقف كان القرآن يخالف رأي الرسول ﷺ، بل كان يأتيه عتاب ولوم على أفعاله، فقد عاتبه القرآن على موقفه من عبد الله بن أم مكتوم الرجل الأعمى بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١-٢]
- وقد واجه النبي ﷺ كثيراً من المواقف الشديدة التي كان يحتاج فيها إلى القرآن لحسمها، مثل ما حلّ به عندما رماه المنافقون في أهل بيته، فلم يستطع أن يفعل شيئاً مدّة شهر حتى جاءه الوحي ببراءتها وقطع السنة الخائضين بالإفك، فلو كان القرآن من عنده لقطع بالبراءة من أول وهلة.

- يضاف إلى ذلك هبوط الوحي لأول مرة على الرسول وأثره في شخصيته، وكيفية التوفيق بين انقطاع الوحي ثلاث سنين، وشوق الرسول إليه.

دليل أسلوب القرآن الكريم

أسلوب القرآن البليغ المعجز المغاير لأسلوب الرسول ﷺ فيما صدر عنه من أقوال غير القرآن، فالحديث يختلف عن القرآن من جهة أسلوبه، وكل من يفهم العربية يدرك الفرق الشاسع بين الأسلوبين، فلو كان القرآن من عنده لما اختلف الأسلوبان، وبذلك بطل هذا الزعم.

التواطؤ الكوني

ما تضمنه القرآن من إشارات علمية دقيقة، ونبوءات غيبية، وأمر التشريع، وغير ذلك من العلوم والمعارف التي يزخر بها القرآن، كل ذلك ينفي بشريته، فمن أين لمحمد ﷺ الوقوف على تلك الحقائق العلمية؟ فدل على أن القرآن من عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً.

وأيضاً لو كان حدث هذا الأمر مرة أو بضع مراتٍ لكان لهم أن يقولوا إنها مصادفة، أما أن يتكرر ذلك عشرون وثلاثون وأربعون وفي زيادة، وفي كل مرة يُقرر العلم شيئاً تقريراً قطعياً، فيأتي موافقاً لما في كتاب الله سابقاً للعلم، فهذه معجزة لا يقدر عليها محمد ولا غيره من الأنبياء ﷺ، فلا تكون إلا بالوحي!

فإذا تكلم القرآن في الأدب، إذا تكلم فيما نسميه اليوم علوم الاجتماع، إذا تكلم فيما نسميه علوم النفس، إذا تكلم فيما يتعلق بعلم التاريخ، أو الكونيات، إذا تكلم في الفلك، إذا تكلم عن السماوات والبحار والأنهار، إذا تكلم عن الأجنة... إلخ

فإنه في كل ما سبق يقرر الحقائق التي لا يصدقها العلم إلا متأخراً بعد قرونٍ وقرونٍ من الدراسات والتجارب والنظر. ومع ذلك فكل شيء يقرره كتاب الله فإنه لا يقرره من باب كونها أمور علمية، بل هي آيات الله وبراهينه لإثبات البعث وإثبات نبوة أنبيائه ورسالته لكل ذي عقلٍ، ثم في النهاية يأتي العلم ويجزم بما قاله، فهذا هو التواطؤ الكوني لمحمد، والذي لا يمكن أن يكون لبشرٍ إلا بوحي.

التواطؤ الغيبي وبشارات الأنبياء قبله

من أخبره بقصص القرون الماضية، وأخبار الأولين؟ والنبوءات الغيبية، وبشارات الأنبياء قبله التي تحققت فيه، ومهما بلغ الإنسان من العبقرية، فإنه لا يستطيع خرق حجب الغيب وتطويعها كلها لتشير إليه أو تثبت صحة ما قرره.

ثم أن تكون بشارة نبيٍّ أو بشارتين، محل مصادفة سعيدة عندهم، فماذا إن كانت كلها لا تشير إلا لمحمد ﷺ؟

وتشير إلى علاماتٍ ودلالاتٍ لم توجد لأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ، أن تجد من البشارات عشرة وعشرون وربما أكثر فهنا تسقط تلك الصدفة السعيدة، وإلا فتحدث مرة أخرى عن تواطؤ غيبي يكون لمحمد ﷺ، أصبح هناك تواطؤ غيبي مع بشارات الأنبياء كلها تشير إلى نفس هذا الرجل بمعنى أن العلم يأتي موافقاً له، وبشارات الأنبياء أيضاً تأتي دالة على النبي محمد ﷺ، فهذا لا يستطيعه محمد ﷺ، إلا بوحي الله.

مثال:

عند قولهم إن هناك نبي سيأتي في مكانٍ علامته كيت، وآياته كيت وكيت، وتبحث في كل من أتى يبحث هذه النبوات، فتجد أن كلها متحققةً فيه ﷺ، إذا كان المسيحي لا يصدق لماذا في كل مرة النبوات لا تنطبق إلا على النبي محمد ﷺ؟ هل في كل مرة صدفة؟ هل في كل مرة تلاعب كلمات؟ هل أوتي رسول الله القدرة على خرق حُجُب الغيب الماضي وأمسك بيد الكتابة فجعل كتاباتهم الموهمة لا تكون علاماتها إلا في محمد ﷺ؟

سر بقاء القرآن محفوظاً منذ أن جاء به محمد ﷺ

لم يثبت في تاريخ البشرية أن ظل كتاب كما هو، دون زيادة ولا نقصان، أو تحريف أو تبديل، فإذا قدر محمد عليه السلام على الحفاظ عليه طوال حياته، فما الذي حال دون ضياع جزء منه بعد وفاته، كما حرّفت وبدلت كتب أهل الكتاب، وما سبقها من كتب الله المنزلة؟

وهذا الحديث عن حُجبية الوحي ينقلنا إلى موضوعٍ أكبر يتداخل معه وهو علامات صدق النبوة.

علامات صدق النبوة

كل ما سبق في حجية الوحي.

حقيقة الدعوة

حقيقة دعوة النبي هي التوحيد، بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وخلع عبادة ما سواه، وكل ما يوافق صريح العقل، فالعقول توجب الإقرار بالخالق وبوحدانيته، والإقرار برسله، لذا يجب أن يتضمن دعوة النبي أصولاً:

١. الأصل الأول الذي يدعو إليه ويصححه النبي: إثبات الصفات والتوحيد والقدر.

٢. والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع، والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يُحبه الله وما يكرهه.

٣. والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب.

ومدار المعرفة بكل ما سبق من أصول على الرسل، فإن لم يبينه النبي أو الرسول، فكيف يثبت صدق النبوة، وعلماً بُعث إذن؟

صدق النبي (المرسل) في ذاته

قبل النبوة وبعد النبوة، صدقه في ذاته، وصدقته في أخلاقه.

فالعقل يوجب أن يختار الله لحمل رسالته من بين عباده من يكون القدوة الحسنة لهم، والعقل يوجب أن يكون النبي معصوماً في التبليغ عن الله، من أهل الصدق، وإلا فكيف تقوم به الحجة إن كان كذاباً؟ فيشهد له الأقربون وكل من عرفوه، وهذا القيد من موجبات العقول.

ولذا كانت العدالة شرطاً أساسياً في نقل الحديث عن رسول الله، ألا يُقبل الحديث إلا من عدل، وأخص صفات العدل "الصدق". ولذا كان الصدق، أول ما احتج به النبي ﷺ وسلم على قريش، حين بُعث، فقد جاء في الحديث:

(لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟) ١٣٠

وهذا الشرط البديهي لم يتحقق فيما نسبه كتابة الكتاب لأنبياء اليهود والنصارى، لا عند اليهود ولا عند النصارى، برغم شهادة الكتب عليهم وعلى بدهية هذا القيد كما جاء في سفر حزقيال "رأوا باطلاً وعرافة كاذبة، وحي الرب

والرب لم يُرسلهم وانتظروا اثبات الكلمة. ألم تروا رؤيا باطلة وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين وحي الرب وانا لم
اتكلم" [الإصحاح ١٣: العدد ٧/٦]

ومثال ذلك على ضلال النصارى في هذا الشرط:

خداعة بولس، خدعهم وانخدعوا له، وهو نفسه يقر بهذا الكذب فيقول في رسالته إلى أهل رومية "فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ
صِدْقُ اللَّهِ قَدْ أَزْدَادَ بَكْذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَذَا أَدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِي؟" [الإصحاح ١٣: العدد ٧/٦]

بل ويفتخر بنفاقه ويعُذ هذا من علامات الذكاء، كما في رسالته الأولى لأهل كورنثوس ٩: ١٩ - ٢٣ "فإني إذ
 كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود وللذين تحت
 الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أنني لست بلا
 ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت
 لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه" [الإصحاح ٩: العدد ١٩-٢٣]

وحال بولس هذا قبل النصرانية هو القتل لتلامذة المسيح، فكيف يُصدق ويؤمن على دين المسيح؟

فكل هذه أدلة داخلية (من الكتاب نفسه، من عقيدتهم هم) تشهد على أن نبيهم كذاب، فإن كان هذا يحلل الكذب
 على الناس في سبيل ما يعتقد، ألا يكذب على الله؟ فتصوّر أخي الكريم إن جاءك أحد معروف بالكذب، عقيدته
 تُبيح الكذب طالما تخدم غايته، وقال لك إني نبي، عقلاً: هل تصدقه؟

الجواب: واضح، لا يُمكن تصديقه، إذن أنت أسقط نبوته وانعدام صدقه، نقلاً مما عنده، وعقلاً تقر بهذا الاستنتاج
 الذي يلزمنا بها العقل السالم، كما أن العقل يوجب أن يكون النبي صادقاً في أفعاله وأقواله.

وهناك أمرٌ آخر، وهي أن الأدلة الداخلية تعند عقلاً بدعوى الكذب وتُسقط النبوة والرسولية من فورها، إذا شهد
 مُدعي النبوة على نفسه بالكذب سواء صح النقل أم لم يصح (من باب انعدام التهمة)، لكن لا تُثبت نبوته بشهادته
 لنفسه بالصدق (من باب جلب المنفعة لنفسه)

إلا إذا تُثبت النبوة عقلاً، مثل: أن يصحّ النقل مع ثبوت حقائق الوحي والنُّبُوت، وإقرار من عايشه وعاصره
 وشهادة الشهود، فأنبياءهم الذين شهدوا لأنفسهم بالصدق، أو لم يُشهد عليهم بالكذب يعني لم يُقال في حقه أنه
 كذاب، أو لم يظهر أنه اتخذ الكذب عقيدة، فكيف يُمكن إثبات صدقه عقلاً؟ أي كيف تُثبت عقلاً: هذا النقل
 المزعوم بالصدق أو الصدق المسكوت عنه؟ مُحالٌ إن لم يُنقل لنا نقلاً صحيحاً سيرة هذا النبي، بل مُحالٌ إن

ضاع الوحي كله ولم يبق إلا كتب مبتورة لا يُعرف من كتبها، إذن يكون إيمان النصارى خلواً من كل عقل في ظل غياب النقل الصحيح لكتب أنبيائهم وسيرة حياتهم، كما لا تستطيع أن تستدل بالصمت التاريخي على صدق من لم يُنقل صدقه، نقلاً صحيحاً.

لا نعرف شيئاً عن يسوع، لا نعرف أي شيء عن حزقيال وكذلك عن إشعياء، وغيرهم، كل هؤلاء لا نعرف عنهم أي شيء إلا أن هناك كُتُباً كتبها مجهولون وظهرت فجأة بعدهم بعقودٍ أو قرونٍ وذكرت أنهم أنبياء وأن هناك من صدق بهذه الكتب، هذا كل ما نعرفه من دعاوى مقطوعة.

لكن عندما يكون عندك سيرة وأحاديث النبي ﷺ منقولةً إليك في أعلى درجات الصحة، عنه وعن أصحابه وتابعيهم في سلسلة لا تنقطع، فهنا تثبت النسبة عقلاً، وثبتت شهادة الشهود ممن حوله وعاصروه، ولا تتوقف صحة الشهادات على مجرد النقل الصحيح، بل تعدت ذلك إلى تواترها مما يستحيل تواطؤهم جميعاً على الكذب.

وهنا يُلزمك العقل باعتبار دعاوى الصدق عقلاً، أصبح عندك مادة يُمكنك الاعتماد عليها في التوثق من صدق النبوة، يدرسها المستشرقون والباحثون دراسة حقيقية لإثبات إن كان صادقاً أم غير ذلك. وكلها تنقل شهاداتٍ متواترة على صدق النبي، فتستطيع أن تكتب في صدق النبي محمد ﷺ مجلداتٍ مما صح عندنا، ولذا فروايات السيرة المنقولة نقلاً صحيحاً هي شهادات تاريخية وعقلية مُعتبرة، وهي التي جعلت المستشرقين في العقود الأخيرة، حين جنحوا إلى الموضوعية أو التزموا قدرًا أكبر من الحيادية، أن يُقرروا صدق النبي ﷺ في كتاباتهم، أما في غياب الوثائق كما هو الحال عند النصارى، فلا محل للعقل والإثبات ولا موطن قدم له في المناظرات.

وهنا ننتقل إلى نقطة ثالثة، وهي أن نبوة الأنبياء السابقين، المقطوعة نقلاً وتاريخاً لا يمكن أبداً- حتى لأهل الكتاب- إثبات صدقها إلا من خلال الإسلام، لأن المقدمات العقلية الوحيدة الملزمة بصدقهم هي أن يبحث المعترض على:

١. وحي (يتوافر فيه أصول الوحي)

٢. صح نقله

٣. يشهد بنبوتهم وصدقهم

ولا يتوافر ذلك إلا للإسلام، فإذا ثبت صدق نبوة محمد ﷺ نقلاً وعقلاً، تثبت بالتبعية نبوة الأنبياء السابقين وصدقهم وما خُبر عنهم. وإذا نفى المعترض نُبوتَه فقد أسقط آخر أملٍ وحيدٍ لثبوت الرسالات التي يؤمن بها

عقلاً، ولذا كان كثيرٌ من طوائف اليهود أكثر عقلانية من النصارى، واستحقوا الغضب بكونهم أقرؤا نبوة النبي فأثبتوا نبوات أنبيائهم بينما لم يتبعوه -تأويلاً وتخصيصاً لنبوته بالعرب- فاستحقوا الغضب.

تصديق النبي للأنبياء قبله

فدين الله واحد وإن اختلفت الشرائع، وإن كان الرسل من عند الله ﷻ، فمن أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحدٍ منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع، ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع، لأن كلَّ رسولٍ يُصدّق الآخر ويقول: إنه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولاً فقد كذب الذي صدّقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته.

ولذا كان من أهم علامات النبوة وصدقها هو إقرار النبي بدعوى من سبقوه من الأنبياء وتصديقهم، وهذا اختبار حقيقي يدل على صدق النبي مع تحقق باقي الشروط، وهو متحقق في محمد ﷺ، وأنبياء الكتاب المقدس ممن دعوا إلى التوحيد، كما أن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً، ودعواهم واحدة، فإن آية كلِّ نبيٍّ هي آية لجميع الأنبياء، لأن ما أتى به الأول من الآيات، فهو دليلٌ على نبوّته، ونبوّة من يُبشّر به من بعده، وما أتى به الثاني فهو دليلٌ على نبوّته ونبوة من يُصدّقه ممّن تقدّمه من الأنبياء.

وهذا الشرط يُمكن به إسقاط نبوة النبي الكاذب كما عند النصارى، فهو غير متحقق في بولس، فقد انقطع عن الأنبياء قبله، فكذبهم، لكنهم بإقرارهم أنبياء الله، فيكون تكذيب بولس لهم ابطال لنبوته بصحة نبوتهم. وظاهر انسلاخ بولس عنهم فهو الذي لعن المسيح وبعثه بكل نقيصة قبل أن يدعي أنه مرسل، وأما بعد ادعائه النبوة، وأنه رسول المسيح، فقد عمم النقيصة بالمسيح وجعل أصل العبادة عند النصارى أن يكون المسيح ملعوناً، فالمسيح لعنة، بل وأن يُلعن كل أنبياء الله السابقين، ويكون الناموس ذاته لعنة!

ولذا برأ الله المسيح -عليه السلام- من افتراء كتبة الكتاب بأنه قال على الأنبياء قبله سراق ولصوص، بل أكد على تصديق المسيح ﷺ بموسى عليه السلام، كما حكى الله ذلك عنه بقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [آل عمران: ٥٠] وجعل الله شرط الإيمان وركنه الركيز الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله السابقين.

صدق وتحقق النبوات والمعجزات

النبوة هي أصل المعجزة، فلا نبوة بلا معجزات، والمعجزات قد يُعلم بها ثبوت الصانع (إثبات الخالق) وصدق الرسول، معاً والمعجزة (آيات الله الكبرى) دليل على النبوة كما ان الكرامة (آيات الله الصغرى) دليل على صدق المتبع للنبوة الصادقة.

إذن فآيات الأنبياء هي أدلة وبراهين على صدقهم، والدليل يستلزم المدلول عليه، وكما أن الحادث دليل على المحدث، ويمتنع وجود حادث بلا محدث، فكذا المعجزة دليل على صدق النبوة، ويمتنع وجود المعجزة (الدليل) مع غياب صدق النبوة (المدلول).

ومن شرط المعجزة أو الآية للأنبياء أن تكون خارقة للعادة ولا يقدر أحد على معارضتها، والإتيان بمثلها، ولا يكفي أن يقال أن تكون خارقاً للعادة، بل خارقة لعادة غير الأنبياء، فمتى عُرف أنه يوجد لغير الأنبياء بطلت دلالة الإعجاز، كما أن من معجزات النبي وخواص الأنبياء: الإخبار عن الغيب، والإنباء به.

الإلزام الإلهي بمثلية الوحي

● وذلك كما في قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣] أي: يوحى الله إليك مثل ما أوحى إلى الذين من قبلك، ومثلية الوحي هذه في جنسه وموضوعه والغرض منه، لأنه خاتمهم المكمل لهدايتهم.

● وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

● ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَائِشَةَ دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] والمقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك، فيما كذبك فيه الكافرون.

● ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

● وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٩-١٠]

● وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُمْ غُلَمَتْؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]

إلى أمثال ذلك من الآيات التي تدل على أن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدق محمداً ﷺ، فيما كذبه فيه المشركون من الدعوة إلى التوحيد، وفي أن الرسل إلى البشر من البشر، وفيما ينتابه من الوحي وغير ذلك، كما هي سنة الله تعالى الحكيمة.

ومن الآيات الدالة على نبوته ﷺ، هي:

- قول الله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [يونس: ٩٤-٩٥]

وليس في الآية ما يدل على وقوع الشك ولا السؤال أصلا، فإن الشرط لا يدل على وقوع المشروط، بل ولا على إمكانه، وتعليق الحكم بالشرط لا يستلزم تحقق الشرط ووجوده ؛ إذ قد يتعلق الحكم بشرط ممتنع

- كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢]
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ [الزخرف: ٨١]
- وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]

- وقوله سبحانه ﴿ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]

فأخبر سبحانه بأن هؤلاء الأنبياء لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، مع انتفاء الشرك عنهم، بل مع امتناعه منهم، لأنهم قد ماتوا على التوحيد، ولأنهم معصومون من الشرك، ونظائره، فرسول الله ﷺ لم يشك ولم يسأل.

فإن قيل: فإذا لم يكن واقعا ولا ممكنا، فما مقصود الخطاب والمراد به؟

قيل: المقصود به إقامة الحجة على منكري النبوات والتوحيد، وأنهم مُقَرَّرُونَ بذلك لا يجحدونه ولا ينكرونه، وأن الله سبحانه أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بذلك، وأرسل ملائكته إلى أنبيائه بوجيه وكلامه، فمن شك في ذلك، فليسأل أهل الكتاب، فأخرج هذا المعنى في أوجز عبارة، وأدلها على المقصود، بأن جعل الخطاب لرسوله الذي لم يشك قط، ولم يسأل قط، ولا عرض له ما يقتضي ذلك، وأنت إذا تأملت هذا الخطاب بدا لك على صفحاته: "من شك فليسأل، فرسولي لم يشك ولم يسأل"

أمثلة على بشارات الأنبياء عند أهل الكتاب وإرهاصات ما قبل البعثة

- يقول تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]

- وقد جاء في سفر التكوين: " وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَكَ فِيهِ. وَهَاءَ نَدَا أَبَارِكُهُ وَأُنْمِيهِ وَأَكْثِرْهُ جَدًّا جَدًّا، وَيَلِدْ أُنْتِي عَشْرَ رَبِّيسَاءَ، وَأَجْعَلْهُ أُمَّةً عَظِيمَةً" [الإصحاح ١٧: العدد ٢٠]
- وفي سفر التكوين كذلك: "وابن الجارية أيضا سأجعله امة لأنه نسلك" [الإصحاح ٢١: العدد ١٣]
- ومن سفر التثنية: "اقم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به" [الإصحاح ١٨: العدد ١٨]

وإخوة بني إسحاق هم بني إسماعيل ولا شك، ناهيك أنه بالتواتر عرف أن إسماعيل ﷺ عاش بمكة والكتاب المقدس يقول في تكوين: "وسكن (إسماعيل) في برية فاران" [الإصحاح ٢١: العدد ٢١]

ونقرأ أن النبي ﷺ سيكون من فاران أي جبال مكة والحجاز، كما في التثنية ٣٣ / ٢: فقال: "جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير وتلألاً من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم" [الإصحاح ٣٣: العدد ٢]

ورغم إنكار وتضليل النصارى واليهود منذ النبي حتى الآن في ذلك، فإنهم يقررون أنهم لا يعرفون عن جبال فاران إلا أنها في العربية، فيقول قاموس سترونج: "إن فاران في صحراء العرب Paran, a desert of Arabia".^{١٣١}

- ومن هذه البشارات كذلك، ما جاء في سفر أشعيا: "وحي من جهة بلاد العرب: في الوعر في بلاد العرب تبيتين، يا قوافل الددانيين، لاقوا العطشان بالماء، يا سگان تيماء، واقوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب، فإنه هكذا قال لي السيد: في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيذار" [الإصحاح ٢١: العدد ١٦/١٣]

وقد تحققت هذه النبوءة وفي سنة واحدة، وهي سنة ستة للهجرة "في مدة سنة كسنة الأجير" صارت العربية كلها شمالها وجنوبها وشرقها وغربها في يد محمد ﷺ وصحابته ﷺ

- ويتحقق فيه ﷺ ما قاله أشعيا النبي: "هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يُقصف وفتيلة خامدة لا يطفأ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته" [الإصحاح ٤٢: العدد ٤/١]

والجزائر ليست دولة الجزائر، بل كل الأرض اليابسة التي تحيط بها المياه.

فطبيعي أن تظهر إرهابات النبوة، وأن يعلم ورقة واليهود والنصارى وبحيرى الراهب، وأي اسم يودون وضعه، طبيعي ان يعلموا جميعا أن هناك نبي أت، من بلاد العرب من نسل إسماعيل، من بين الأميين، أن هذا النبي سيأتيه الناموس وهو لا يعرف القراءة ويلقى عليه في فمه

• كما في سفر اشعيا: "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال اقرأ هذا، فيقول لا أعرف الكتابة

"وأكمل النبوءة" وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه" [الإصحاح ٢٩: العدد ١٢]

وعنه أيضا: من صفات النبي القادم أن يكون بين كتفيه خاتم النبوة، وهذا كان مشهورا بين كل النصارى في

الشام، اشعيا: "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا وتكون الرياسة على كتفه" [الإصحاح ٩: العدد ٧/٦]

مرة أخرى طبيعي أن يعلم ورقة واليهود والنصارى وبحيرى الراهب، وأي اسم يودون وضعه، لماذا قد يتفحص الراهب الصبي محمد ﷺ فيجد خاتم النبوة.

بل وهو النبي المنتظر بعد المسيح الذي قال عنه المسيح "لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم

انطلق لا يأتيكم المعزي -أي الباركلتيوس الشفيح المؤيد- ولكن إن ذهبت أرسله اليكم" [الإصحاح ١٧: العدد ٧]

• وفي متى: "متى جاء هو أي روح الحق أرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع

ويخبركم بما سيحدث، سيمجديني لأنه يأخذ مما لي ويطلعكم عليه" [الإصحاح ١٦: العدد ١٤/١٣]

• وفي متى كذلك ٢٧-٢٥/١٤: "قلت لكم هذه الأشياء وأنا مقيم عندكم، ولكن المؤيد... هو يعلمكم جميع

الأشياء، ويذكركم جميع ما قلته لكم" [الإصحاح ١٤: العدد ٢٧/٢٥]

• وكذلك "قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية،

من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة

تعمل أثماره" [الإصحاح ٢١: العدد ٤٥/٣٣]

هذه النبوة لفقها متى، ولوقا، ويظهر التلفيق إذا عرفنا أن نفس النبوءة موجود في كتاب عزرا (عزير) الرابع

(رؤيا عزرا) مكتوب نفس الكلام: "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً

أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!" هُوَذَا بَيْنَكُمْ يُنْزَكُ لَكُمْ خَرَابًا!

وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُ تَقُولُونَ فِيهِ: فَانظُرُوا هَا هُوَ آتِي مِنْ أُمَّةِ الْمَشْرِقِ"

فقد حذفوا جملة ها هو أتى من أمة المشرق، حتى يفصلوا النبوة على يسوع لكن النبوة موجودة على سيدنا محمد، فهذا يدل على أن متى و لوقا كانا يُلفقون النبوءات ويُلفقون التاريخ.

• وقال لهم أيضا كما جاء في إنجيل متى: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الانبياء و راجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها و لم تريدوا 35 هوذا بيتكم يترك لكم خرابا و الحق أقول لكم أنكم لا ترونني حتى ياتي وقت تقولون فيه مبارك الاتي باسم الرب" [الإصحاح

٢٣: العدد ٣٧]

لكن متى و لوقا نقلوا هذه النبوة عن كتاب سابق لهما كما قال لوقا قبلها: "تقول حكمة الله"، وحين نقل كلاهما النبوة، فإنهما لم يكملها وحذفوا المكان الذي سيظهر منه هذا الاتي باسم الرب، لكن اليهود والنصارى الذين آمنوا بكتاب عزرا الرابع Ezra IV أو رؤيا عزرا عندهم مكتوب فيها هذه النبوة كذلك، لكن فيها التفصيل الذي حذفه متى و لوقا.

• وقال عنه اليهود معددين ثلاث أشخاص ليوحنا المعمدان، كما جاء في يوحنا: "وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت، فاعترف ولم ينكر وأقرّ إني لست أنا المسيح، فسألوه إذا ماذا، ايليا أنت؟ فقال لست أنا، النبي أنت. فأجاب لا، فقالوا له من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك، قال أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي، وكان المرسلون من الفريسيين. ٢٥ فسألوه وقالوا له فما بالك تعمّد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي" [الإصحاح ١: العدد ٢٥/١٩]

• وفي لوقا: "وَفِيمَا كَانَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ وَالتَّلَامِيذُ مَعَهُ، سَأَلَهُمْ: «مَنْ يَقُولُ الْجُمُوعُ إِنِّي أَنَا؟» ١٩ فَأَجَابُوهُ: «يَقُولُ بَعْضُهُمْ إِنَّكَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ إِنَّكَ إيلِيَّا، وَآخَرُونَ إِنَّكَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْقَدَامَى وَقَدْ قَامَ!» ٢٠ فَسَأَلَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَهُ بَطْرُسُ: «أَنْتَ مَسِيحُ اللَّهِ.» ١!

[الإصحاح ٩: العدد ٢٠/١٩]

وقد قال ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابنتى بيوتا، فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة، فيتم بنيانك، فقال محمد ﷺ: فكننت أنا اللبنة)^{١٣٢}

إنه الحجر الذي تمت به النبوات، ومن يا ترى تكون الأمة العظيمة التي أعطيت لها هذه الرسالة، ومن بعد أمة عيسى ﷺ تحملت الوحي وعبدت الله وحده دون سواه، إنها أمة الإسلام

مرة أخرى طبيعي أن يتمسك اليهود المنتشرون في الجزيرة، والنصارى وبحيرى الراهب، وأي اسم يودون وضعه -في عصر الإرهاصات ما قبل البعثة- بتزقب خروج النبي، ولماذا قد يتفحص الراهب الصبي؟ لما له من أصلٍ عندهم في كتابهم عن خاتم النبوة.

وأخيرا وبعد سوق هذه الإرهاصات والأدلة ولم أطل فيها، فإن أكبر دليل يمنع أن يكون محمد ﷺ قد تلقى هذا القرآن عن أحد من أهل الكتاب، هو هذا التواطؤ الغيبي ببشارات الأنبياء قبله، مع عجزهم عن الإتيان بالدليل، فمصادرنا مفتوحة للجميع.

وما سبق هي أمثلة بسيطة، وإلا فغيرها الكثير والكثير الذي يجب على كل داعية أن يلم به، في إثبات تحقيق النبي محمد لنبوة الأنبياء قبله، فأنت إذا ما جمعت كل هذه النقاط تحت كل معيارٍ، وحشدت لكل نقطة منها عشرات الأدلة، لا تجمع عندك المئات من أدلة صدقه ﷺ العقلية والنقلية والبدئية، الملزمة لكل من تحاورهم، مما اجتمع له من براهين لم تجتمع لغيره على وجه الأرض.

لغة القرآن الكريم

مدخل إلى اللغة واللسان

تعريف اللغة^{١٣٣}

"لم يتفق علماء اللغة على تعريف واحد للغة، ويعود عدم اتفاقهم إلى ارتباط علم اللغة بعلم عدة، أهمها: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، وغيرها. فكان كل عالم ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه. ولعل من أشمل تعريفاتها التعريف القائل: "اللغة ظاهرة سيكولوجية-نفسية-، اجتماعية، ثقافية، مكتسبة، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختبار، معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل"^{١٣٤} "١٣٥ انتهى.

تعريف اللغة عند علماء العربية

كان لعلماء العرب السبق في وضع تعريفات اللغة، ولعل تعريف **ابن جني** رحمته الله نال الإعجاب والشهرة بين أكثر الباحثين المحدثين لما تضمنه من دقة واتفاق مع التعريفات العلمية الحديثة للغة، ولأنه يشمل معظم جوانب التعريف التي عرضها علم اللغة في العصر الحديث^{١٣٦}.

وقد توقف **الدكتور غانم قدوري الحمد** عند تعريفين آخرين للغة عند علماء العربية يتضمنان تعريف **ابن جني** رحمته الله ويضيفان إليه عناصر جديدة، وهما تعريف **ابن الجبان** رحمته الله و**ابن خلدون** رحمته الله، وقد أضفتُ تعريفا رابعا **لفخر الدين الرازي** رحمته الله، أراه العُمدة والقول الفصل، وأكتفي بعرض التعريفات الثلاثة وتحليلات **الدكتور غانم** ومقارنتها مع التعريفات العلمية الحديثة من كتابه مع إضافة تعريف **الرازي** رحمته الله ففيها الكفاية في هذا المبحث^{١٣٧}:

تعريف ابن جني رحمته الله (ت٣٩٢هـ): "باب القول على اللغة وما هي: أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^{١٣٨} انتهى.

١٣٣ أصلُ هذا المقال من كتاب أبحاث في العربية الفصحى للأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، وقد تصرّفتُ فيه بإضافة تعريف الرازي وبعض الإضافات القليلة في الصياغة، ولكن لا يخرج عن فكرة وتأسيس وعبارة دكتور غانم، ويُصحح لمن أراد أن يطلع على المقال في أصله أن يعود للكتاب المذكور - (٧-١١)
١٣٤ نظريات في اللغة لأبيس فريجة - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٣ - (١٤)
١٣٥ فقه اللغة العربية وخصائصها - د. إميل بديع يعقوب - (١١) بتصرف
١٣٦ أبحاث في العربية الفصحى - غانم قدوري الحمد - (٧) | ويُنظر في كتاب: فقه اللغة في الكتب العربية - عبده الراجحي - (٦٠) | ويُنظر في كتاب: المدخل إلى علم اللغة - محمد فهمي حجازي - (١١) | ويُنظر في كتاب: مباحث في علم اللغة - رشيد العبيدي - (٢٥)
١٣٧ ما سيأتي من كتاب أبحاث في العربية الفصحى للدكتور غانم قدوري الحمد - (٧-١١)
١٣٨ الخصائص - ابن جني - الجزء: ١ - (٣٤)

تعريف ابن الجبّان رحمته الله (توفي بعد ٤١٦ هـ): "والكلام: أصواتٌ قُطِّعَتْ ضرباً من التقطيع وألِّفَتْ ضرباً من التآليف، ووُضِعَتْ للأفهام، وأما المحفوظ والمكتوبُ فلن يُدعى كلاماً إلا مجازاً، وفي ذلك خلافتُ بين الناس" ^{١٣٩} انتهى.

تعريف فخر الدين الرازي رحمته الله تحت باب الكلام في اللغات (ت٦٠٦ هـ): "اعلم أن لفظة الكلام عند المحققين منا تقال بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس وعلى الأصوات المتقطعة المسموعة. والمعنى الأول مما لا حاجة في أصول الفقه إلى البحث عنه إنما الذي نتكلم فيه القسم الثاني، فقال أبو الحسين الكلام هو المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة المتواضع عليها وربما زيد فيه فقيل إذا صدر عن قادر واحد:

- أما قولنا: المنتظم فاعلم أنه حقيقة في الأجسام لأن النظام هو التآليف وذلك لا يتحقق إلا في الأجسام، ولكن الأصوات المتوالية على السمع شبهت بها فأطلق لفظ المؤلف والمنتظم عليه مجازاً
- وقولنا: من الحروف احترزنا به عن الحرف الواحد فإن أهل اللغة قالوا أقل الكلام حرفان إما ظاهراً وإما في الأصل كقولنا ق ش ع فإنه كان في الأصل قي وشي وعي ولهذا يرجع في التثنية إليه فيقال قيا عيا إلا أنه أسقط الباء للتخفيف
- وقولنا: المسموعة احترز عن حروف الكتابة
- وقولنا: المتميزة احترز عن أصوات كثير من الطيور
- وقولنا: المتواضع عليها احترز عن المهملات
- وقولنا: إذا صدر عن قادر واحد احترز عما إذا صدر كل واحد من حروف الكلمة عن قادر آخر نحو أن يتكلم أحدهم بالنون من نصر والثاني بالصاد والثالث بالراء فإن ذلك لا يسمى كلاماً ^{١٤٠} انتهى.

وعرّف رحمته الله الكلمة فقال: "ونقول كل منطوق به دل بالاصطلاح على معنى فهو كلمة" ^{١٤١} انتهى.

تعريف ابن خلدون رحمته الله (ت٨٠٨ هـ): "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المُتَكَلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير مَلَكَةً مُقَرَّرَةً في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم" ^{١٤٢} انتهى.

١٣٩ شرح الفصح في اللغة - ابن الجبان - (٨٧)
 ١٤٠ المحصول - فخر الدين الرازي - (١٧٧/١ - ١٧٨)
 ١٤١ المحصول - لفخر الدين الرازي - (١٧٩/١)
 ١٤٢ مقدمة ابن خلدون - (٥٤٦)

عند اللغويين المحدثين

ولعل من المفيد نقل عدد من تعريفات اللغة لدى اللغويين المحدثين، وتحديد العناصر الرئيسية فيها، ليتسنى لنا تحليل تعريفات علماء العربية في ضوءها، والموازنة بينها:

٣٤. "اللغة نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض"^{١٤٣} انتهى

٣٥. "اللغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر"^{١٤٤} انتهى

٣٦. "نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة الاصطلاحية"^{١٤٥} انتهى

٣٧. تعريف اللغة عند هال: "اللغة هي المؤسسة التي يتواصل بواسطتها ويتفاعل البشر فيما بينهم بواسطة رموز شفوية -سمعية مستعملة بالعادة"^{١٤٦} انتهى

٣٨. تعريف اللغة عند ليونارد بلومفيلد^{١٤٧}: "إن الكلام -الأصوات- الخاص الذي يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مثير معين يختلف باختلاف المجموعات البشرية. فالبشر يتكلمون لغات متعددة، كل طفل يترعرع في مجموعة بشرية معينة يكتسب هذه العادات الكلامية والاستجابية في سنين حياته الأولى"^{١٤٨} انتهى

ويتضمن تعريف بلومفيلد المسائل التالية:

- اللغة عادة كلامية يكيفها المثير
- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة
- تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر
- اللغة أصوات^{١٤٩}

١٤٣ اللغة بين القومية والعالمية لابراهيم أنيس - (١١)

١٤٤ نظريات في اللغة - أنيس فريحة - (٨)

١٤٥ في علم اللغة - عبد الصبور شاهين - (٢٧)

١٤٦ مترجم من كتاب: Introductory Linguistics لروبيرت هال

١٤٧ أحد علماء اللغة الأمريكيين وأحد أهم الراندين في مجال اللغويات البنوية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. من أعماله المهمة والتي أحدثت أثراً كبيراً في فهم اللغة وطبيعتها في ذلك الحين: كتابه الذي أطلق عليه عنوان (اللغة) عام ١٩٣٣م، والذي قدم وصفاً شاملاً للغويات البنوية في أمريكا. طوّر بلومفيلد الطرق العلمية لدراسة اللغة. وقد ساعد على تأسيس مدرسة علم اللغة البنوي. ويدرس المهتمون بالبنوية صيغ وأساليب اللغة، بدون إشارة للمعنى أو المحتوى. وقد قدم إسهامات كبيرة في ميدان اللغويات التاريخية للغات الهندوأوروبية وفي وصف العديد من اللغات في جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي بالإضافة إلى وصف العديد من لغات السكان الأصليين في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان منهجه اللغوي متميزاً بالتركيز على الأسس العلمية للغويات والانطلاق من المذهب السلوكي في عدد من أعماله الأخيرة، بالإضافة إلى الاهتمام بالإجراءات البنوية في تحليل المعلومات اللغوية. إلا أن تأثير اللغويات البنوية التي أطلقها بلومفيلد قد تراجع وانحسر في نهاية الخمسينيات والستينيات بعد أن ظهرت نظريات القواعد التوليدية التي كان نعم تشومسكي من أوائل واضعيها.

١٤٨ بحوث السنوية عربية - ميشال زكريا - (٦٧)

١٤٩ بحوث السنوية عربية - ميشال زكريا - (٦٨)

٣٩. أما تعريف اللغة عند نعوم تشومسكي، فهي: "ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما؛ لتكوين وفهم جمل نحوية"^{١٥٠} انتهى.

ويشير هذا التعريف إلى: أن اللغة فطرية زود بها الإنسان عند ولادته، يمكنه من خلالها التواصل مع غيره من المتكلمين. كما أشار إلى مصطلحين أساسيين في نظرية تشومسكي هما: القدرة والأداء. أما القدرة: فهي تلك المعرفة التي يولد الطفل مزودا بها وأهم مقومات تلك القدرة عنده هي معرفة الفرد بالقواعد النحوية التي تربط المفردات بعضها ببعض في جملة بالإضافة إلى معرفة مجموعة من القواعد أطلق عليها القواعد التحويلية وهذه المعرفة عند تشومسكي هي التي تمكن الفرد من توليد وإنتاج الجمل النحوية في لغة معينة. كما أن هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما لفهم اللغة الإنسانية وطبيعتها وهما:

٤٠. جانب الأداء اللغوي الفعلي: ويتمثل فيما ينطق به الإنسان فعلا أو ما يطلق عليه مصطلح: 'البنية السطحية' Surface Structure.

٤١. القدرة اللغوية: وهي تتمثل فيما أطلق عليه مصطلح 'البنية العميقة أو البنية التحتية' Deep structure.

ونخلص من هذا التعريف إلى إضافة هذه الخصائص لتعريف اللغة وتتمثل في:

- اللغة مجموعة لا متناهية من الجمل
- اللغة أصوات دلالية
- اللغة ملكة لسانية
- اللغة تنظيم ضمني من القواعد
- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة

وتدور معظم تعريفات اللغة عند المحدثين على محورين أساسيين، وهما^{١٥١}:

- طبيعة اللغة: وهي كونها أصوات
- وظيفة اللغة: وهي كونها تستخدم للإبلاغ والتواصل والتعبير عن الأفكار

١٥٠ فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين - نادية رمضان النجار - مراجعة وتقديم: عبده الراجحي - (١٩)
١٥١ يُنظر: كتاب: مباحث في علم اللغة - رشيد العبيدي - (٢٤)

الخواص المشتركة في تعريف اللغة بين علماء العربية والمحدثين اللغويين

وإذا نظرنا إلى تعريفات علماء اللغة العربية للغة، وجدنا أنها تتضمن الجوانب الأساسية التي ذكرها المحدثون في تعريف اللغة، وعلى الرغم من اختلاف عباراتهم فإنه يمكن ملاحظة العناصر المشتركة في تلك التعريفات، وهي:

اللغة أصوات

إن تعريف اللغة بأنها 'أصوات' يبدو أمرًا بدهيًا، لكن ارتباط اللغة بالكتابة أدى إلى الخلط بينهما أحيانًا، مما جعل النص على أنها 'أصوات' شيئًا مهمًا، ويبدو أن الخلاف في هذه المسألة قديم، وهو ما يُشير إليه قول ابن الجبّان رحمته الله: "وأما المحفوظ والمكتوب فلن يُدعى كلامًا إلا مجازًا، وفي ذلك خلافتُ بين الناس" ^{١٥٢} انتهى.

وبين اللغويين المحدثين جدل حول اعتبار الكتابة جزءًا من اللغة، فبعضهم يرى أن اللغة قد تكون منطوقة وقد تكون مكتوبة، يقول الدكتور محمد المبارك: "اللغة في شكلها المفوظ والمكتوب أداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أذهاننا" ^{١٥٣} انتهى. بينما لا يعد آخرون الكتابة من اللغة، يقول الدكتور محمود حجازي "وكثيرًا ما يحدث عند غير الباحثين في اللغة لبس بين اللغة والكتابة. مادة البحث اللغوي إذن هي اللغة في صورتها الصوتية، وليست الكتابة في أشكالها ولا حروف الطباعة في أنماطها" ^{١٥٤} انتهى. وتوسط بعض الباحثين في هذه المسألة حين قال: "إن الأهمية البالغة التي تضيفها بعض مدارس اللغويين على لغة الكلام ليس لها ما يبررها علميا وفلسفيا" ^{١٥٥} انتهى.

اللغة لها نظام

الأصوات التي تتألف منها اللغة تأتلف في كلمات وجمل وفق نظام محدد، فكل لغة لها نظام في تركيبها، وصرح ابن الجبّان رحمته الله بهذه الصفة للغة في قوله: "أصواتٌ قُطِعَتْ ضربًا من التقطيع وألِّفَتْ ضربًا من التأليف". ويشير إليها قول ابن خلدون رحمته الله: "وهي في كل أمة بحسب اصطلاحهم".

١٥٢ شرح الفصح في اللغة - ابن الجبان - (٨٧)

١٥٣ فقه اللغة وخصائص العربية - محمد المبارك - (١٤)

١٥٤ اللغة العربية عبر القرون - محمود حجازي - الصفحة: ٧، ويُنظر: كتاب: علم اللغة - محمود السعران - (٥٠)

١٥٥ المصدر: لغات البشر - (٢٣)

اللغة ظاهرة اجتماعية

اللغة لا تكون إلا في مجتمع، ولا يمكن للفرد الواحد أن تكون له لغة خاصة به، ولا يعني قول ابن خلدون رحمته الله: "هي عبارة المتكلم عن مقصوده"، أنها ظاهرة فردية، يؤكد ذلك قوله في آخر التعريف: "وهي في كل أمة بحسب اصطلاحهم"، وإذا كان هذا المعنى يُفهم من قول ابن الجبّان رحمته الله: "إن اللغة موضوعه للإفهام"، فإن ابن جنّي رحمته الله صرّح بهذا المعنى في قوله: "يعبر بها كل قوم".

اللغة وظيفة

اللغة وظيفة في المجتمع، فهي أداة للتعبير، ووسيلة للتفاهم بين أفراد المجموعة البشرية التي تستخدمها، وجاءت التعريفات الثلاثة واضحة في التعبير عن هذه الصفة، فابن جنّي رحمته الله قال: "يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وابن الجبّان رحمته الله قال: "وُضِعَت للأفهام"، وابن خلدون رحمته الله قال: "تعبير المتكلم عن مقصوده".

والخلاصة أن علماء العربية كانوا مدركين لطبيعة اللغة ووظيفتها، فهي أصوات لها نظام، تُستعمل في مجتمع، للإفهام والتعبير عن المقصود. ولا يخفى على القارئ أن تعريفات المحدثين للغة التي نقلناها لم تأتِ بجديد في تعريف اللغة، على الرغم من أن تطور الفكر اللغوي والإنساني أتاح للمحدثين مناقشة بعض القضايا الجديدة المتعلقة باللغة، لكن العناصر الأساسية لتعريف اللغة لم تتغير. ومن ثمّ فإن الوقوف عند تعريف اللغة عند علماء العربية أمر مهم في بيان مقدار إسهامهم في درس اللغوي، وسبقهم في معالجة كثير من القضايا اللغوية، والله الموفق.

العلاقة بين الكتابة واللغة

من تعريف اللغة قديماً وحديثاً يتبين أن اللغة هي الأصوات وليس الكتابة (إلا مجازاً ومواضعة)، تستطيع أن تكتب اللغة بأي رموز أو أحرف يصطلح عليها أهل اللغة:

سؤال: ما هذه اللغة؟

כו

1 לא תצנעו לכם אותאנא ומנחותא ונעבא לא תקימו לכם וחגרא מזכרפא² לא תצעו פי בלדכם לתסגרו לה לאני אללה רבכם אלואחד:
 2 סבותי פאחפפו ומקדמי פהאבוה אנא אללה רבכם אנאויכם כירא:
 3 אלא אן סרתם פי רסומי וחפפתם וצאיאי ועמלתם בהא: 4 אנולת 15
 אניאתכם פי וקתהא פאכרנת אלארין אדאהא⁶ ושגר אלצחרא יכרנ
 תמרה: 5 חתי ידרך לכם אלדיאם אלקטאף ואלקטאף ידרך לכם
 אלכדאר ותאבלון טעאמכם הניא ותקימון ואתקון פי בלדכם: 6 ואנעל
 לכם אלסלאמה פי אלארין פתנצנעון ולים מענז ואעטל שר אלחיואן
 אלספסד⁷ מן אלארין וסיף לא ימר בבלדכם: 7 ואדא כלבתם 20
 אעדאכם וקעו בין ידיכם תחת סופכם: 7 חתי יכלב מכם אלסמסה
 מאיה ואלמאיה תכלב רבוה ויקע אעדאכם בין ידיכם תחת אסיאפכם:
 9 ואקבל ברחמתי⁸ אליכם ואתמרכם ואתרכם ואפי בעהדי לכם:
 10 ותאכלון עתיק אלמעתיק ותכרנון אלעתיק מן חצרה אלהדיה:
 11 ואנעל מסכני פי מא בינכם ולא אקלאכם: 12 ואסיר נוריי⁹ פי מא
 בינכם ואכון לכם אלהא ואתם תכונו לי שעבא: 48 אנא אללה

الجواب: العربية بحروف عبرية

כו

1 לא תצנעו לכם אותאנא ומנחותא ונעבא לא תקימו לכם וחגרא מזכרפא² לא תצעו פי בלדכם לתסגרו לה לאני אללה רבכם אלואחד:
 2 סבותי פאחפפו ומקדמי פהאבוה אנא אללה רבכם אנאויכם כירא:
 3 אלא אן סרתם פי רסומי וחפפתם וצאיאי ועמלתם בהא: 4 אנולת 15
 אניאתכם פי וקתהא פאכרנת אלארין אדאהא⁶ ושגר אלצחרא יכרנ
 תמרה: 5 חתי ידרך לכם אלדיאם אלקטאף ואלקטאף ידרך לכם
 אלכדאר ותאבלון טעאמכם הניא ותקימון ואתקון פי בלדכם: 6 ואנעל
 לכם אלסלאמה פי אלארין פתנצנעון ולים מענז ואעטל שר אלחיואן
 אלספסד⁷ מן אלארין וסיף לא ימר בבלדכם: 7 ואדא כלבתם 20
 אעדאכם וקעו בין ידיכם תחת סופכם: 7 חתי יכלב מכם אלסמסה
 מאיה ואלמאיה תכלב רבוה ויקע אעדאכם בין ידיכם תחת אסיאפכם:
 9 ואקבל ברחמתי⁸ אליכם ואתמרכם ואתרכם ואפי בעהדי לכם:
 10 ותאכלון עתיק אלמעתיק ותכרנון אלעתיק מן חצרה אלהדיה:
 11 ואנעל מסכני פי מא בינכם ולא אקלאכם: 12 ואסיר נוריי⁹ פי מא
 בינכם ואכון לכם אלהא ואתם תכונו לי שעבא: 48 אנא אללה

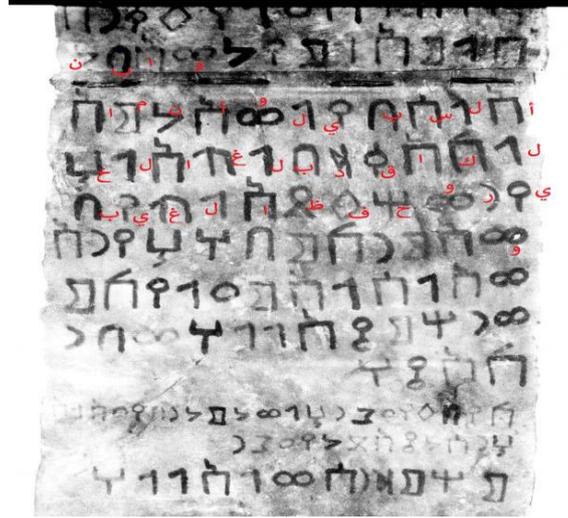
سفر اللاويين: "لَا تَصْنَعُوا لَكُمْ أُوتَانًا، وَلَا تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْنَالًا مَّخُوتًا أَوْ نَصْبًا، وَلَا تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجْرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ سُبُوتِي تَحْفَظُونَ وَمَقْدِسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ" [الإصحاح: ٢٦، العدد: ٢-١]

سؤال: ما هذه اللغة؟



١٥٦

الجواب: العربية، من كتاب محمد رسول الله ﷺ إلى ملوك حمير مكتوبة بالخط المسند، الحميري الجنوبي على الرق، ومؤرخة بعد وفاة النبي ﷺ، وكاتبها على ما يبدو لا يعرف الخط العربي الشمالي ولا الخط العربي الجنوبي (الحميري).



وكتبت بالخط المسند وشاهدنا نموذج من نقلهم الأحرف العربية للمسند الحميري، وكتب بها سعاديا الفيومي التوراة بلغة عربية وبالخط العبري لليهود في زمانه، وآلاف النقوش التي ظهرت في الجزيرة العربية شمالها وجنوبها وشرقها وغربها، وكلها لغة عربية قبل الميلاد وبعده ومكتوبة بأحرف العربية الجنوبية القديمة اللحيانية والثمودية وغيرها.

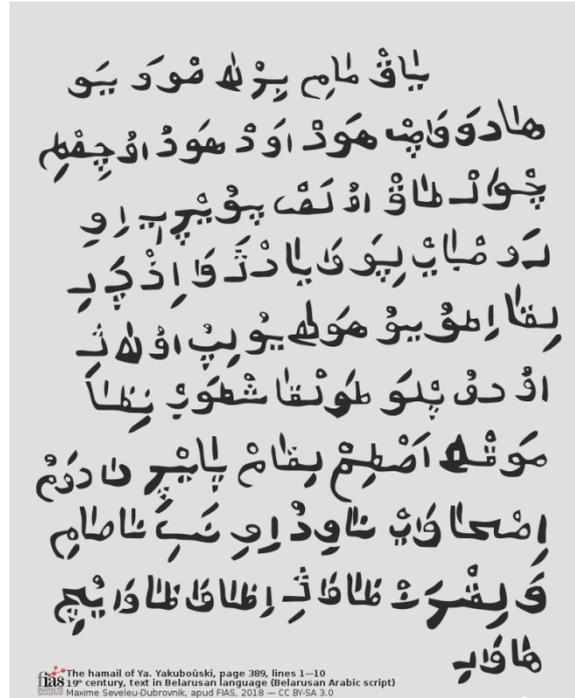
بل وإذا انتقلنا إلى غير اللغة العربية، فإننا نجد أن اللغة الأوردية أو الأوردوية وهي لغة هندية آرية من فرع اللغات الهندية الإيرانية، تنتمي إلى عائلة اللغات الهندية الأوروبية، وهي اللغة الرسمية في باكستان، تُكتب بأبجدية عربية.

جنوب الفلبين ذات الأكثرية المسلمة يتحدثون اللغة الفلبينية، ويستعملون عدة لغات مثل لغة إيرانون واللغة التوسوكية (لغة تاويسوغ Tausūg)، ولغة ياكابان يتحدث بها شعب ياكابان، ويكتبون اللغات الثلاثة الفلبينية بأحرف الهجاء العربية، مع تعديلات على الأصوات غير موجودة في اللغة العربية (Sherfan 1976) وبهذه اللغات، ولكن بأحرف عربية كتبوا تفسير القرآن الكريم. بينما تُكتب لغة الفلبين الرسمية الأولى التاغالو Tagalog بحروف لاتينية، وكذلك يكتبون اللغة الثانية بيسايا Bisaya باللاتينية أيضاً.

• العربية: لا إله إلا الله محمد رسول الله

• تاوسوج: وَيَزُونُ تَهْنُ مَلِيغَكْنُ هَالله، هِمَحَمَدُ بِيغُ رَسُولُ سِيغُ الله

لغة روسيا البيضاء (بيلاروسيا) وأوكرانيا في القرن السادس عشر الميلادي وإلى الثامن عشر كانت تُكتب بالأحرف العربية.



صورة: لغة بيلاروسية مكتوبة بأحرف عربية

إذن اختلاف الخط لا يدل على اختلاف اللغة، كما أن وحدة الخط لا تدل على وحدة اللغة. اللغة شيء والكتابة شيء آخر، اللغة وسيلة تواصل حسية سمعية، بينما الكتابة هي وسيلة تعبير عن اللغة رمزية بصرية. كذلك فالكتابة تالية للغة وخادمة لها، فلا كتابة بلا لغة. لكن يمكن أن يكون هناك لغة بلا كتابة. الأمي يتحدث لغته بطلاقة بينما لا يعرف الكتابة. واللغة تحيا بالاستعمال ولا تحيا في بطون الكتب.

أيهما أعم اللغة أم اللسان؟

استعمل العرب كلمة 'الغّة'، وكلمة 'الغات' للدلالة على اللهجات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربيّة، وترتبط كلُّ منها بقبيلة، أو مجموعة قبائل تعيش في حَيَز جغرافي (الحجاز، اليمن)، وقد تُنسب اللغة إلى القبيلة، لا إلى المكان (تميم)، فكانوا يقولون: 'الغّة أهل الحجاز'، و'الغّة أهل اليمن'، أو 'الغّة بني تميم'، كما يقولون: 'الغّة قُرَيْش'، و'الغّة هُدَيْل'، وجاء اللُّغَوِيُّونَ والَّذِينَ عُنُوا بجمع اللُّغَةِ وتقعيدها، فاستخدموا 'الغّة' الاستخدامَ عَيْنَهُ، فإذا ما أرادوا التعبيرَ عن اللغة، من حيث هي لغّة القبائل العربيّة جميعًا، استخدموا أيضًا 'الغّة'، و'العربيّة'.

اللغة في عرف اللسانيات هي الملكة اللسانية الموجودة عند الأفراد، وهي أعم من اللسان، وقد تُطلق اللغة على كل أنواع التواصل؛ كأن نتحدث عن اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية، أو نتحدث عن لغة الحيوانات أو الطيور، مثلما نتحدث عن لغة الإشارة ولغة العيون وغيرها. واللغة عند الإنسان نظام قائم الذات، يرجع إلى

جينات وراثية تنشأ مع الفرد منذ ولادته، وهي التي تجعله قادرًا على أن يملك لسانًا معينًا، أو لغة خاصة مهما يكن مصدرها أو طبيعتها.

وأما اللسان فهو لغة خاصة لقوم معينين، أو لغة مجموعة لسانية معينة، بغض النظر عن جنسها أو لونها، وهذه اللغة الخاصة لها نظام لساني خاص أيضًا، يتعلق بالوحدات المعجمية واللسانية عمومًا، وأنساق التراكيب، وبالصيغ التصريفية، وبالعلاقات القائمة بين الصوت والتركيب والمعنى، هذا فضلًا عن الكثير من الاستعمالات، سواء تعلقت بالحقيقة أو المجاز^{١٥٧}.

النقل والسماع شرط ثبوت اللغة

اللغات في أصلها نقلية، وأساس معرفتها ومعرفة خصائصها هو السماع، ولذا كان السماع هو الأساس الأول الذي دَوَّن العلماء بموجبه اللغة^{١٥٨}؛ ويقول الإمام فخر الدين الرازي رحمته الله في كتاب المحصول: "الطريق إلى معرفة اللغة النقل المحض وهو إما تواتر أو آحاد"^{١٥٩} انتهى.

والسماع -إذن- رافد مهم من روافد اللغة العربية إن لم يكن الدعامة التي بدونها لا يبني أساس^{١٦٠}. ولقد اهتم العلماء قديمًا بالسماع واعتبروه أصلًا من الأصول الأساسية في تثبيت القواعد النحوية وغيرها، واهتموا به اهتمامًا بالغًا وقبل أن نُفِصِلَ فيه، نشرع أولًا في تعريفه لغةً واصطلاحًا.

السماع في اللغة والاصطلاح:

السماع في اللغة هو: "اسم ما استلذت الأذن من صوتٍ حسنٍ، والسماع أيضًا: ما سمعت به فشاع وتكلم به"^{١٦١} انتهى.

أما في الاصطلاح فقد عرّفه السيوطي رحمته الله بأنه: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظمًا ونثرًا عن مسلم أو كافر؛ فهذه ثلاثة أنواع لا بُدَّ في كل منها من الثبوت"^{١٦٢} انتهى.

١٥٧ اللغة واللسان والكلام - أ.د. عبد الحميد النوري عبد الواحد

١٥٨ الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه - (١٣٤)، ويُنظر: https://www.alukah.net/literature_language/0/80806/#ixzz5wMV4A5rT

١٥٩ شرح كفاية المتحفظ تحرير الرواية في تقرير الكفاية - مجد بن الطيب الفاسي - (٧٩)

١٦٠ مجلة رفوف - مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا - جامعة أدرار - الجزائر - العدد السابع - سبتمبر ٢٠١٥ - الأصول النحوية وتوابعها في اللغة العربية - مسري - الطاهر - (٢٠١)

١٦١ تهذيب اللغة - (٧٤/٢)، ويُنظر: لسان العرب: 'سمع' - (١٦٥/٨)، ويُنظر: تاج العروس 'سمع' - (٢٢٤/٢)، ويُنظر: موقع alukah

١٦٢ الاقتراح في أصول النحو - السيوطي - (٣٩)

فالسماغ أو النقل إذن هو: "الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها"^{١٦٣} انتهى.

شرايط ثبوت اللغة

لنص اللغة المسموع شروط يجب توافرها، ولا تثبت اللغة إلا بها:

٤٢. العربية: فلا بد أن يكون الكلام عربياً

٤٣. الفصاحة: فلا يُنقل إلا عن فصحاء العرب ومن قوله حجة في أصل اللغة كالعرب العاربة مثل قحطان

ومعد وعدنان فأما إذا نقلوا عمّن بعدهم بعد فساد لسانهم واختلاف المولدين فلا

٤٤. صحة النقل: وأن يثبت ذلك عن فصحاء العرب بالسند الصحيح

٤٥. مع عدالة الناقلين: كما تُعتَبَرُ عدالتهم في الشّريعات

٤٦. أن يكون الناقل قد سمع منهم حساً وسمع منه حساً

كيفية الأخذ والتحمل في اللغة

وهذا الأخذ للغة لم يأت من فراغ؛ بل إن النحاة واللغويين كانوا في ذلك وما زالوا يرتحلون إلى البادية، لمقابلة الأعراب الأفحاح فيتطلعون على أحوالهم ويسمعون لغتهم فيتلقون الشيء الفصيح من اللغة ليتهيأ لهم بعد ذلك بناء القواعد على الأغلب والأعم مما هو شائع عند الأعراب. ويُجسّد ذلك ما رواه **علي بن حمزة الكسائي** رحمته الله (١٨٩هـ) حين بهره كثرة حِفْظِ الخليل (تـ١٧٠هـ)، فسأله: "من أين أخذت علمك هذا؟" فأجابه: "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة"^{١٦٤} انتهى.

وقد أخذ العلماء مادة بحثهم اللغوي من أفواه الأعراب، فهذا **الخليل بن أحمد** رحمته الله يأخذ علمه من بادية الحجاز ونجد وتهامة: "وأبو عمرو بن العلاء الذي جاور البدو أربعين سنة"^{١٦٥} انتهى.

وقد روي عن **أبي عمرو اسحق بن مرار** رحمته الله مثل ذلك العمل، قال **أبو العباس ثعلب** رحمته الله: "دخل أبو عمرو إسحق بن مرار البادية ومعه دستيجان حبراً، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب"^{١٦٦} انتهى.

١٦٣ مجلة رفوف - مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا - جامعة أدرار - الجزائر - العدد السابع - سبتمبر ٢٠١٥ - الأصول النحوية وتوابعها في اللغة العربية - مسري - الطاهر - (٢٠١) - لمع الأدلة لابن الأنباري - (٢٧)
١٦٤ إنباه الرواة - (٢٥٨/٢)
١٦٥ يُنظَرُ: مجالس العلماء للزجاجي - (١٧١)
١٦٦ أنباه الرواة على أنباه النحاة - (٢٢٤/١)

وقد كان السماع سنة علماء الإسلام حتى في نقل اللغة من لفظ الشيخ أو العربي قال ابن فارس رحمته الله: "تُوخَذُ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات وتؤخذ تلقنا من ملقن، وتؤخذ سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتقى المظنون" ^{١٦٧} انتهى.

وقال أيضًا: "فلنا فليتحَرَّ أخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة" ^{١٦٨} انتهى.

وقد اعتمد الخليل في تأصيله لقواعد النحو وإقامة بنيانه على السماع والتعليل والقياس، والسماع عنده كان إما نقلًا عن القراء وهو نفسه كان قارئًا وحافظًا لكتاب الله رحمته الله، أو أخذًا عن العرب الخُص الذين يوثق بفصاحتهم كما بيَّنا.

وكان تلميذه سيبويه رحمته الله حريصًا أيما حرص على تحري الكلام المسموع، من ذلك أنه ذهب إلى القول بأن كسرَ الراء في الرضا ومثله الشَّبَع لا يُعرف إلا بالسماع: "وقالوا: رضي يرضى وهو راضٍ وهو الرضا، ونظيره سَخَطٌ يَسْخَطُ سَخَطًا وهو ساخِطٌ، وكسروا الراء كما قالوا: الشَّبَع فلم يجيئوا به على نظائره، وإذا لا يجسر عليه إلا بسماع" ^{١٦٩} انتهى.

ومثله كذلك تحقيقه لهزمة 'نبيء' و'بريئة' كما في لغة قوم من أهل الحجاز، ذهب للقول برداءته، لذلك يفضل أن يقال: نبيء، وبريئة، لأن العُهدَة فيه هو المسموع: "وقالوا: نبيء وبريئة، فألزمها أهل التحقيق البديل. وليس كلُّ شيءٍ نحوهما يُفعل به ذا، إنما يؤخَذُ بالسمع. وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون "نبيء وبريئة"، وذلك قليلٌ رديء. فالبديل هنا كالبديل في "مُتَسَاةٍ" وليس بدل التخفيف، وإن كان اللفظ واحداً" ^{١٧٠} انتهى.

وكان السماع هو عمدة مدرستي النحو في البصرة والكوفة، في وضع القواعد النحوية وقوانين اللغة صنواً إلى جانب القياس، وكان المبدأ بينهما مشتركاً، قبل ظهور الخلاف بين المدرستين، فالرواسي والكسائي والفراء كلهم تزودوا إلى جانب البصريين: كالخليل ويونس وسيبويه من نبع لغوي واحد في البصرة؛ ولذا كان النحو في الكوفة حصداً بذرته الأولى في البصرة. واعتمد كلتا المدرستين في السماع على مدونة عربية سمعتها عن العرب مروية حفظاً أو كتابةً بمتنها إلى سندها، وهذا جانب التوافق، لكن المفارقة حدثت عندما جعل البصريون مدونتهم في إطار زمني وحيز مكاني، مقابل الكوفيين الذين أرسلوا مدونتهم متحررة من تلك القيود ^{١٧١}.

١٦٧ صاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس - (٣٤)

١٦٨ صاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس - (٣٤)

١٦٩ الكتاب لسبويه - (٣/٥٥٥)

١٧٠ الكتاب لسبويه - (٣/٥٣٨)

١٧١ السماع بين البصريين والكوفيين (مقاربة في المنهج) محمد كنعاني، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، مجلة "منتدى الأستاذ"، العدد الحادي عشر، نوفمبر ٢٠١١

صَيَغُ التَّحْمَلِ وَالْأَدَاءِ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ

وقد عدّها السيوطي رحمته الله في ست صيغٍ أعلاها الإملاء "أَمَلَّ عَلَيَّ"، أو "أَمَلَّ عَلَيَّ": يقول السيوطي رحمته الله في (المزهر) ١٧٢ "وللمتحمل بهذه الطرق عند الأداء والرواية صَيَغُ: أعلاها أن يقول أَمَلَى عَلَيَّ فُلَانٌ أو أَمَلَّ عَلَيَّ فُلَانٌ... ويلى ذلك سمعت" كما ذكر السيوطي في المزهر ١٧٣، "ثم حدثنا، ثم أخبرنا فلان، ثم قال لي، ثم قال" انتهى.

• روايد السماع الثلاثة:

لم يكن بالإمكان فهم القرآن بغير نقل اللسان العربي وفهمه والحفاظ عليه، ولذا كان فهم القرآن من كل جوانبه: اللسانية والنحوية والبيانية والفقهية والبحث في وجوه إعجازه هي همة علماء الفقه والعربية منذ صدر الإسلام، فكان من الضروري الرجوع إلى السماع والنقل من أصوله الثلاثة وهي التي اعتمدها علماء اللغة.

يقول ابن الأنباري رحمته الله: "علم أن النقل ينقسم إلى قسمين: تواتر وأحاد، فأما التواتر فلغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب. وهذا القسم دليل قطعي من أدلة النحو، وأما الأحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر، وهو دليل مأخوذ به" ١٧٤ انتهى.

ويقول فخر الدين الرازي رحمته الله: "الطريق إلى معرفة لغة العرب ونحوهم وتصريفهم إما العقل وإما النقل أو ما يتركب منهما أما العقل فلا مجال له في هذه الأشياء لما بينا أنها أمور وضعية والأمور الوضعية لا يستقل العقل بإدراكها. وأما النقل فهو إما تواتر أو أحاد والأول يفيد العلم والثاني يفيد الظن" ١٧٥ انتهى.

٤٧. السماع المباشير من كلام العرب الغُرب الذين نزل القرآن بلسانهم، والرواية عن أشعارهم وأساليبهم من أفواههم

٤٨. كما تمثل النقل أيضا في القراءات القرآنية

٤٩. والأحاديث النبوية

١٧٢ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي - (١١٣/١)

١٧٣ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي - (١١٤/١)

١٧٤ ألمع الأدلة في أصول النحو لابن كمال الدين بن محمد الأنباري - (٨٣)

١٧٥ المحصول لفخر الدين الرازي ١- (٢٠٣)

ثمرة اهتمام العلماء الأوائل بالسماع

وظهر النقل بطريقة علمية عمادها السماع والتسجيل والتدوين. فكان ثمرة ذلك، ظهور أدلة الصناعة النحوية أو ما يُعرف بأصول النحو. ولم يكن علم أصول النحو نقلًا خالصًا أو عقليًا خالصًا، بل كان مزيجًا بين العقل والنقل.

فأما مصادر العقل فهما:

٥٠. علم أصول الفقه: الذي سبق أصول النحو في الظهور

٥١. علم الكلام

المعيار العربي اللغوي للسماع^{١٧٦}

امتزج العرب بغيرهم منذ انتشار الإسلام في القرن الهجري الأول وتعايشوا وتداخلوا فيما بينهم في حواضر الإسلام: كالكوفة والبصرة، وفي مدن شبه الجزيرة العربية: مكة والمدينة. فنتج عن هذا الاختلاط تغيير في أفواه الأجيال الحضرية الجديدة عما كانت عليه وهذا طبيعي معلوم فيما يُعرف بظاهرة الإتصال اللغوي^{١٧٧} (Linguistic contact Phenomenon)، فنجم عن ذلك أن ظهر اللحن وحين بدأ يظهر بين العرب الأقحاح وأهل الأمصار - وكان هذا بمثابة المؤشر على خطورة المرحلة، وهي غياب السليقة الكلامية- فانبرى الغيورون على العربية يؤلفون الكُتب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، لإصلاح لحن العامة وتعليمهم الفصحى، ومن أهم هذه الكُتب:

- (ما تلحن فيه العامة) للكسائي (ت-١٨٩هـ)
- (اصلاح المنطق) لابن السكيت (ت-٢٤٤هـ)
- (ما تلحن فيه العامة) للمفضل أبي طالب (ت-٢٩٠هـ)
- (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت-٢٧٦هـ)
- (لحن العامة) لأبي بكر الزبيدي (ت-٣٧٩هـ)

^{١٧٦} هذا المبحث يعتمد كاملاً على إبداع الأستاذ الدكتور العلامة عبد الرحمن الحاج صالح، رجمة الله وغفر له، في رأيه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة) متبنيًا منهجًا ومُكملاً مسيرته، وحاصلاً عليها، وربما اختصرت أو أضفت أو أطنبت أو غيرت وأعدت التقسيم والتبيين، منتبغًا المراجع ومستزید من المباحث، ولولا أن الغاية هي إكمال الطريق والتدقيق لكنت اكتفيت بطباعة كلامه ونسخه كلمة كلمة، فرحمه الله وغفر له وأتاه عن أمة محمد خيرًا.

^{١٧٧} Sarah Thomason, "Contact Explanations in Linguistics." The Handbook of Language Contact, ed. by Raymond Hickey. Wiley- Blackwell, 2013

• (تنقيف اللسان) لابن مكي (ت ٥٠١هـ)

وأهم الله ﷻ أفراداً من علماء الأمة إلى طريقة علمية بحثية لم يُسبقوا إليها وهي: 'استقراء' النصّ القرآني، كلمةً كلمةً، والنظر قبل كل شيء في أحوال الإعراب من رفع ونصب وجر واستكشاف العناصر الأولية للكلام ثم استنباط بعض القواعد الأساسية كرفع ما سموه بالفاعل، فكانت النتيجة اختراع نظام من العلامات الخطية للدلالة على الإعراب بدءاً من النقط في أول الأمر على يد أبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه.

وهذا النقط اختراع عربي لأن النقط الذي استعمله السريان والعبرانيون قبل ذلك لم يكن يدل على الحركات.

ثم اقتضت العربية الفصحى في نهاية القرن الرابع الهجري على المثقفين بعد انتهاء السليقة اللغوية وصارت 'لغة ثقافية مشتركة' (Cultural Koine) تنتشر بين المثقفين ويتم تلقينها للمولدين في نهاية القرن الثاني وبدايات القرن الثالث^{١٧٨}.

أهمية اللغة

اللغة العربية ولغة القرآن بالنسبة لكثير من أبناء هذا الجيل أصبحت طلاسماً، لا تقلل أخي الكريم من قدر الإعجاز اللغوي للقرآن، فكل الدنيا تطمح ان تكون بليغة في لغتها، بل بدون اللغة تسقط كل العلوم، اللغة هي التواصل، منذ مولدك ألف باء تفاعلك مع العالم كله وتكوين مدخلاتك العقلية والفطرية هي اللغة، وفصاحة اللغة سحر، (وإن من البيان لسحراً)^{١٧٩}، لذا كانت الخطابة أحد أوجه قوة المنطق، بل ولا نقول الخطابة المجردة، بل من يمتلك ناصية الخطابة مع قوة الحجة والبرهان دانت له الدنيا، القلوب تتحرك باللغة، العقول تُدعن بمنطق اللسان، فما بالك بالقرآن الذي جمع مع الحجة البيان؟ لذا في سنوات معدودة سيطر القرآن وأمة القرآن على الدنيا شرقاً وغرباً.

القوة تكمن باللغة في الأساس، فالمغلوب يتبع الغالب ويقلده، ويبقى مبهوراً به، متأثراً به من الناحية اللغوية والثقافية والسلوكية وحتى في الزي كما يقول ابن خلدون، فاللغة المهيمنة هي لغة الدولة المهيمنة، فحينما كانت الدولة الإسلامية قوية ومسيطرته شاع اللسان العربي وتفوق على غيره من الألسنة.

أيقن المستعمر أنه ليتغلغل في البلاد والمجتمعات لا بد من السيطرة على اللغة، بترويح لغة أخرى.

١٧٨ السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة - الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - (٢٦)
١٧٩ صحيح البخاري - الراوي: عبدالله بن عمر - المحدث: البخاري - رقم الحديث: ٥١٤٦ - خلاصة حكم الحديث: صحيح

لقد أراد اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر إبان احتلال بريطانيا لمصر أن يضرب الأزهر والمدارس الدينية، فماذا فعل؟

لم يغلقها حتى لا يثير الناس، ولكنه أنشأ مدارس علمانية بجوار الأزهر تكون الإنجليزية هي لغتها الأساسية، ثم فتح لخريجي هذه المدارس فرص عمل في البلد بأجور أعلى من فرص العمل المتاحة لأبناء الأزهر والمدارس الدينية. ومن ثم توجه الناس لإدخال أبنائهم مدارس اللغات بحثاً عن فرص عمل أفضل، وزهد الناس في الأزهر، وزهدوا في اللغة، ثم زهدوا بعد ذلك في الشرع^{١٨٠}.

إن اليهود عندما أرادوا أن يُنشئوا دولتهم على أرض فلسطين، وجمعوا شتاتهم من بقاع الأرض، ماذا فعلوا^{١٨١}؟

لقد علموا أبناءهم اللغة العبرية إلى درجة الإتقان قبل أن يأتوا بهم إلى أرض فلسطين، ثم أنشأوا الجامعة العبرية أول نزولهم الأرض فلسطين، ودرّسوا مناهجهم باللغة العبرية كلغة أولى وليست ثانية، وهم بذلك حققوا أكثر من هدف:

٥٢. زرعوا العز في قلوب اليهود للغتهم ومن ثمّ لدينهم

٥٣. نجحوا في إحداث التواصل بين اليهود الذين جاءوا من بلاد شتى

أخطر ما يهدد هوية الأمم وثقافتها هو الاستعمار اللغوي والثقافي؛ وذلك عبر حملات وأفكار هدفها الأول والأخير تشويه اللغة الأم في مناهج التعليم وإضعاف مستوى الأداء اللغوي فيها، والتي تُظهر مُستخدمي اللغة الأولى على أنهم متخلفون عن الركب الحضاري.

بلسان عربي مبين

بلسان عربي مبين

أكد الله ﷻ في أكثر من عشر آيات عربية هذا القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال ﷻ أيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، وقال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال ﷻ:

١٨٠ اللغة العربية والقرآن - راغب السرجاني
١٨١ اللغة العربية والقرآن - د. راغب السرجاني - تاريخ النشر: ٢٤/٠٢/٢٠١٦
www.islamweb.net/ar/hajj/article/209599/اللغة-العربية-والقرآن

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿كُتِبَ فُصِّلَتْ عَائِيَّتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وقال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وقال ﷺ: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ عَائِيَّتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وكما هو ظاهر من الآيات فإن لفظ اللسان يأتي في لغة القرآن:

- للدلالة القاطعة على ما تواضع الناس في تسميته لغة الآن
- يأتي أحياناً محتملاً لهذه الدلالة مع احتمال آخر للدلالة على الجارحة أو العضو على النطق كما في قوله ﷺ: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧]
- للدلالة على كيفية النطق الفردي ووضوح الأداة، قال ﷺ على لسان موسى ﷺ: ﴿وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصاص: ٣٤]، إذ ليس لهارون لغة غير لغة موسى ﷺ، بل المراد في هذا الموضع استقامة لسان هارون ﷺ في النطق وطواعيته في الأداء.

عدم جواز قراءة القرآن بغير العربية

وهذا التأكيد القرآني لحكمة، إذن فالقرآن ليس فيه من غير لغة العرب شيء، وأهل العلم يُجمعون على أن القرآن ليس فيه جمل ولا تراكيب أعجمية، وإن وُجد فيه أعلام أعجمية في أصلها. ومن ثم أجمع العلماء على عدم جواز قراءة القرآن بغير العربية، سواءً في الصلاة وفي غير الصلاة، ولا تسمى ترجمة معاني القرآن قرآناً، وإنما هي ترجمة للمعنى (translation of the meaning)، وكذلك التفسير في العربية لا يُسمى قرآناً، لأن إعجاز القرآن في لفظه ومعناه، وليس في معناه فقط.

وهذا فارقٌ مهم نفرق به بين طرفي الوحي: القرآن والسنة، فيصح نقل الحديث عن رسول الله ﷺ بالمعنى لا بنفس اللفظ، وإن كان نقل اللفظ أولى، بينما القرآن الكريم يُنقل بلفظه وحرفه، وأدائه، وكيفية نُطقه، ومخارجه.

والترجمة معلوم أنها تُفقد اللفظ كثيراً من معانيه في اللغة، فتكون النتيجة أن كثيراً من الإعجاز يختفي عند ترجمة المعاني للغة الأخرى، وتُدرَك بوضوح قصور أي لغة عن الوصول إلى ما وصلت إليه اللغة العربية، وإلا فقل لي مثلاً كيف تترجم قول الله ﷻ: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، أو كيف تترجم قول الله ﷻ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

اللسان العربي هنا هو لسان قريش

واللسان العربي الذي نزل به القرآن على محمد ﷺ هو لسان قريش، وسكان مكة وما حولها، فقد بعث الله ﷺ نبيه ﷺ بلسان قومه، وقومه هم قريش، يقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].

ودليل ذلك ما رواه البخاري رحمه الله أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لكتاب المصاحف: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم" ١٨٢.

ومنها رسالة عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين بلغه أنه يعلم الناس القرآن في الكوفة بلغة هذيل، فقال: "أما بعد، فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل" ١٨٣.

وأما عن توقيت ظهور هذا اللسان القرشي، فالغالب أنه حديث لا موغل في القدم، ويمكن إدراك ذلك من المرويات الصحيحة، ففيما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه، حين سئلت زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها: "أرأيت النبي ﷺ أكان من مضر؟ قالت: فممن كان إلا من مضر، من بني النضر بن كنانة" ١٨٤. فهم من أبناء كنانة، روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)" ١٨٥.

فهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - واسم عبد المطلب شيبه - بن هاشم - واسم هاشم عمرو - بن عبد مناف - واسم عبد مناف المغيرة - بن قصي جد النبي الرابع - واسم قصي زيد - بن كلاب - وهو المهذب - بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر جد النبي العاشر بن مالك بن النضر الجد الثاني عشر - وهو قريش - بن كنانة جده الثالث عشر بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والإخباريون على خلاف أن قريشاً إما فهر بن مالك أو النضر بن كنانة.

فلو قلنا إن قريش هم من أبناء جد النبي ﷺ العاشر فهر، فإنهم كانوا متفرقين حول مكة، إلى أن جمعهم جد النبي ﷺ الرابع: قصي بن كلاب، في القرن الخامس الميلادي وأنزلهم بمكة، وبنى لهم دار الندوة، وأخذ مفتاح الكعبة من خزاعة، وصارت في قريش، فأصبحوا هم سدنة البيت وسفاته، يقول جواد علي: "فمن فهر بن مالك وما دونه "قريش" وما فوقه عرب، مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر، فإنما قريش إلى "فهر بن مالك" لا

١٨٢ صحيح البخاري - المحدث: البخاري - الراوي: أنس بن مالك - رقم الحديث: ٨١٣٦ - خلاصة حكم الحديث: صحيح
١٨٣ التمهيد - المحدث: ابن عبد البر - الراوي: كعب بن مالك - (٢٧٨/٨) - خلاصة حكم الحديث: أثبت عنه لأنه من رواية ثقات أهل المدينة
١٨٤ صحيح البخاري - المحدث: البخاري - الراوي: زينب بنت أبي سلمة - رقم الحديث: ٣٤٩٢ - خلاصة حكم الحديث: صحيح
١٨٥ صحيح مسلم - المحدث: مسلم - الراوي: واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة - رقم الحديث: ٢٢٧٦ - خلاصة حكم الحديث: صحيح

تجاوزه. ثم يفسرون معنى "قريش" بالتقرش أي: التجمع، أو جمع المال والتجارة، أو غير ذلك. مما يدل على أن تلك التسمية لم تكن قديمة، وإنما هي لقب في الأصل أطلق على جماعة من بني فهر كانوا يسكنون مكة، فعرفوا به حتى غلب على اسمهم، وصار اللقب اسمًا، ومن هنا اشتهر بين النسابين أنه اسم إنسان وجدّ قبيلة^{١٨٦} انتهى.

فصاحة العربية اجتمعت لقريش

وقد كان لكل قبيلة أو مدينة لهجة تميزت بها، لكن التباين بين تلك اللهجات لم يكن يحول بينهم وبين التواصل والتفاهم. وباجتماع قريش في مكة، صاروا مركز العرب، وهكذا لم تتأثر قريش بالأعاجم ولهجاتهم، لكن اكتسبت من العرب أفصح لهجاتها، للأسباب الآتية:

١. جغرافيًا: كانت قريش كما قال ابن خلدون رحمته الله مركز العرب، وأبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتها، فلم تتأثر فصاحتها بمخالطة الأعاجم
٢. تاريخيًا: كان لوجود الكعبة منذ القدم أكبر الأثر في أن تعطي قريش الريادة التاريخية والسيادة الدينية، فأصبحت قريش قبلة الحج، يحج العرب ويفدون إلى مكة بالآلاف كل عام قبل الإسلام، وكانوا هم سدنة البيت بعد جرهم وخزاعة
٣. اقتصاديًا: كانت مكة كذلك هي ملتقى طرق العرب في رحلاتهم بين الشمال والجنوب، صيفا وشتاءً، فيسر هذا التلاقح بين كل العرب أن يستحسن لسان قريش من اللهجات أفصحها، وان تهجر مستبشع اللغات والألفاظ
٤. ثقافيًا: أقامت قريش الأسواق التجارية والأدبية في مكة بغرض التجارة والمفاخرة، وحل النزاعات بين القبائل. وعندهم يلتقي فحول شعراء العرب واشتهرت بتعليق معلقاتهم على أستار الكعبة، فكانوا يجتمعون كل عام بسوق عكاظ في مكة



ولذا مع مرور الزمن صقلت وظهرت لغة قريش الفصيحة المجموعة من أفصح لغات العرب، حتى استكملت عناصر نضجها قبل نزول القرآن بقرن من الزمان على الأقل، فصارت قريش مضرب الفصاحة بين العرب، بل كانت قبلة فحول شعراء العرب، وأهل الخطابة، والفصاحة، والبيان.

وكان من نتيجة ذلك:

١. أن صارت اللغة في ألسنتهم سهلة ليننة طبيعة، حتى صار الذوق اللغوي عندهم سليقة

٢. أن الشعر عندهم أمره عجيب، فهم يرتجلون الشعر ارتجالاً

٣. أهم شيء ميزهم هو المعارضة: وهي قولهم الشعر في كل الظروف؛ في الفرح والحزن، في الحرب والسلم، حتى قبل الموت والسيوف على الرقاب يقولون الشعر، يقول الواحد منهم بيتاً، تجد الآخر يرد عليه فوراً بيت على نفس الوزن ونفس القافية، وفي نفس المعنى

تحدي فصاحتهم بالقرآن

فتخيل أخي الكريم، حين تجمع قريش فصحاة العرب، وتفتخر بهذا بين العرب كلهم، ويقر العرب ويذعنون لفصحاة قريش، وفصحاة قريش أصلها من؟ من لغة العرب وسنتهم، وماذا بعد هذه الفصحاة من فصاحة؟ لقد وصلوا -في ظنهم المنتهى- ثم يأتي القرآن الكريم لينسف هذه الفصحاة نسفاً، ويقول لهم، هذه الفصحاة لا شيء، ويقولها عملياً، بأعلى درجات البلاغة وأصفي صور الفصحاة، فيعجز البلغاء ويُبهر الفصحاء، "والقرآن الكريم لم يخرج في لغته عن سنتهم وسنن العرب في كلامهم أفراداً وتركيباً فذلك في جملته حق لا ريب فيه، وبذلك كان

أدعى للإعجاز، وأوضح في قطع الأعدار ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] ١٨٧.

ثم يتحداهم في أشرف ما لديهم بين العرب وهي المعارضة! ولم يعارضوا القرآن بمثله أبداً، فلم يجتمع شعراؤهم وأدباءهم وحكماؤهم ليؤلفوا آية واحدة مع تحدي القرآن لهم بتأليف قرآن مثله أو عشر سور أو حتى سورة واحدة، فلم يستطيعوا وما حاولوا، فهو وإن كان بلغة العرب فإنه كلام رب العالمين ﷺ، وهو معجزة خاتم النبيين ﷺ، وهو مع ذلك ميسر لأن يُعبد به الله ﷻ ويُذكر في العالمين، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

ثم لا يكون التحدي بما هو من الكذب مما يُقال في الشعر من مبالغات، بل بالحق، وبالحكمة وبالهدى، وبسوق البراهين، قال ﷻ: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سبأ: ٦].

وإذا سق القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته وسحر بيانه وقوة حجته وبرهانه، فصاحة قريش وحكمتها، إذن بالتبعية فقد ضرب فصاحة العرب وحكمتها، كلهم في نجدها، ويمناها، وشمالها، وجنوبها.

اعجاز القرآن الكريم في لغته والتحدي بالقرآن

تحداهم رسول الله ﷺ، أن يأتوا بمثله، وحرار القوم في إجابة هذا التحدي، كيف يأتون بكلام مثل هذا الكلام كله؟ ربما قد حاولوا، ولكنهم عجزوا، وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، فتجاوز ﷻ لهم عن بعض ما طولبوا به، ولم يشأ أن يفلتوا بما أعذروا أنفسهم به، فلئن كان حديثاً مفترى ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وما أجداهم أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا في أن يأتوا بالعشر المفتريات، فأرخی لهم ﷻ إمعاناً في التحدي الساخر بقدرتهم، فتجاوز ﷻ عن العشر إلى واحدة مع العون أيضاً فقال ﷻ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

'ولئن تقاصرت قدرتكم أن تأتوا بسورة مماثلة لسورة على التحديد ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، فربما كانت مماثلته على التقريب أيسر عليكم، وهذا ما أشارت إليه آية البقرة باستخدام لفظ ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾.

هذه ضربة مؤلمة لكبرياء قريش بين العرب، بل تهديد صريح لمكانتهم التي وصلوا إليها بسبب اللغة، ولذا تحسروا لماذا لا ينزل هذا القرآن على حكماهم وعظماء اللغة والبلاغة في قريش؟!، لماذا يختار محمداً ﷺ ويستأثره بهذا الوحي؟، لماذا لا تتعاون معنا يا محمد وتضع يدك في يدنا خدمة لقبيلتك قريش فننقوى بهذا البيان الذي معك بين العرب!

فصاروا بدلاً عن معارضته، يساومونه بالمال والملك ليكف عن دعوته أو يكون هو لسان قريش للعرب. يقول ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]، أنزلنا اليك ومعك الآن حكم عربي، وسيبدئون التفاوض معك، فاذا اتبعت ميولهم وأهواءهم فلن ينصرك الله ﷻ ولن يقيقك أحد من الله ﷻ!

ولما لم يوافق هواهم وأمانيتهم، وبدأت وفود العرب تُذعن لبلاغة القرآن وما فيه من حق وهداية، وتتجه أنظارهم إليه في الأسواق ومواسم الحج، ويدينون بدينه، فما كان منهم الا أن لفقوا المطاعن والشبهات عليه لينفروا عنه العرب، واتهموه ﷺ بأنه ساحر وكاهن وشاعر وأن أحداً يملي عليه، لأنهم ما عهدوا عليه وليس له ﷺ ولا لغيره أن يأتي بهذا وحده، بل يتحداهم الله ﷻ ان ليس واحداً، بل يأمرهم أن يجتمعوا جميعاً، ولو اجتمع إنسكم وجنكم فلن يأتيوا بمثله!

ولما يبسوا ولم تنطل على الناس هذه الاتهامات لرسول الله ﷺ، أرادوا قتله، فلم يسلمه أهله، فقاطعوه وحبسوا الزاد عنه وعن عشيرته الأقربين حتى يموتوا جوعاً أو يسلموه، وعذبوا كل من يجدون صوت القرآن يخرج من فمه، ثم بعد كل هذا العجز رفعوا السيف والحرب، واستنطقوا السيوف بدل الحروف.

فكل هذا أدلة دامغة على العجز التام أمام القرآن، ومعارضة لغة القرآن. وإن عجز أهل الفصاحة، فقد مضت القرون، وورث اللغة عن أهلها الوارثون، وكلما تطاول الزمان بين عصر المبعث والعصور التالية له، كان أهلها أشد عجزاً، وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز، لانحراف ألسنتهم وفساد سلاقتهم.

كيف نستشعر إعجاز لغة القرآن؟

- **أولاً:** إن لم تكن من أهل اللغة، ولم تتدرج بعد في البيان، فحسبك بشهادة أهل اللغة أنفسهم، المتخصصين، وحسبك عجز قريش، فهو عجز أهل الفصاحة والبيان ومن باب شهادة الأعداء لعدوهم
- **ثانياً:** كما يمكن أن تستشعر هذا الإعجاز عندما تحاول أن تفكر في أمرٍ وتكتب أو تقول شيئاً مختصر فيه، ولكن مليء بالمعاني والمشاعر مما يخلب الأسماع ويوقظ القلوب، ويطغى على العقول، فتجد صعوبة ذلك وأنت تجلس بين أوراقك تكتب وتشطب وتصحح وتعديل، وتطلع وتغير، ثم تستشعره أكثر

حينما يكون مقروناً بالحكم والبراهين والاستدلالات العقلية، تحنّار وتضيق في مخزونك اللغوي البسيط وأنت تبحث عن كلمة يمكنك أن تحملها معانيك ومشاعرك الكبيرة، وفلسفاتك وآرائك، فتذكّر القرآن الذي تم اختيار كلماته من بين مدونة تحمل مئات الآلاف من الكلمات بكل إتقان. فتشعر بالضعف وقلة الحيلة والعجز ويخالط قلبك حلاوة القرآن وتعلقك بهذا الكمال المستحيل بشريا

- **ثالثاً:** والأعجب من هذا، أن الإنسان يستشعر إعجاز القرآن أكثر، كلما ازداد قوة وعلمًا، وامتلاكًا لخاصية البيان، واتسعت بصيرته بأسرار اللغة، كلما ازداد إقرارًا بضعفه وعجزه، وخضوعه بكلية أمام أسلوب القرآن. فأنت لا تجد من يدّعي معارضة القرآن إلا مُسيلمات العصر، شردمة الخلق، جهالهم وأبعدهم عن اللغة، وترى التفاهة بادية فيهم، ولا يُحسنون لملمة جملة واحدة، إلا ويرتكبون فيها أبشع الأخطاء، وأفحش التراكمات الممتلئة بالتناقضات. ولعل أقرب مثال لهؤلاء كتبة كُتُب (الصابئة المندائية)، و(القاديانية) و(البهائية)

القرآن الكريم يحفظ لسان العرب

القرآن الكريم: كتاب الله الخاتم، ختم الله ﷺ به كتبه، وأنزله على نبيه الخاتم ﷺ، فختم بنبيه الأنبياء، بدين عام، عالمي، شامل خالد، خُتم به الأديان. والقرآن هو حجة الرسول ﷺ وآيته الكبرى، وهو عماد لسان العرب، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها.

أين لغة موسى والمسيح عليهما السلام اليوم؟ ولماذا ضاعت؟

ضاعت لغة موسى والمسيح ﷺ وبقيت لغة محمد ﷺ.

سؤال: لماذا ضاعت؟

الجواب: لأنهم ضيعوا كتاب الله ﷺ فضيع الله ﷻ لسانهم. بينما حفظنا كتاب الله ﷻ فحفظ الله ﷻ لنا لساننا العربي المبين. ولو بُعث قرشي وتحدث اليوم بعربيته الفصحى لفهمه كل من يقرأ كتاب الله ﷻ من عامة المسلمين.

ولولا القرآن الكريم وحفظه في الصدور، ودقة الضبط في روايته وتلقيه ضمن حدود القراءات، لأصبحت العربية أثرًا بعد عين، ولصار جمع العرب على لغة واحدة أشبه بجمع شعوب القارة الأفريقية اليوم على لغة واحدة.

فلا تترك لمسيحي أبًا لا يرى فيه الحق، ليعلم أنه قد ضاعت لغة المسيح ﷺ وبقيت لغة محمد ﷺ. ضاعت كُتُب المسيح ﷺ وبقيت كتب النبي محمد ﷺ. يستطيع أمثالك -المسيحي الذي ربما لا تُتقن العربية- اليوم قراءته بلسان عربي مبين. بينما لو جمعوا لاتيني ويوناني أهل الارض، فلن يستطيعوا فهم لغة كتابك المندثرة!! وعرفت الفارق بين من يخافون الله ﷻ ويُقدسون كلامه فيحفظونه في الصدور وبين من تركوا التربة تأكل وتشرب على مخطوطاتهم والآن يتوسلون الأرض والسماء!

هم لا يعرفون من لغة المسيح عليه السلام الا الاشتراك في اسم اللغة، والا فإن المسيح ﷺ كان يتحدث الآرامية الغربية القديمة وهي لغة ميتة اليوم لا يوجد شخص واحد على الأرض يتحدث بها. وللتصحيح: الآرامية ليست لغة واحدة، بل اسم مشترك للغات شتى متباينة. وغالبًا ما يتم التحدث عن الآرامية كلغة واحدة، ولكنها في الواقع مجموعة من اللغات ذات الاصل المشترك منذ القدم، اما اليوم فمختلفين عن بعضهم البعض اختلافات جذرية. بل التباين والاختلاف بين طائفتين كل منهما ينسب نفسه للآرامية اكبر من التباين بين لغتين منفصلتين عن بعضهما البعض، مثلا اللهجات العربية الدارجة اليوم في المغرب العربي مثلا، لو تكلم مغربي بعربيته الدارجة لن يفهمه المصري بعربيته الدارجة.

وعامة يتم تقسيم اللهجات الآرامية اليوم إلى لهجات إما شرقية أو غربية، والخط الفاصل بينهما لتحديد ان كانت شرقية او غربية هو تقريبا نهر الفرات، أو إلى الغرب قليلاً منه. ثم تقسم بعد ذلك إلى لغات حية حديثة يسمونها الآرامية الجديدة، وإلى لغات أدبية منقرضة ميتة لا يهتم بها سوى العلماء.

ويتم التقسيم على حسب تقسيمات علمية ثلاثة، أشهرهم هي تاريخ كلاوس باير وجوزيف فيتزمير.

فلا تغتر أخي الكريم بتشابه الاسماء، فالعبرية والكنعانية والأوغاريتية كلها كانت جزء من اللغة الآرامية. وكذلك ما يُسمى اليوم باللغة العبرية، لا يفهم من يتكلم العبرية هذا الذي يتكلم الآرامية.

تاريخ الآرامية الطويل، مع عدم الحفاظ على مدونة لغوية منقولة بالسمع، جعل كل لهجة تطور مع نفسها، حتى اصبحت كل اللهجات الآرامية اليوم متميزة وبما يكفي لكي تكون لغة منفصلة بذاتها.

لغة المسيح عليه السلام الآرامية تنتهي في القرن الثالث الميلادي: يعتبر القرن الثالث الميلادي الحد الفاصل بين الآرامية القديمة والوسطى. خلال ذلك القرن، بدأت طبيعة مختلف اللغات واللهجات الآرامية في التغير. توقف اللهجات المنبثقة عن الآرامية الامبريالية الام عن أن تكون لغات حية، وبدأت اللغات الإقليمية الشرقية والغربية في تطوير أدبيات حيوية جديدة خاصة بها. ويُعرف الكثير عن مفردات وقواعد الآرامية الوسطى، بينما العكس من ذلك فيما يخص اللهجات الآرامية القديمة، والتي لا يُعرف قواعدها على وجه التحديد او مفرداتها.

سؤال: هل لغة معلولة هي لغة المسيح عليه السلام؟

الجواب: لغة المسيح ﷺ هي الآرامية الغربية الوسطى أو القديمة وبشكل أكثر تدقيقاً آرامية اليهود في الجليل، بفلسطين، وهي لغة وسطى حسب تقسيم كلاوس باير، بينما لغة معلولة تدرج حسب التقسيم السابق إلى اللغة الآرامية الغربية الحديثة، واسمها اللهجة الآرامية الغربية الجديدة، فالمشترك بينهم أنهم فقط يندرجون تحت نفس التصنيف الآرامي الغربي، ولذا فهي مفيدة من الناحية الأنثروبولوجية لدراسة لغة المسيح المندثرة، بحكم أن لهم نفس المنشأ الغربي، لكن ليست هي لغة المسيح ﷺ، بل هي غربية آرامية مستحدثة لا يزال بقاياها في قرى معلولا والصرخه وجبعدين في الجانب السوري من جبال لبنان الشرقية، وإن كانت تتفرد بها معلولا من بينهم، وينطق بها بعض الأشخاص الذين هاجروا من هذه القرى إلى دمشق وغيرها من المدن الكبرى في سوريا.

لغة معلولا رُوجت إعلامياً بأنها اللغة الباقية من لغة المسيح ﷺ ، وهذا تجويد إعلامي لعمل فرقة يمتاز بها الاعلام لجذب الانتباه، لكن **أكاديمياً فهذا غير صحيح**، والعلماء يدركون أن الآرامية الجديدة المستخدمة في معلولا لم تعد مطابقة للهجة التي تحدث بها يسوع الناصري.

- **أولاً:** فهي تطورت من اللهجة الآرامية الغربية والتي انفصلت أصلاً عن لهجة المسيح ﷺ الجليلية
- **ثانياً:** أنها بالفعل خضعت للتطور الطبيعي للغة، منذ القرن الأول الميلادي (يعني من حوالي ٢٠٠٠ عام) مثلها في ذلك مثل اللغة الإنجليزية القديمة (منذ حوالي ١٠٠٠ عام)

بل وانظر حتى اللغة الإنجليزية الوسطى (منذ حوالي ٥٠٠ عام فقط) لا يمكن أن يفهمها متحدثي اللغة الإنجليزية الحديثة اليوم. لو يُعث انجليزي من قبره ونطق به لكان أشبه لإنجليزي اليوم بالصينية.

وليس هم وحدهم من يتحدثون بها بل كذلك يتحدث بها اليهود الاكراد، وكلاهما لا يتحدثون الآرامية القديمة أو الوسطى.

وليست معلولة وحدها من ينسبون أنفسهم إلى الآرامية اليوم، فعندك المندائيين يتحدثون الآرامية الشرقية والمندائية الأكثر انتشاراً اليوم في المجتمعات الآشورية المسيحية والمندائية الغنوصية في العراق وشمال شرق سوريا وشمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا، بينما يتحدث سكان معلولة بسيطى العدد الآرامية الغربية الحديثة، وإذا جعلت مندائي في العراق يتحدث الآرامية يتكلم مع أحد سكان معلولة في سوريا الذي يتحدث كذلك الآرامية، فستجد نفسك وكأنك وضعت فرنسي يتحدث مع إنجليزي وكلاهما لا يفهم الآخر إلا في بعض المشترك بالشبه، وعندك كذلك بقايا من الآرامية تستخدم كلغات مقدسة في السريانية الكلاسيكية والمنتشرة اليوم في الكنائس السريانية الكلدانية الكاثوليكية والمارونية، والسريانية الأرثوذكسية.

يعني لغة معلولة الأرامية هي لغة مستحدثة في القرن الثالث عشر الميلادي وبينها وبين المسيح ﷺ ما لا يقل عن ١٠٠٠ عام. بل في أفضل الأحوال لو أردت استخدام تقسيم أكثر لطفا بهم فهي لغة جديدة ظهرت منذ القرن الثامن الميلادي، فلا تعلق لها بلغة المسيح ﷺ الأصلية.

خصائص لغة القرآن

تفرده في حسن تأليفه

لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية، من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة، بل جاء كتاباً عربياً جارياً على مألوف العرب من هذه الناحية، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم العامة في الصياغة جاء تأليفه. ولكن انظر إلى إعجاز بيانه مثلاً حين يقول ﷺ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَتِكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، فقد اشتملت هذه الآية على:

- النداء في قولها أيها، والتنبيه، والأمر، والنهي، والتخصيص، والعموم، والإعذار
- من غير ركابة في ألفاظ القرآن الكريم ولا تنافر، فلا يشعر القارئ للآيات بالغر، ولا يشعر السامع بالثقل

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وانظر إلى ما فيه:

- من المطابقة بين معنيين متقابلين، وهما: القصاص والحياة
- ومن البلاغة حيث أتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير، فإنَّ الإنسان إذا علم أنه إذا قُتِلَ اقتُصَّ منه دعاه ذلك إلى أن يرتدع عن قتل صاحبه، فكأنه أحيا نفسه وغيره، فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضاً، فيكون القصاص حياة لهم مع ما في القصاص من زيادة الحياة الطيبة في الآخرة
- وقارن بين هذا وبين قول العرب: 'القتل أنفى للقتل'

إعجازه بتفرده في بلاغة نظمه وأسلوبه

قلنا إن القرآن لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية، ومع ذلك فقد جاء نظم القرآن مغايرًا لما عرفه العرب من الشعر والنثر، والنظم: هو القالب أو الطريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه. فللقرآن أسلوب خاص به مغاير لأساليب العرب في الكتابة والخطابة والتأليف. وكان العرب الفصحاء يدركون هذا التمايز في الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب، فقد روى مسلم ﷺ في صحيحه أن أنيساً أبا أبي ذر قال لأبي ذر ﷺ: "لَقَيْتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أَنْيْسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ. قَالَ أَنْيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ، فَمَا يَلْتَنِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" ^{١٨٨}.

لقد خالف القرآن العرب وطريقتهم في قلبه ونظمه، ذلك البناء الكلي للآية، وللآيات، وللصور، فهو متميز ببناء فريد لم يكن قبله، ولم يأت بعده ما يماثله. لقد أخرج قالبًا لغويًا من عدم.

وانظر إلى الفصاحة في ثلاثة أساليب لنفس الشخص: قرآن وحديث قدسي وأقوال النبي ﷺ، لو أنك تقرأ لكاتب معين بشكل مستمر فسوف تميز أسلوب كتابته لو وقعت عينك على كلامه بدون أن تعرف أنه هو الكاتب، هل يوجد إنسان يستطيع صياغة كلامه بثلاثة أساليب أدبية وكل أسلوب يتميز عن الآخر؟

جزالة اللفظ

في اللغة يُقال: "ما أَبَيَّنَ الجزالةَ في فلان، أي العقل والوقار" ^{١٨٩}، و"واللفظ الجزلُ: خلاف الركيك" ^{١٩٠}، والصفة منه الجزيل أي العظيم، ونقول اجزلت له العطاء، فنجد أن معنى الجزالة في اللغة يدور على قوة اللفظ وإحكامه وعظمته. وجزالة اللفظ أي قوته وحجته وخلوه من الركاكة والنفرة، يُميز كلامًا عن كلام، فيُراد بالجزالة إذن أي كون لفظ القرآن الكريم قوي متين، وذو بيان وبلاغة مع قوة الحجة، غير متكلف يُستفاد من قليله الكثير، وهو مع جزالته وقوته ليس كجزالة وعنجهية البداوة، فإنك تلاحظ عذوبة لفظه في الفم، ولذاذته في السمع، فيسهل على من يتدبره تصوره بقوة.

وإذا شئت التعريف بالنفي حتى تستوعب المعنى، نقول إن القول غير الجزل: هو قول متكلف، يُستفاد من كثيره القليل، أو يكون مضطرب الحجة، أو لا يُستفاد منه بمرّة، يقع على السمع ناشفا جافا، أو يكون عاميًا ركيكًا، أو عنجهي البداوة، أو قد تميز الأذن نشازَه وعدم بلاغته أو قلنتها مقارنة بغيره.

١٨٨ صحيح مسلم - المحدث: مسلم - الراوي: أبو ذر الغفاري - رقم الحديث: ٢٤٧٣ - خلاصة حكم الحديث: صحيح
١٨٩ جمهرة اللغة لابن دريد - (٤٧١/١) - دار العلم للملايين
١٩٠ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري - (١٦٥٥/٤)

وإن شئت أن تقيس جزالة القول: وهو أن تجد ألفاظ القول الجزل أشبه بألفاظ العلماء والأدباء والفصحاء، والتي لا تصدر إلا من متعلم متبحر.

وبعد وقوفنا على معنى الجزالة فهذا لفظ القرآن الكريم يذكر لك من أحوال الأرض والبحار والسموات والنجوم والكواكب ومراحل الجنين، وهو مع ذلك لم يخرج قط إلى ألفاظ جافة مادية كألفاظ العلماء، وكل هذا في قالب واحد مناسب بلا نفرة، فيحدثك في الفلك وفي الجغرافيا وفي التاريخ وفي الطب، وأنت لا تشك لحظة أنك تقرأ كتاب هداية وهو القرآن الكريم.

المرونة والمطاوعة في التأويل (ذو وجوه)

مرونة تجعله واسع الدلالة، فظاهره القريب هداية للناس، لكن باطنه العميق يُشبع نهم الفلاسفة ويُعجز العلماء. وهذه المرونة من أسباب خلود القرآن فإن الأساليب العربية طوال أربعة عشر قرناً قد عراها كثير من التغيير والتولين اللفظي والذهني، ومع ذلك فإن القرآن بقي خالداً بأسلوبه المتميز وبخصائصه الفريدة يتجدد مع العصور، وقد أثبتت العلوم الحديثة المتطورة كثيراً من حقائقه التي كانت مخفية عن السابقين، وفي علم الله ﷻ ما يكون من بعد.

إطراده في إعجاز لغته

سؤال: ما هو أهم شرط في الإعجاز أو الآية أو البرهان على النبوة والرسالة؟

الجواب: أن يكون الدليل مُطرداً، أي في كل وقت وحين يدل على مدلوله، يعني فلق البحر لموسى ﷺ يدل على مدلول النبوة أن موسى ﷺ نبي، أنه في كل وقت وحين يثبت بالدليل مدلوله أو يثبت بالآية المعجزة: النبوة، إذا ظهر اليوم فهو دليل نبوة وإذا ظهر بعد مائة عام فهو دليل نبوة، إنما الشيء الذي لا يطرد يعني ممكن يظهر مع النبوة وممكن يظهر مع غير النبوة فهذا لا يصلح دليلاً على النبوة، يعني ما ينفع يبجي واحد يقول أنا نبي ودليلي طلوع الشمس، والشمس تطلع كل يوم سواء كان هناك نبي أو لم يكن، فهذا لا يصلح دليلاً على النبوة، بل لا يصلح أصلاً دليلاً على صدق أحد، ولا كذبه. وهذا مهم لك كمبحر في مقارنة الأديان، لأنك ستلتقي بالبهائي الذي يزعم أن علامة نبوة نبيه خسوف القمر، وخسوف القمر يحدث مع النبوة وغير النبوة فهو إذن ليس بدليل مطرد، فتستدل على بطلان دعواه.

تيسير لغته للذكر

طابع الشفاهية أو المشافهة يُناسب الثقافة الصوتية السماعية، بل والفطرة، لأن اللغة في أصلها بالتلقي والمشافهة. وهذا أصلٌ في تلقي كل البشر، يتلقى الطفل فيسمع فيتكلم دون الحاجة لأن يتعلم القراءة والكتابة.

وهذا ما يُميز القرآن الكريم، حيث تميّز بسهولة تلقيه وسهولة حفظه وإقائه وروايته بديهية دون واسطة أو كتاب، مع موسيقاه في الأذن وقابليته الانشاد والترتيل، مما يُناسب سرعة حفظه وانتشاره وعالميته.

وللمقارنة فهناك نص لا يمكن الاحتفاظ به إلا مكتوباً فمنذ خرج من لسان صاحبه فتجده يدخل بوابة الكتابة، بينما لفظ مذ يخرج يدخل بوابة التلقي والمشافهة، ولذا فالقرآن الكريم منذ نزل، نزل بما يُناسب الفطرة التي تضمن بقاءه في الصدور، وهي خاصية التلقي: السماع والعرض. بالتلقي من جبريل ﷺ، والسماع من النبي ﷺ، ثم المعارضة بين النبي ﷺ وجبريل ﷺ، ثم تلقي الصحابة رضياً من النبي ﷺ والسماع من النبي ﷺ والعرض عليه، ثم التلقي عن الصحابة رضياً والسماع منهم والعرض عليهم، وظل هذا إلى يومنا هذا لا ينتقل القرآن إلا بالتلقي مشافهة، من صدور الحفاظ والسماع منهم والعرض عليهم.

ومن أوضح الأمثلة على هذا أن تنظر إلى المسلم غير العربي وهو يحفظ القرآن عن ظهر قلبٍ ويؤديه وهو قد لا يعرف أن يقرأ من المكتوب بالعربية أي شيء.

التدوين الفوري للوحي

جذبت وأسرت لغة القرآن أبواب الفصحاء والكتاب، فلقح بالنبي ﷺ مثقفو العربية وفصحاؤها في مكة، وصاروا كتاب الوحي في مكة مثل أبي بكر ﷺ وفيما بعد عمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعامر بن فهيرة ومعيقب ابن أبي فاطمة وحذيفة بن اليمان وحنظلة بن الربيع وغيرهم ﷺ.

وهناك عامل آخر مع لغة القرآن جعل الكتابة حتمية، وهو طول وكبر حجم القرآن الكريم، فإذا اجتمع هذا الحجم مع الألفة الفطرية، فإنها تجعل كتابته نتاجاً حتمياً منذ لحظة نزوله، فكون النص يكسب الفؤاد والسمع واللسان بهذه الخواص الشفهية الفطرية، فإنه يدفع نزعة داخلية في الإنسان إلى حفظه وكتابته وتدوينه.

وأمر ثالث: فلم ينتظر الوحي أن تصحو هذه النزعة في النفوس في بيئة أمية لا ينتشر فيها الكتابة والقلم، فبدا بتأصيلها منذ لحظة وحيه بربط الشفاهية بالكتابة، يقول ﷺ: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥]. فهذه هي أول سورة وأول آية نزلت في القرآن الكريم، بل وأول كلمة، وأول أمر، وأول تكليف نزل في الإسلام، قبل أي تكليف: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، فكان كرمُ الله ﷻ على هذه الأمة:

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، فربط القراءة بالعلم بالقلم، منذ لحظة الوحي الأولى، فصار هذا التكليف هو أولاً، وإلى آخر يوم في حياته ﷺ.

فكتبه كُتاب الوحي ودونوه بالقلم، منذ كان النبي ﷺ في مكة يكتب له الصحابي الملقب بالكاتب وقد كان أحد القلائل الكتابة في مكة وهو الصحابي **حنظلة بن الربيع** كاتِب النبي ﷺ وحامل ختم النبي ﷺ، وابن أخي **أَكْثَم بن صيفي** حكيم العرب، فبدأ تدوين الوحي منذ لحظاته الأولى. وكان الكتابة يراجعونه على النبي ﷺ ويصحح لهم ما فيه من سقط.

وهكذا يُرسي الوحي مع المشافهة دعامة العلم والقلم، فيأمر النبي ﷺ كل أسير في يد المسلمين أن يُعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، ويأمر **زيد بن ثابت** أن يتعلم قراءة المکتوب السرياني والعبري، بل وقيل الحبشي كذلك. فانتقل الصحابة من أميين لا يقرأون ولا يكتبون إلى كُتاب ومُتعلّمين، ومعلمين، يكتبون بالقلم فصار بين يدي النبي ﷺ أكثر من ٤٠ كاتبًا للوحي يكتب ما يمليه النبي ﷺ فاجتمع مع الاقراء والشفاهية، التدوين الفوري.

سؤال: ولماذا كان هذا معجزاً؟

الجواب: لأنه لم يتأتى لأمة من الأمم ولدين من الأديان يُنسب كتابها للوحي أن تجمع الخصيصتين معاً من أول يوم وهما:

٤. المشافهة والسماع مع الحفظ في الصدور

٥. الكتابة والتدوين مع الحفظ في السطور

وهنا نشير إلى أن المکتوب وحده لن يحفظ اللغة، لعجز المکتوب باستمرار على تمثيل المنطوق، تمثيلاً صحيحاً، ولذا فالأمم التي بقيت لها الكتب وفقدت الشفاهة، فقدت معها لغتها الاصلية، وكيف لها أن تعرف معاني الكلمات التي تتغير بتغير النطق مع كونها لها نفس الرسم؟

وقد عرفنا كيف أن حفظ القرآن كنص شفهي حفظ لنا لغتنا العربية كما هي بينما اختفت من الوجود لغة موسى والمسيح ﷺ.

وأما الروايات التي أوردها ابن فارس وغيره واستدل بها بلاشير على أن العرب لا علم لهم بالكتابة، إنما تنسحب على الأعراب لا على العرب، مثل سؤال أحدهم: 'أتهمز إسرائيل؟ قال إني إذن لرجل سوء. قالوا وإنما

قال ذلك لأنه لا يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر'. وقيل لآخر: 'أتجر فلسطين؟ قال إني إذن لقوي'. وحكى الأُخفش عن أعرابي فصيح أنه سئل أن ينشده قصيدة على الدال، فقال وما الدال؟

أليس في القرآن كلمات أعجمية؟

وهنا يرد السؤال: إن كان القرآن نزل بلسان عربي، فكيف يوجد فيه كلمات أعجمية فكلمة قسطاس رومية، وأمين حبشية، وسجيل فارسية؟

الجواب:

١. هذا السؤال لا ينم عن فهم المعنى، فقولا واحدا: ليس في القرآن كلمة أعجمية باقية على عجمتها البتة، لا يوجد يقينا أي تراكيب أعجمية، أو كلمات باقية على عجمتها، فكل ما في القرآن من الكلمات كانت تنطق به العرب وتفهمه وهو جار على سنن كلامها لا خلاف في ذلك نعلمه

٢. إنما وقع الخلاف في هذا المعرب أي: الذي صار لسانا عربيا فصيحاً وكان في الاصل منطوق في غير لسان العرب، هل هو موجود في القرآن؟، فهنا يستقيم السؤال، ونقول أن في القرآن الكريم حوالي ٦٠ كلمة حصرها العلماء وقيل إن أصلها لم يكن عربيا لكن عرّبت، يعني هم يتحدثون عن ٦٠ كلمة من بين سبعة وسبعين ألف وأربعمائة وتسعة وثلاثين كلمة (٧٧٤٣٩)، ومع ذلك فمعظم هذه الكلمات هي بينهم على خلاف إن كانت عربية فصيحة أبا عن جد، ومشاركة بين اللغات السامية، أو أنها دخلت العربية وعربها العرب بلسانهم.

سؤال آخر: هل تلك الستين كلمة على افتراض أن جميعها أو بعضها في أصله لم يكن عربيا، فهل تُعد بلسان عربي مبين أم ليست بلسان عربي؟

الجواب: بكل يقين أنها بلسان عربي مبين، أي نطقَ به لسانُ العرب، ودار على ألسنتهم؛ فعربوه بألسنتهم، وأصبح من لغتهم وصار عربياً، صقلها العرب بألسنتهم وخضعت لأوزان اللغة العربية، واخضعتها العربية لقواعد اللغة، فصارت تُنطق بلسان عربي وإن كانت في الأصل من لغات أخرى.

إذن فالمراد بأن القرآن نزل بلسان عربي أي لم يأت بكلام جديد لم تعرفه العرب، وتتداوله ألسنتهم، فقبل أن ينزل القرآن كانت هذه الكلمات شائعة في اللسان العربي، فلا يُقال ان فيه من غير لغة العرب شيء، بل هي يقيناً الآن لغة عربية فصيحة مبيّنة، وان كانت في الأصل معربة من لغات أخرى.

وأهل العلم يُجمعون على أن القرآن ليس فيه جملٌ ولا تراكيب، بل ولا كلماتٍ أعجمية، كما أنهم يُجمعون على وجود الأعلام الأعجمية فيه معربة بلسان العرب ونطقهم: كاسم مريم، موسى، اسحق، اسماعيل عليه السلام... الخ. بل انه كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فعلمت من لغاتهم ألفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن^{١٩١}

١٩١ البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي - (٢٨٩/١) - دار احياء الكتب العربية

التلقي والمشاهدة

نتعلم في هذا المبحث: التلقي والمشاهدة، أن الأصل في القرآن أن يكون مقروءًا لا مكتوبًا، والقراءة يعني القراءة المحفوظة في الصدور، فنحن عندما نتعلم القرآن ننطلق من المقروء، وهذا واجب في تلقي القرآن الكريم وحفظه ولا يجوز الاعتماد على غيره من طرق الحفظ كالكتابة، إلا أن تكون معينًا للحفظ. فالقرآن تلقاه النبي ﷺ مشافهةً من جبريل عليه السلام، كما كان الأمر عند الصحابة رضي الله عنهم الذين تلقوا القرآن مشافهةً عن النبي ﷺ، ولم يأخذوه من كتاب، لذا نقول: هم ينطلقون مما يسمعونه من الرسول ﷺ، ثم يكتبه بعضهم.

حفظ القرآن الكريم يكون بالتلقي

المقصود بحفظ القرآن

أي حفظه واستظهاره عن ظهر قلب، بحيث يقرؤه المستظهر دون تطلع في المصحف أو تلقين، فيقرؤه كما أنزل. وحفظنا للقرآن هو أحد مظاهر ونتائج الوعد الإلهي بالحفظ فقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والقرآن نزل على النبي ﷺ مقروءًا. وقرأه النبي ﷺ على أصحابه.

وقد عرفنا أن معاني القرآن لغة قد دلت على وجوب تلقيه إقراءً. فقرآن مصدر من الفعل قرأ، يُقال: قرأ قرآنًا، ودليله قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، وقد سبق بيان ذلك فيرجع إليه.

المقصود بالتلقي

ولكي نتبع هذا المقروء فيجب أن نتلقاه كما تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام.

ودليل التلقي هو قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

فما هو التلقي؟

التلقي في اللغة

١. أخذ الشيء بجهد واجتهاد: ومنه قوله ﷺ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، أي أخذها تلقيا بجد واجتهاد
٢. الأخذ والرواية: كما في مثل قوله ﷺ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥]، أي يأخذه بعضهم عن بعض، ويروي بعضهم عن بعض، ومنه الأخذ كما في قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْفُرْعَانَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، أي يُلقى عليك أنت فتأخذه
٣. التعليم: كما في قوله ﷺ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، أي تعلمها ودعا بها، وقوله تعالى ﷻ: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥]، أي وما يُعلمها ويُوفق لها الا الصابرون
٤. الإستقبال والتلقف: ومنه تلقى فلان فلانا أي استقبله، ويتلقى الوحي أي يأخذه ويتلقفه، وتلقي الحبيب أي نستقبلهم. ومنه الحديث: "نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ التَّلْقِي، وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ" ١٩٢، ومعناه أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد، ويخبره بكساد ما معه كذبا، ليشتري منه سلعته بالوكس، وأقل من ثمن المثل، وذلك تعبير محرم
٥. قبول العطاء والعطية: قال ابن عطية رحمته الله تَلَقَّى تُفَعِّلُ، مضاعف لقي يلقى، ومعناه تُعْطَى، كما قال ﷺ: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

التلقي القرآني اصطلاحا

أخذ القرآن الكريم بالإستماع إلى من يتلوه بصوت يُسمع بوضوح بغية استظهاره -أي حفظه عن ظهر قلب- بمثل ما تُلِي. فالتلقي هنا استقبال السمع، وقبول بالقلب مع حرص شديد على وعي المسموع. أو يمكن تعريفه بأنه: تعلم القرآن الكريم سماعًا من مهرة القراء أو عرضًا عليهم.

ملاحظة: ونقول التلقي القرآني إذا أردنا أن نفرق بينه وبين غيره من التلقي، لأن التلقي القرآني يكون مشافهة بخلاف التلقي التوراتي مثلا، فكيف تلقى موسى التوراة عن الله ﷻ؟ تلقاها ألواحًا مكتوبة.

القرآن ليس إلهاما بل هو تعليمٌ وتعلمٌ مباشر

كما جاء في العقيدة الطحاوية: "نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين" ^{١٩٣} قال الشارح: "تصريح بتعليم جبرائيل إياه إبطالا لتوهم القرامطة وغيرهم انه تصوره في نفسه إلهاما" ^{١٩٤} انتهى.

كيف تلقى النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام؟

فقد تلقاه النبي ﷺ بالسمع والقلب، أي يسمعه لفظا فيستمع إلى صوتٍ متكلم بأحرف، ويُسكب في قلبه فيحفظه.

دليل السمع:

- قال ﷺ: (وَإِنَّ جِبْرِيْلَ يَأْتِيَنِي فَيُكَلِّمُنِي كَمَا يُكَلِّمُ أَحَدَكُمْ صَاحِبَهُ) ^{١٩٥}
- قال ﷺ: (وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ) ^{١٩٦}
- قوله ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]
- قوله ﷺ: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، فإذا قرأه عليه الملك ورتله ترتيلا، فيسمعه منه النبي ﷺ، فإنه يصل إلى قلبه بعد سماعه أي يحفظه
- قول الله ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]، فالإقراء يُنافي الإلهام منافاة لغوية وشرعية

أدلة جمعه في صدره وحفظ القلب:

- قول الله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]
- قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]
- قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٦]

١٩٣ متن الطحاوية - الألباني - (ص ٥٧)
 ١٩٤ شرح الطحاوية - صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز - طبعة دار السلام - (ص ٣١٦):
 ١٩٥ الكامل في الضعفاء - المحدث: ابن عدي - الراوي: عبدالله بن عباس - (٤٧١/٣) - خلاصة حكم الحديث: إسناده ضعيف
 ١٩٦ صحيح البخاري - المحدث: البخاري - الراوي: عائشة أم المؤمنين - رقم الحديث: ٢ - خلاصة حكم الحديث: صحيح

وقد اتفق العلماء على أن النبي ﷺ تلقى القرآن بواسطة الملك ﷻ، وأنه لم يكن يتلقاه إلهامًا ولا مناما ولا نفثًا في الروع.

المنهج القرآني في التلقي (طُرُق التلقي)

السماع والرواية

والسماع من الشيخ، وهو أن يسمع من شيخه القرآن دون أن يقرأ الطالب، وتسمى هذه الطريقة: سماع، أو رواية. وهو مثل سماع النبي ﷺ لقراءة جبريل ﷻ، فهذا سماع النبي ﷺ من جبريل ﷻ، فتكون القاعدة قراءة وتلاوة الشيخ على الطالب، فيكون سماع الطالب من الشيخ.

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتبليغ القرآن لأمته وذلك بتلاوته عليهم، وتعريف التلاوة على فلان: أي القراءة والإسماع بصوت مرتفع لإسماع آخر أو آخرين، لاتباعه والعمل بما فيه، أي أن النبي ﷺ أمر بقراءته القرآن عليهم، وإسماعهم القرآن بصوته، كما أنزل بمجرد نزوله عليه، فكانت هذه هي الوسيلة الأولى للتبليغ.

ولذا كانت أول خطوات طلب علم القرآن الكريم هو تلقيه على شيخ ماهر بالقرآن مشافهةً، فإن لم يكن مشافهةً لم يُسمَ تلقياً؛ على أن يكون صوت الشيخ المقرئ مسموعاً بوضوح، لأن المشافهة أن تتلقى عن الشيخ، وليس فقط من صوته، بل أن تتلقى بنظرك، وبعينيك وبلحظك أيضاً، فهناك من صفات الحروف ومن أحكام التجويد مثل: الروم والإشمام، والاختلاس والتسهيل ونحو هذه الأشياء من أحكام التجويد، التي لا يمكن النطق بها وضبط القراءة بها بمجرد قراءة تعريفها من الكتب، بل لابد فيها من السماع من الشيوخ المتقنين.

بل حتى مجرد السماع فيها لا يكفي، لأنها مما يُدرك بالنظر إلى فم الشيخ، ولذلك منع العلماء فيما بعد ظهور العجمة في اللسان، أن يتلقى أعمى عن أعمى، فلا بد من النطق بالحرف مع النظر إلى كيفية نطقه، ومعرفة كيف يخرج الحرف مرققاً، وكيف يخرج مفخماً، وهذه لا تدرك إلا بالنظر إلى الشيخ.

والإدلة على توجيهه الله ﷻ إلى أول وسائل تبليغ القرآن إسماعاً لقومه بصوته كما أنزل، منها:

- قوله ﷻ: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]
- وقوله ﷻ: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]
- وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢]

- وقوله ﷻ: ﴿وَأْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]
- وقوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠]
- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]
- وقوله ﷻ: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧]
- وقوله ﷻ: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]
- وقوله ﷻ: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١]
- وقوله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]
- وقوله ﷻ: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٠]
- وهذه دعوة ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبَعْتَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]
- فاستجاب الله ﷻ له: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]
- وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]
- وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]
- وقوله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠-١١]
- وقال ﷻ: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ١-٣]
- وقال ﷻ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١]
- وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]

- وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَشْتِ بِفُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَىٰ آخِافِ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ وَعَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُكُمْ بِهِ ۗ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٥-١٦]
- وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٨-٥٩]
- وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]
- وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِّن ذَٰلِكُمْ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَىٰ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]
- وقوله ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ عَقْبِكُمْ تَنْكُصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦]
- وقال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]
- وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّطَهُ بَعْدَ إِلِيمِ﴾ [لقمان: ٧]
- وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٣-٤٤]
- وقال ﷺ: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّطَهُ بِعَذَابِ إِلِيمِ﴾ [الجاثية: ٧-٨]
- وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتُمْ بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]
- وقال ﷺ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١]
- وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحاف: ٧]
- وقال ﷺ: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالِ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ [القلم: ١٠-١٦]
- وقال ﷺ: ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ ۗ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالِ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٠-١٤]

فهذا غيض من فيض يُبين أن تلاوة القرآن هي ركن ركين وأصل أصيل في نقله وسماعه وتلقيه.

وشطرا السماع هما:

٦. الإنصات (السكوت)

٦. الاستماع (إصغاء) أذن وفؤاد

أما الإنصات: فيُنصت النبي ﷺ إلى قراءة جبريل ﷺ إنصاتا تاما حتى ينتهي من قراءته، أي لا يبدأ في الاخذ والقراءة حتى ينتهي جبريل ﷺ من قراءته، ودليله قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، أي فإذا كان جبريل ﷺ يقرأ فاتبع أي فاستمع له وأنصت -والاستماع إصغاء والإنصات سكوت. قال ﷺ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فإذا فرغ جبريل ﷺ من القراءة فابدأ الأخذ. فتكون القاعدة انصات الطالب للشيخ.

وأما الاستماع (إصغاء) أذن وفؤاد: فيجب عدم التعجل بالأخذ، يقول ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقد كان النبي ﷺ يحرك لسانه أي يعجل بقراءته ليحفظه، وخشية أن يتفقت وينسى أوله إذا سمع آخره، فنهاه الله ﷻ عن ذلك، وقد اتبع النبي ﷺ أمر الله ﷻ، فيقول ابن عباس ؓ فيما أخرجه البخاري في صحيحه: "فكان إذا أتاه جبريل اطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله" ١٩٧.

وهذا فيه تعليم للأمة بضرورة الإصغاء إلى الملقن بالقلب، حتى يتدبر ويفهم فيحفظ، ولا تقطع الفهم بحركة اللسان، فيتعسر التحصيل.

تنبيه: وطريقة السماع هي أضعف طرق التلقي للقرآن الكريم فيما بعد الصحابة:

- بخلاف التلقي القرآني، فإن السماع في تلقي الحديث هو أهم طرق الأخذ
- بينما العرض في القرآن الكريم هو أهم طرق الأخذ
- والتلقين هو طريق الأخذ والتعليم الذي لا يُرتضى خلافه

لأن الغاية هي كيفية أدائك، وليس مجرد سماعك من المؤدي، وليس كل من سمع يستطيع الأداء، ولهذا لا يعتمد عليها القراء في الإجازة ولا في التعليم.

قال الإمام السيوطي رحمته الله: "وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا، لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي، لكن لم يأخذ به أحد من القراء، والمنع فيه ظاهر، لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته بخلاف الحديث فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي لأنه نزل بلغتهم" ^{١٩٨} انتهى.

وقد يجوز أن يكون وقع الترخص في هذا النوع من أنواع التلقي لأجل الضرورة، وازدحام الناس على المقرئين، فقد ذكر الحافظ السيوطي رحمته الله أن شمس الدين ابن الجزري رحمته الله لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة.

وللسماع فائدة أخرى في كتابة المصاحف، وهي التنقيط بسماع الشيخ:

وقد كان من أئمة الإقراء من أخذ بهذا النوع من أنواع التلقي، ومنهم: الكسائي رحمته الله إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وسابع القراء السبعة، وكان يقرأ القرآن على المنبر، والناس ينقطنون مصاحفهم على قراءته.

قال خلف بن هشام بن غالب رحمته الله: "كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطنون مصاحفهم بقراءته عليهم" ^{١٩٩} انتهى. وقال ابن مجاهد رحمته الله: "كان الناس يأخذون عنه ألفاظه بقراءته عليهم" ^{٢٠٠} انتهى.

العرض أو التلاوة

والعرض: هو أن يقرأ الحافظ على شيخه ما حفظه وسمعه منه.

صيغ العرض:

أقراني، عرضتُ، قرأتُ، التلقي أو الاخذ والتلقي والأخذ عام في العرض والسماع والكتابة أو كما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل عليه السلام، فيعيد النبي صلى الله عليه وسلم قراءة ما سمعه على جبريل عليه السلام.

١٩٨ الإتيان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - (١/٣٤٣)
١٩٩ السبعة في القراءات - أبو بكر بن مجاهد البغدادي - (٧٨)
٢٠٠ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - شمس الدين الذهبي - (٧٣)

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة"^{٢٠١}.

فهذه هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، في تعلم القرآن الكريم وتعليمه، فقد تلقاه عن جبريل عليه السلام عرضاً وسماعاً.

أما المعارضة فهي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب، وصفتها أن يقرأ أحدهما ويستمع الآخر، فقد يعرض الشيخ على تلميذه بعد حفظ التلميذ واتقانه، وهذا ماخوذ كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ)^{٢٠٢}.

ومعنى هذا أن جبريل عليه السلام يعرض القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع، ثم النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن و جبريل عليه السلام يسمع، ودل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في فضائل القرآن من الصحيح أيضاً: "يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه"^{٢٠٣}، ففي هذه الرواية عرض جبريل عليه السلام القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم، "قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ)، قال أبي: الله سَمَانِي لَكَ؟، قال: (اللَّهُ سَمَّاكَ لِي)، فَجَعَلَ أَبِي يَبْكِي"^{٢٠٤}، رواه البخاري ومسلم. ومما رواه أنس رضي الله عنه قال: "أتى ابوظلحة أم سليم وهي أم انس فقال: عندك يا أم سليم شيء؟ فإني مررت على رسول الله وهو يُقرئ أصحاب الصفة سورة النساء، وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع"^{٢٠٥}.

وممن عرض على النبي صلى الله عليه وسلم:

- أبي بن كعب رضي الله عنه
- عبدالله بن مسعود رضي الله عنه
- معاذ بن جبل رضي الله عنه
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- زيد بن ثابت رضي الله عنه

٢٠١ متفق عليه - صحيح مسلم - الراوي: عبدالله بن عباس - المحدث: مسلم - رقم الحديث: ٢٣٠٨ - خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٢٠٢ صحيح البخاري - المحدث: البخاري - الراوي: عائشة أم المؤمنين - رقم الحديث: ٣٦٢٣ - خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٢٠٣ صحيح البخاري - المحدث: البخاري - الراوي: أبو هريرة - رقم الحديث: ٤٩٩٨ - خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٢٠٤ صحيح مسلم - المحدث: مسلم - الراوي: أنس بن مالك - رقم الحديث: ٧٩٩ - خلاصة حكم المحدث: صحيح
 ٢٠٥ مجمع الزوائد - المحدث: الهيثمي - الراوي: أنس بن مالك - (8/310) - خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن

- هشام بن حكيم رضي الله عنه
- حباب بن الارت رضي الله عنه
- عبدالله بن عمر رضي الله عنه

ومن عرض الصحابة على بعضهم بعضا:

قال **عبادة بن الصامت** رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه النبي إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفعت إلي رسول الله رجلا، فكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن" ^{٢٠٦}، وقال **عبادة** رضي الله عنه: "علمت رجلا من أهل الصفة القرآن والكتابة" ^{٢٠٧}.

وهذا **عبدالله بن عباس** رضي الله عنه يقول: "كنت أقرىء رجلا من المهاجرين منهم **عبدالرحمن بن عوف**" ^{٢٠٨}.

وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 'ابعث لنا مقراء يقرؤنا القرآن'، فبعث إليهم **مصعب بن عمير العبدي** رضي الله عنه، فكان يُقرؤهم القرآن. ومن الخزرج خرج **معاذ** رضي الله عنه، وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم **معاذا** و**ابا موسى** رضي الله عنه إلى اليمن فأمرهما أن يعلما الناس القرآن.

ولا مانع من أن ينظر القراء والحُفَاط في المصحف للعرض على شيوخهم، وقد يعرضون عليهم من صدورهم. فالقرآن أخذ من الصدور، وجاءت السطور تأكيدا له ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وهكذا فالعرض هو قوام التلقي، وهو الوسيلة العظمى لانتقال القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته، ثم من كل طبقة أو قرن من هذه الأمة المباركة إلى الطبقة أو القرن الذي يليه. وهكذا إلى ما شاء الله تعالى.

واستن بذلك أمته، بأن يقرأ الصحابي رضي الله عنه ما سمعه على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما يعيه ويحفظه، مطابقا لما سمعه.

أهمية العرض:

إفادة لتوقيفية القراءة ولتثبيت التلاوة بنفس الهيئة التي سمعها بها، للتحقق من صحته عبارات وكلمات بأعيان حروفها مع ضبط كل حرف بحركته، وتثبيتا للحفظ عليه في الصدور أو السطور.

٢٠٦ مسند أحمد - (٨/١٧) - طبعة الرسالة - رقم الحديث: ٢٢٧٦٦ - خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح
٢٠٧ الانتصار للقرآن للباقلاني - (١/١٤٣)
٢٠٨ شرح صحيح البخارى لابن بطال - (٨/٤٥٢)

والعرض هي الطريقة الغالبة على القراء، ولا تتهياً إلا لمن أتم حفظ ما يعرضه على الشيخ.

قال الإمام ابن الصلاح رحمته الله: "من أقسام الأخذ والتحمل: القراءة على الشيخ وأكثر المحدثين يسمونها عرضاً من حيث إن القارئ يعرض على الشيخ ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرئ"^{٢٠٩} انتهى. وقال الإمام السيوطي رحمته الله: "وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفاً وخلفاً"^{٢١٠} انتهى.

التلقين والمدارسة

والتلقين هو الجمع بين طريقتي السماع والعرض مع المدارس، فيلقن الصحابة رضي الله عنهم الآيات بتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم سماعاً ورضاً، ثم تعلم ما تلقوه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وتعليم الكتاب وتلقينه يكون بعد التلاوة، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]، وفي دعوة إبراهيم واسماعيل عليهما السلام عن نبي الأمة صلى الله عليه وسلم: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] - يبلغهم كلامك الذي توحى إليه - ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٢٩] - يبين لهم معانيه وحقائقه ودلائل التوحيد والنبوة والأحكام. فذكر التلاوة ﴿يَتْلُوا﴾ قبل العلم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾. ويقول صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقد يُستخدم التلقين كمرادف بمعنى التلقي نفسه، لكن آثرت الفصل بينهما، لأن التلقين يدور حول التفهيم، والتعليم والمدارسة، والحنق والمهارة - سماعاً ورضاً - بينما التلقي قد يكون سماعاً فقط، وقد يكون عرضاً فقط، وقد يكون كتابة فقط، وقد يكون تلقيناً - سماعاً ورضاً ومدارسة وكتابة.

قال ابن منظور رحمته الله: "وتلقنه فهمه ولقنه إياه فهمه وتلقنته أخذته لقانية وقد لقنتي فلان كلاماً تلقيناً أي فهمني منه ما لم أفهم والتلقين كالتفهم وغلام لقن سريغ الفهم"^{٢١١} انتهى، وقال الفارابي: "تلقن الكلام أخذه وتمكن منه"^{٢١٢} انتهى.

وقال الأزهري رحمته الله وابن فارس: "لقن الشيء وتلقنته فهمه وهذا يصدق على الأخذ مشافهة وعلى الأخذ من المصحف"^{٢١٣} انتهى، وهذا في اللغة وإلا فكما قال: "وتلقنته"، أخذه من لفظه وفهمه وأما تلقن من المصحف فلم نسمع.

٢٠٩ التقييد والايضاح - (١٦٨)
 ٢١٠ الاتقان - (٣٤٣/١)
 ٢١١ لسان العرب - (٣٩٠/١٣)
 ٢١٢ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - (٥٥٨/٢)
 ٢١٣ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - (٥٥٨/٢)

فبين التلقين والتلقي عموم وخصوص:

وقد قال البعض أن التلقين أوسع في معناه من التلقي؛ لأن التلقين في مقام القرآن يصدق على الأخذ مشافهة وعلى الأخذ من المصحف، بخلاف التلقي، وهذا مردود بحديث **عمر** رضي الله عنه: "من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به"^{٢١٤}، وهذا التلقي يشمل السماع والمكتوب.

وقد كان **جبريل** رضي الله عنه يتدارس مع رسول الله ﷺ القرآن وفي الحديث عن **جبريل** رضي الله عنه: "فیدارسه القرآن"، والمدارسة مفاعلة بين الاثنين، ما هي بدراسة، بل- مدارسة، يعني كل واحد يقرأ على الثاني، ويسأل الثاني عما يشكل عليه.

وطريقة التلقين أن يقرأ الرسول ﷺ على الصحابي رضي الله عنه ما أنزله الله ﷻ، وأن يُقرأ الشيخ المتعلم الآية من كتاب الله ﷻ ويحفظه إياها، على نحو ما يتعلم الصبيان في الكتاب. وهو ما فعله النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، قال النبي ﷺ **لأبي**: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ)، قال **أبي**: "اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟" قال: (اللَّهُ سَمَّانِي لِي فَجَعَلَ أَبِي **يُنْكِي**)^{٢١٥}، رواه البخاري ومسلم.

وكانوا يتعلمون كتاب الله ﷻ خمس آيات بخمس آيات، حتى يتقنوه، فقد روى **البيهقي** رضي الله عنه عن **عمر** رضي الله عنه قال: "تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمسا خمسا"^{٢١٦}، وعن **أبي رجاء** رضي الله عنه قال: "كان أبو موسى يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات"^{٢١٧}، وعن **أبي بكر بن عيَّاش** رضي الله عنه قال: "لما أتت لي إحدى وعشرون سنة أتيت عاصماً، فأخذت عنه القرآن خمسا خمسا، قال: وأخبرني أنه أخذه على زر ثلاثاً ثلاثاً، قال: فأخبرني أنه أخذه على ابن مسعود آية آية، قال: فكنت إذا فرغت منها يقول لي: خذها إليك، فهي خير مما طلعت عليه الشمس، ولهي خير من الدنيا وما فيها"^{٢١٨}.

والإتباع: تتبع القرآن وتعمل به ويكون لك إماماً. قال رضي الله عنه: (وما قعد قوم في مسجد يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وعشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة)^{٢١٩}، وقد كان أصحاب الرسول ﷺ يحفظون

٢١٤ جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير - (١٥ / ٧١٠)

٢١٥ ٢١٥ صحيح البخاري - المحدث: البخاري - الراوي: أنس بن مالك - رقم الحديث: ٤٩٦٠ - خلاصة حكم المحدث: صحيح

٢١٦ جمال القراء وكمال الإقراء - ط المأمون - (ص ٥٣٠)

٢١٧ سير أعلام النبلاء - (٤ / ٢٥٣)

٢١٨ مرسل؛ أبو العالية تابعي، أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢ / ٢١٩، والبيهقي في الشعب (١٩٥٨)، وورد موقوفاً على عمر، أخرجه الخطيب ١٣ / ٢٨٧، وأبو حاتم في العلل ٢ / ٨٥ (١٧٤٩)، والبيهقي في الشعب (١٩٥٩).

٢١٩ صحيح الترمذي - المحدث: الألباني - الراوي أبو هريرة - رقم الحديث: ٢٩٤٥ - خلاصة حكم المحدث: صحيح

من القرآن ثم يتعلمون معنى ما حفظوه ثم يعملون به. وقد جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يُعلمنا السورة من القرآن" ٢٢٠.

قراءة الحروف

والمراد بها: تلقي الحروف المختلف فيها عن القراءة مجردة عن التلاوة، ويعبر عنها برواية الحروف، وسماع الحروف، لأنها تكون بلفظ الطالب على الشيخ والعكس، ورواية الحروف عن المقرئ دون القراءة عليه قليل جدا بين المقرئين، وقد يفعله بعضهم عند قراءة كتاب أو مصنف في الحروف لكنه يقتصر على الحفاظ المتقين. وهذا مما جرى العمل به في بلاد المغرب إلى وقت قريب ويسمونها في المغرب بالاختبار وهي قراءة المواضع التي تخالف فيها القراءة قراءة نافع، ويلجأون إليها بغية السرعة في الانتهاء من الأخذ عن الشيخ. وهناك نسخ في كل قراءة تسمى بنسخة الاختبار، تتضمن مواضع الخلاف فيها.

وسينتوقف بالاستفاضة عند التلقين والمدارسة، بعد قليل.

حكم التلقي والتلقين

التزامه منها وحيداً في تعليم ألفاظ القرآن الكريم واجب، فلا وزن لرسم -خط- المصحف ولا اللغة ولا تعلم فردي أحادي دون شيخ -أي دون سند- في تلقي اللفظ القرآني.

الإجازة القرآنية

وهذا السند نسميه الإجازة القرآنية: وهي عملية النقل الصوتي للقرآن الكريم من جيل إلى جيل، وفيها يشهدُ المُجيزُ أن تلاوة المُجازِ قد صارت صحيحةً مئةً بالمئة بالنسبة للرواية -أو الروايات- التي أجازَهُ بها، ثم يَأدُنُ له أن يقرأ ويُقرئَ غَيْرَهُ القرآنَ الكريمَ.

ومن هنا نستوعب أهمية تأكيد العلماء على هذا بإقامة الإجازة أو السند المقبول قرائياً، وهو الضامن الوحيد لأن القارئ أخذ القرآن تلقيناً بالمشافهة، فتكون قراءة الشيخ عن شيخه إلى رسول الله ﷺ عن من؟ **جبريل** ﷺ عن الله

ﷻ

قال ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، و﴿قَرَأْتَهُ﴾ هنا تعني أنه إذا قرأه جبريل ﷺ عنا أنا الله ﷻ، نا ضمير الجلالة، فهذا ينفي كذلك أي خطأ قد يكون عن جبريل ﷺ، فالقارئ هو الله ﷻ وتسنده قراءة الحفاظ إلى الله ﷻ، وجعل الله ﷻ قراءة جبريل ﷺ هي قراءة الله ﷻ.

مشروعية الإجازة القرآنية

الأصل فيها قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّالِي الْفُرْعَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]

هل يشترط أداء هذه القواعد كلها في التلقي (سماعا وعرضا)؟

الظاهر عدم اشتراط السماع، والاكتفاء بالعرض أي قراءة الطالب على شيخه، إما ابتداء، وإما من حفظه مباشرة عن ظهر قلب، وذلك لأن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل ﷺ في رمضان، وأما قراءة جبريل ﷺ في أول نزول الآيات فسببه عدم معرفة الرسول ﷺ بها ابتداء؛ ولذلك عامل العلماء قراءة العالم معاملة عرض الطالب. وقد يترجح للشيخ أحدهما: إما السماع من لفظ الشيخ أو عرض الطالب على الشيخ لعرض يراه الشيخ في تلميذه من نجابة أو بلادة، وهو المعمول به عند المسلمين إلى اليوم.

خصائص التلقين النبوي للقرآن

التبليغ والإقراء كما سمعه

فليس للرسول ﷺ من أمر هذا القرآن إلا تبليغه للناس كما سمعه، دون أي تغيير، وهذا ما أشار إليه الحديث بدقة بقوله: ﴿فَإِذَا انطَلَقَ جَبْرِيْلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ﴾^{٢٢١}

وقرأ النبي ﷺ القرآن الكريم على أصحابه، فحفظه منهم من حفظ، وكتبه منهم من كتب، قال أبو شامة رحمه الله (ت. ٦٦٥ هـ): "وحفظه في حياته جماعة من أصحابه، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة، أقلهم بالغون حد التواتر"^{٢٢٢} انتهى

إقراء النبي ﷺ القرآن للأصحاب بالتلقي من فمه الشريف

فقد باشر النبي ﷺ تعليم المسلمين القرآن بنفسه، وأمره الله ﷻ بأن يقرأه على الناس على مكث، أي: تودّة وتمهل، كي يحفظوا لفظه ويفقهوا معناه، كما قال ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيْلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

٢٢١ الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم: ٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]
٢٢٢ أبو شامة - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٣٣)

[١٠٦]، وأخرج البخاري رحمته عن عبد الله بن مسعود رضي أنه قال: "والله لقد أخذتُ من فيّ -م- رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة" ^{٢٢٣} وأخرج عنه رضي أنه قال: "كنا مع رسول الله صلى وأنزلت عليه والمرسلات، وإنا لنتلقاها من فيه -م- ^{٢٢٤}

مباشرة تعليمهم القرآن بنفسه رحمته

وأخرج الإمام أحمد رحمته عن ابن عمر رضي قال: "كان رسول الله صلى يعلمنا القرآن، فإذا مرّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه" ^{٢٢٥}، وأخرج مسلم رحمته عن ابن عباس رضي أنه قال: "كان رسول الله صلى يُعلّمنا التشهد كما يُعلّمنا السورة من القرآن" ^{٢٢٦} وفي رواية ابن رُمح "كما يُعلّمنا القرآن"، وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: "كان رسول الله صلى يُعلّمنا الإستخارة في الأمور كلها كما يُعلّمنا السورة من القرآن" ^{٢٢٧}، وقال أبي بن كعب رضي: "رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ فقلت: من أقرأك؟ فقال: رسول الله صلى" ^{٢٢٨}

تعريض التلقي بالتدوين الفوري

وكان صلى إذا ما انتهى الوحي تلا الآيات التي نزلت وأمر كتابة الوحي بكتابتها بين يديه فيكتبوها، وكانوا يكتبون على الرقاع، والعصب، واللخاف، والعظام.

ومن أدلة ذلك ما أخرجه البخاري رحمته من حديث زيد بن ثابت رضي: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى أَمَلَى عَلَيْهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْنُومٍ وَهُوَ يُمَلِّأُ عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ -وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى- فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ رَسُولَهُ صلى، وَفَخَذَهُ عَلَيَّ فَخَذِي، فَتَقَلَّتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرْضَى فَخَذِي، ثُمَّ سَرِي عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ صلى ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] ^{٢٢٩}، واشترط تعليم أسرى بدر الكتابة مقابل أن يفدي الأسير نفسه.

أما الصحابة رضي، فقد كان منهم من يكتبون القرآن، ولكن فيما تيسر لهم من قرطاس أو كتف أو عظم أو نحو ذلك بالمقدار الذي يبلغ الواحد عن رسول الله صلى، ولم يلتزموا توالي السور وترتيبها: وذلك لأن أحدهم كان إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى أو كتبها ثم خرج في سرية مثلا فنزلت في وقت غيابه سورة فإنه كان إذا رجع

٢٢٣ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٥٠٠٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

٢٢٤ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٤٩٣٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

٢٢٥ الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : أحمد شاكر | المصدر : تخريج المسند لشاكر: الصفحة أو الرقم : ١٧٩/٩ | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

٢٢٦ الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي: الصفحة أو الرقم : ١٢٧٧ | خلاصة حكم المحدث : صحيح: التخريج : أخرجه مسلم (٤٠٣)

٢٢٧ الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : الألباني | المصدر : تخريج كتاب السنة: الصفحة أو الرقم : ٤٢١ | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح: التخريج : أخرجه

البخاري (١١٦٢)

٢٢٨ الراوي : أبي بن كعب | المحدث : ابن جرير الطبري | المصدر : تفسير الطبري: الصفحة أو الرقم : ١٩/١ | خلاصة حكم المحدث : ثابت

٢٢٩ الراوي : زيد بن ثابت | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٤٥٩٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ثم يستدرك ما كان قد فاته في غيابه فيجمعه ويتتبعه على حسب ما يسهل له فيقع فيما يكتبه وتقديم وتأخير بسبب ذلك.

وقد كان من الصحابة رضي الله عنهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب.

تعلّم وتدبّر وعمل بما فيها عشر آياتٍ بعشر آيات

وأخرج الطبري رضي الله عنه عن أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يُخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً" ^{٢٣٠} والثمرة العظمى لقراءة القرآن أن يظهر أثرها على القارئ في أخلاقه وأعماله، وجاء عن عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن" ^{٢٣١}

المُنَاوَبَةُ فِي التَّحْصِيلِ حَتَّى لَا يَفُوتَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ بِالْآيَاتِ

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا عجز أحدهم عن تفرغ وقت لتحصيل القرآن الكريم مباشرة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم أناب عنه من يُحصّل عنه: فأخرج البخاري رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلٌ مثل ذلك" ^{٢٣٢}

عرض الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم

وكانوا يعرضون على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ويقرؤونه عليه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرأ عليّ)، قلتُ: "اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (فإني أحب أن أسمع من غيري)، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: (أمسك)، فإذا عيناه تذرفان" ^{٢٣٣}

٢٣٠ تفسير الطبري - جامع البيان - طدار التربية والتراث (٨٠ / ١)

٢٣١ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم: ٤٨١١ | خلاصة حكم المحدث : صحيح
٢٣٢ الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٨٩ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
٢٣٣ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٥٠٥٥ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الحث على المدارس في المساجد وحلقات العلم (سنة الكتائب)

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين بغير إثم بالله ولا قطع -قطيعة- رحم؟) قالوا : كلنا يا رسول الله، قال: (فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خيرا له من ناقتين وإن ثلاث فنلاث مثل أعدادهن من الإبل)^{٢٣٤}، حتى أصبح مسجد الرسول عامراً بتلاوة القرآن، يضح بأصوات القراء، فأمرهم رسول الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا، وقال: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)^{٢٣٥}

الحرص على تعليم من فاتته الدرس أو لم يكن حاضراً لحظة نزول الوحي

وكان كل حافظ للقرآن ينشر ما حفظه، ويعلمه للأولاد والصبيان والذين لم يشهدوا نزول الوحي، بل كان الرسول ﷺ يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الحفاظ ليعلمه حفظ القرآن الكريم، فشاع حفظه بين الرجال والنساء.

توجيه بعض الحفاظ إلى البلدان ليُعلموا الناس تلاوة القرآن (شفاهاً)

وكان ﷺ يباشر بنفسه تعليم المسلمين القرآن بالإضافة إلى تعليم بعضهم بعضاً، وقد أرسل الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمصار ممن أسلموا حديثاً ليعلموهم القرآن.

الحرص على تكرار القرآن المحفوظ ومراجعته مع قراءته في الليل

﴿أَشَدُّ وَطْأًا﴾ أي اثبت في الخير، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أي أبلغ في الحفظ، وقد قال ﷺ: (إذا قام صاحب القرآن فقراه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه)^{٢٣٦}

بل كان يؤكد على مراجعته ببيان وسائل التدارك عند الفوات فعن عبد الرحمن بن عبد القاري رضي الله عنه قال: "سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: (من نام عن حزبه، أو عن شيء منه فقراه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل)"^{٢٣٧}، وقد شمل قوله (حزبه) الصلاة والذكر.

٢٣٤ الراوي : عقبة بن عامر | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم : ٨٠٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

٢٣٥ الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم : ٥٥٠٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

٢٣٦ الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الألباني | المصدر : السلسلة الصحيحة: الصفحة أو الرقم : ٥٩٧ | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح: التخريج : أخرجه مسلم (٧٨٩) باختلاف يسير.

٢٣٧ الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم : ٧٤٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التعاهد اليومي والشهري والسنوي

- مرادفات التعاهد: المعارضة والمدارسة والمذاكرة
- معنى التعاهد (كما عرفه القاضي عياض): "الأمر على مواظبة تلاوته والمداومة على تكرار درسه" انتهى، في صلواتهم وقيامهم، وصيامهم ورمضانهم، وقعودا وعلى جنوبهم.

يقول ﷺ: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢]، ولما جاء وفد ثقيف إلى المدينة، أنزلهم رسول الله ﷺ في قبة بين المسجد وبين أهله، فكان يأتيهم ويُحدثهم بعد العشاء، وفي ليلة من الليالي تأخر عليهم ثم أتاهم فقالوا له: "يا رسول الله لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث، فقال: (نعم، طراً علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه)"^{٢٣٨}

وكان يقرأ القرآن قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومتوضئاً ومحدثاً ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة، وكان يتغنى به ويرجع صوته به أحياناً، وكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، وذلك لطول القراءة فيها، وقد بوب له الإمام مسلم ﷺ باباً أسماه (باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل)

وكما جاء في حديث حذيفة ؓ أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة "فافتتح البقرة، فقلتُ يركعُ عند المائة، فمضَى، فقلتُ يركعُ عند المائتين، فمضَى، فقلتُ يُصليُّ بها في ركعة، فمضَى، فافتتح النساءَ فقرأها، ثم افتتح آل عمرانَ فقرأها" وفي حديث عائشة ؓ: "كنت أقوم مع رسول الله فكان يقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء"^{٢٣٩}

ومن مظاهر التعاهد السنوي معارضته القرآن مع جبريل ؑ، وأدلة ختم القرآن عند الصحابة ؓ والسلف أكثر من أن تكتب فلتراجع.

تبيان فضل من تعلّم وعلم القرآن وتلاه وحفظه (تعاهد القرآن)

جعل الله ﷻ لعباده الذين يتعلمون كتابه فضلاً كبيراً وثواباً عظيماً، وجعل لمن يعلم الناس كتابه أيضاً أجراً أعظم وأكبر، فهم:

١. خَيْرُ النَّاسِ: قد جاء في الحديث الذي رواه عثمان بن عفان ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)^{٢٤٠}

٢٣٨ الراوي: أوس | المحدث: شعيب الأرنؤوط | المصدر: تخريج مشكل الآثار: الصفحة أو الرقم: ١٣٧١ | خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف
٢٣٩ لراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم: ٧٧٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٢. أهل الله وخاصته: وسماهم أهل الله وخاصته، فعن أنس رضي الله عنه قال: "قال رسول الله: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ) قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: (هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته)^{٢٤١}
٣. شفيحاً لقراءه يوم القيامة: وجعل القرآن شفيحاً لقراءه يوم القيامة، ففي حديث أبي إمام الباهلي رضي الله عنه: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه)^{٢٤٢}
٤. منزلة القارئ في الجنة: وجعل منزلة القارئ في الجنة بمقدار ما قرأ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)^{٢٤٣}
٥. ضاعف الله ثواب قراءة الحرف الواحد من القرآن أضعافاً كثيرة: وضاعف الله ﷻ ثواب قراءة الحرف الواحد من القرآن أضعافاً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن: ألف حرف ولام حرف، وميم حرف)^{٢٤٤}
٦. صاحب القرآن يلبس حلة الكرامة وتاج الكرامة: عن النبي ﷺ أنه قال: (يُجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ الْقُرْآنُ: يَا رَبِّ حُلَّةُ، فَيَلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيَلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ، وارْق، ويزاد بكل آية حسنة)^{٢٤٥}
٧. القرآن يرفع صاحبه: قال عمر رضي الله عنه: "أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ)^{٢٤٦}
٨. فضل الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام، والذي ينتفع فيه له أجران: عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَنْ تَلَّى الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ، وَهُوَ سَفَرَةٌ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَنْ تَلَّى الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ)^{٢٤٧}

٢٤٠ الراوي : عثمان بن عفان | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٥٠٢٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 ٢٤١ الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه: الصفحة أو الرقم : ١٧٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح
 ٢٤٢ الراوي : أبو أمامة الباهلي | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم : ٨٠٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 ٢٤٣ الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : شعيب الأرنؤوط | المصدر : تخريج رياض الصالحين: الصفحة أو الرقم : ١٠٠١ | خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن: التخريج : أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٨٠٥٦)، وأحمد (٦٧٩٩)
 ٢٤٤ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : الألباني | المصدر : تخريج مشكاة المصابيح: الصفحة أو الرقم : ٢٠٧٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح: التخريج : أخرجه الترمذي (٢٩١٠) واللفظ له، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٢٦٣/٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٩٨٣) باختلاف يسير.
 ٢٤٥ الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترغيب: الصفحة أو الرقم : ١٤٢٥ | خلاصة حكم المحدث : حسن: التخريج : أخرجه الترمذي (٢٩١٥) باختلاف يسير، وأحمد (١٠٠٨٧) مختصراً
 ٢٤٦ الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم : ٨١٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

٩. سماع الله ﷻ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا أَدِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَدِنَ لِنَبِيِّ حَسَنٍ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ)^{٢٤٨}، والأذن: الإستماع.

والمعنى: ما استمع الله ﷻ لشيء كسماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ؛ كما دل عليه هذا الحديث.

١٠. يُباهي الله بالمجتمعين في حلقة القرآن الملائكة: عن معاوية رضي الله عنه: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: (مَا أَجْلَسَكُمْ؟) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: (اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ نَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَنَانِي جَبْرِيْلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ)^{٢٤٩}"

١١. حافظ القرآن وقارئه يؤتى يوم القيامة ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين: كما جاء في الحديث: (إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجْلِ الشَّاحِبِ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أطمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل [تجارة]، قال: فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يؤوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في [درج] الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام (يقرأ) هذا كان أو ترتيلاً)^{٢٥٠} وقال عمر رضي الله عنه: "أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ)"^{٢٥١} وقال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَلْبَسَ وَالِدَهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بَيْوتِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ هَذَا؟)^{٢٥٢}

١٢. المخرج من الفتن والهدى إلى الصراط المستقيم: عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، قِيلَ: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأٌ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَخَبْرٌ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ،

٢٤٧ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم : ٤٩٣٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 ٢٤٨ الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم : ٧٩٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 ٢٤٩ الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٢٧٠١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 ٢٥٠ الراوي : بريدة بن الحبيب الأسلمي | المحدث : ابن حجر العسقلاني | المصدر : المطالب العلية: الصفحة أو الرقم : ٦٦/٤ | خلاصة حكم المحدث : إسناده (حسن)
 ٢٥١ الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٨١٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 ٢٥٢ الراوي : معاذ بن أنس | المحدث : الألباني | المصدر : ضعيف الجامع: الصفحة أو الرقم : ٥٧٦٢ | خلاصة حكم المحدث : ضعيف

لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جِبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَيْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَتَّبِعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَقْتُلْهُ الْجِنُّ إِذْ سَمِعْتُهُ عَنْ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَّمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{٢٥٣}

١٣. يُعْطَى أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ: المُتَشَغَلُ بِالْقُرْآنِ عَنِ سُؤَالِ اللَّهِ يُعْطَى أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ:

ودليله قول الله ﷻ: (من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله سبحانه وتعالى عن سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه)^{٢٥٤}

١٤. مهرا للزواج لمن ليس له مال: حتى إن المرأة المسلمة كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهرا لها، ومما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "أنت النبي ﷺ امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله، فقال: (ما لي في النساء من حاجة)، فقال رجل: زوجنيها، قال: (أعطاها ثوبا)، قال: لا أجد، قال: (أعطاها ولو خاتما من حديد)، فاعتلَّ له، فقال: (ما معك من القرآن؟) قال: كذا وكذا، قال: (فقد زوجتكها بما معك من القرآن)"^{٢٥٥}

١٥. مُقَدَّمٌ فِي اللُّحْدِ: كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: (أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟) فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد"^{٢٥٦}

١٦. جُعِلَ إِكْرَامُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَرْتَبًا بِإِجْلَالِ اللَّهِ ﷻ: قال رسول الله ﷺ: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط)^{٢٥٧}

١٧. خير من متاع الدنيا: عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين بغير إثم بالله ولا قطع - قطيعة- رحم؟) قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: (فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خيرا له من ناقتين وإن ثلاث فتلات مثل أعدادهن من الإبل)"^{٢٥٨}

٢٥٣ الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: الألباني | المصدر: ضعيف الجامع: الصفحة أو الرقم: ٢٠٨١ | أحاديث مشابهة | خلاصة حكم المحدث: ضعيف جداً
٢٥٤ الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: ضعيف الترمذي: الصفحة أو الرقم: ٢٩٢٦ | خلاصة حكم المحدث: ضعيف
٢٥٥ الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم: ٥٠٢٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]
٢٥٦ الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم: ١٣٤٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]
٢٥٧ الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم: ٢١٩٩ | خلاصة حكم المحدث: حسن
٢٥٨ الراوي: عقبة بن عامر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم: الصفحة أو الرقم: ٨٠٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

١٨. ذم من لم يحفظ القرآن في صدره: قال رسول الله ﷺ: (إنّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)^{٢٥٩}

٢٥٩ الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الترمذي | المصدر : سنن الترمذي: الصفحة أو الرقم : ٢٩١٣ | خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح: التخريج : أخرجه أحمد (١٩٤٧)، والدارمي (٣٣٠٦)، والحاكم (٢٠٣٧)

نتائج المنهج النبوي في تلقي القرآن وتعليمه وإقراءه والمستفاد منه

استشعار المصدرية الإلهية

وذلك في:

- توقيف القرآن على الله ﷻ؛
- وتلقيه عن الله ﷻ؛
- وبقينية حفظ الله ﷻ لكلامه.

فإذا اجتمع كما سبق:

- الأمر الإلهي باتباع هيئة معينة للنطق بالقرآن (الأداء)؛ وهو قوله ﷻ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقوله ﷻ: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، والتقدير: فإذا انتهت قراءة جبريل ﷺ فأقرأ أنت؛
- والتطبيق الملائكي (جبريل ﷺ) لذلك الأمر باتباع ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]؛
- والنص النبوي عليها: قال رسول الله ﷺ: (اقرأ وارق ورتل) ٢٦٠؛
- والتطبيق النبوي لها، بمماثلة قراءة جبريل ﷺ: فإذا انطلق جبريل ﷺ قرأه النبي ﷺ كما قرأه، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]؛
- ودقة وصف ونقل الصحابة ﷺ لتلك الهيئة وأن الصحابة ﷺ حفظوه وكتبوه كما أقرأهم الرسول ﷺ؛
- مع تناقل هذه الهيئة عبر الأجيال؛

فإننا نتبين النتيجة التلقائية لهذه المقدمات الستة، وهي "التوقيفية المحضة في نقل هيئة أداء القرآن، كنقل أصل ألفاظه" ٢٦١ انتهى.

٢٦٠ قال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح))، وصححه ابن حبان، ونقل الذهبي تصحيح الحاكم له وأقره أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٢ / ١٩٢) واللفظ له. وابن أبي شيبه في "المصنف" (١٠ / ٤٩٨ رقم ١٠١٠٥). وأبو داود في "سننه" (٢ / ١٥٣ رقم ١٤٦٤) في الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة. والترمذي في "سننه" (٨ / ٢٣٢ رقم ٣٠٨١ و ٣٠٨٢)، في فضائل القرآن، باب منه. والنسائي في "فضائل القرآن" (ص ٩٧ رقم ٨١). وابن حبان في "صحيحه" (٣ / ٤٣ رقم ٧٦٦ / الإحسان). والحاكم في "المستدرک" (١ / ٥٥٢ - ٥٥٣). جميعهم من طريق سفيان الثوري، عن عاصم بن بهدلة، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، به.

٢٦١ تلقي النبي - ﷺ - الفاظ القرآن الكريم، دراسة تأصيلية- (رسالة ماجستير)، عبد السلام المجيدي، الأستاذ المساعد بكلية التربية - جامعة دمار - اليمن، ص. ١٧٧.

أن يكون التلقي سنة متبعة في أمته

بل إن التلقي والمشافهة في تعلم وتعليم القرآن هو ما قامت عليه دولة الإسلام الأولى في عهد النبي ﷺ:

فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: "أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرَأَانِ النَّاسَ" ٢٦٢، أي أول من هاجر إلى المدينة قبل هجرة النبي ﷺ، وأقرأ الناس القرآن.

ولم يكن عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه يقرأ القرآن من كتاب أو مصحف، بل كان ضريراً لا يرى، وفيه نزل قول الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢-١]، ومصعب بن عمير رضي الله عنه، الصحابي الشاب المترف الذي ترك أهله وما هم عليه من ترف، وهاجر ليقري الناس القرآن في المدينة، وقد مر عليه رسول الله ﷺ وهو قتيل شهيد في غزوة أحد، فقرأ الرسول ﷺ فيه قول الله ﷻ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

وحين فتح النبي ﷺ مكة، خلف على أهلها عتاب بن أسيد رضي الله عنه؛ ليعلم الناس القرآن؛ وقد اقتدى بسنته من بعده الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ لاسيما عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه حين بعث المصاحف إلى الآفاق، أرسل مع كل مصحف قارئاً ليعلم الناس القراءة الصحيحة، وهذا يؤكد على أن الأمر في القراءة يقوم على التلقي ولا مجال للاجتهد، فلو كانت القراءة تصح من المصحف مباشرة بلا تلقي، لما أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما بعث المصاحف إلى الآفاق قارئاً مع كل مصحف، ليعلمهم القراءة ويلقنهم إياها.

وانظر كيف فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا:

١. ابن مسعود رضي الله عنه يُدرك أهمية التلقي والمشافهة، فكان إذا سُئِلَ عن سورة لم يأخذها من في رسول الله ﷺ صرح لهم بذلك، وأخبرهم بمن تلقاها مشافهة عن النبي ﷺ:

• فعن عمرو بن معديكرب رضي الله عنه قال: "أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا ﴿طَسَمَ﴾، المئين ٢٦٣، فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من أخذها من رسول الله: حَبَابُ بن الأرت، قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا" ٢٦٤

٢٦٢ أخرجه البخاري في صحيحه، ٧/ ٢٠٣ و ٢٠٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مقدم النبي صلى الله عليه وأصحابه إلى المدينة، وفي تفسير سورة {سبح اسم ربك الأعلى}، وفي فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب به. ٢٦٣ المنون هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

- وكان ﷺ يقول: "والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة" ^{٢٦٥}، ويبين عن أخذ باقيه فجاء في رواية أخرى بزيادة: "وأخذت بقية القرآن عن أصحابه" ^{٢٦٦}.
- وقال عبد الله بن مسعود ﷺ أيضا كما في (البخاري): "هَيْتَ لَكَ" وإنما نقرأها كما عَلَّمَنَاها" ^{٢٦٧}
- وعن شقيق ﷺ، عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ: "هَيْتَ لَكَ"، فقال شقيق ﷺ: "إنا نقرأها ﴿هَيْتُ لَكَ﴾" فقال ابن مسعود ﷺ: "أقرأها كما عَلَّمْتُ أحب إلي" ^{٢٦٨} انتهى

٢. قال محمد بن الحسن ﷺ صاحب أبي حنيفة ﷺ لمالك بن أنس ﷺ: "لم قرأتكم في ص ﴿وَلِي نَعَجَةٌ وَجِدَةٌ﴾

موقوفة اليا، وقرأتكم في (قل يا أيها الكافرون) (ولي) منتصبه اليا؟ قراءة ولي هي القراءة برواية حفص عن عاصم، بينما قراءة الباقيين ولي- فقال مالك: يا أهل الكوفة لم يبق لكم من العلم إلا كيف ولم، القراءة سنة تؤخذ من أفواه الرجال، فكن متبعاً ولا تكن مبتدعاً" ^{٢٦٩} انتهى

٣. قال الإمام أبو بكر بن مجاهد البغدادي ﷺ: "وَالْفِرَاءَةُ الَّتِي عَلَيْهَا النَّاسُ بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالشَّامَ هِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي تَلْقَوْنَهَا عَنْ أَوْلِيهِمْ تَلْقِيًا وَقَامَ بِهَا فِي كُلِّ مِصْرٍ مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ رَجُلٌ مِمَّنْ أَخَذَ عَنِ النَّابِعِينَ أَجْمَعَتِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَسَلَكُوا فِيهَا طَرِيقَهُ وَتَمَسَّكُوا بِمَذْهَبِهِ عَلَى مَا رُويَ عَنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَعَزْرَةَ بْنِ الزَّبِيرِ وَمُحَمَّدَ بْنِ الْمُنْكَدِرِ وَعَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعَامَرَ الشَّعْبِيِّ" ^{٢٧٠} انتهى.

وقال أبو عمرو البصري ﷺ أحد الفُرَّاء السبعة، وشيخ القراءة والعربية، أوجد أهل زمانه: "ما قرأت حرفاً من القرآن إلا بسماع واجتماع من الفقهاء، وما قلت برأيي إلا حرفاً واحداً، فوجدت الناس قد سبقوني إليه ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾" ^{٢٧١} انتهى، وذكره الهذلي بلفظ ^{٢٧٢}: "والله ما قرأت حرفاً إلا بآثر إلا قوله: (إِنْ هَذَا) فوجدت الناس قد

٢٦٤ حديث ضعيف، مسند أحمد: ج ١/ص ٤١٩ ح ٣٩٨٠

٢٦٥ متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢) (١١٤)، والنسائي في "المجتبى" (١٣٤/٨)، والفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٥٣٧/٢)، وابن أبي داود في "المصاحف" ص ١٥ و ١٦، والطبراني في "الكبير" (٨٤٤٨) من طرق عن الأعمش، بهذا الإسناد: حَدَّثَنَا عَفَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَّاحِدِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشِيُّ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلْمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ... وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي "الْمَجْتَبَى" (١٣٤/٨) مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَابْنِ حَبَانَ (٧٠٦٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ" (٨٤٣٧) مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوِيَه، كِلَاهِمَا عَنْ عَبْدِ بْنِ سَلِيمَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مِنْ أَجْلِ هُبَيْرَةَ. ٢٦٦ هذه الزيادة "وأخذت بقية القرآن عن أصحابه"، تفرد بهذه الزيادة إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ عَنْ سَلَامٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، الْمَعْمَرِ الصَّغِيرِ: ج ١/ص ٣١٠ ح ٥١٣. وفي مسند أبي يعلى الموصلي: "وَأَخَذْتُ سَائِرَ الْقُرْآنِ مِنْ أَصْحَابِهِ"، (١٢) سورة يوسف، (٤) باب: {وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ}، مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ، عَنْ سَلِيمَانَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِهِ، رَقْمٌ (٤٦٩٢).

٢٦٨ أخرجه البخاري ٩٦/٦ (٤٦٩٢) قال: حدثني أحمد بن سعيد، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا شعبة. و"أبو داود ٣٨/٤" ٤٠٠٤ قال: حدثنا أبو معمر، عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج المنقري، حدثنا عبد الوارث، حدثنا شيبان. وفي (٤٠٠٥) قال: حدثنا هناد، حدثنا أبو معاوية. ثلاثتهم (شعبة، وشيبان، وأبو معاوية، محمد بن خازم) عن سليمان الأعمش، عن شقيق، أبي وائل، فذكره.

٢٦٩ انظر: "جامع البيان" للداني. (1/84)

٢٧٠ السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد البغدادي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ص. ٤٩.

٢٧١ أخرجه الداني في "جامع البيان" (١٠٥/١).

سبقوني إليه" ٢٧٣ انتهى، وقال أبو عمرو أيضاً: "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا، كذا، وحرف كذا، كذا" ٢٧٤ انتهى

وقال أبو زيد اللغوي رحمه الله: "قلت لأبي عمرو: أكلا أخذته وقرأت به سمعته؟ قال: لو لم أسمعه لم أقرأ به، لأن القراءة سنة" ٢٧٥ انتهى

٤. يقول الصاوي في (حاشيته) على (الجلالين): "تلقي النبي عن جبريل هو سنة متبعة لأمته، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور" ٢٧٦

واشتهر عن بعض السلف قولهم: "القراءة سنة متبعة"، وقد تواتر هذا المعنى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، ومحمد بن المنكدر، وعامر الشعبي وغيرهم رضي الله عنهم:

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل كما علم" ٢٧٧؛
- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إني سمعتُ القراءَ فوجدتهمُ متقاربين فآقرءوا كما علمتم، وإياكم والاختلاف والتنطع" ٢٧٨؛
- وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: "القراءة سنة" ٢٧٩؛

٢٧٢ أبو القاسم الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة المغربي، المقرئ المتكلم النحوي، صاحب كتاب "الكامل في القراءات" وكان كثير الترحال، حتى وصل إلى بلاد التُّرك، في طلب القراءات المشهورة والشاذة. ولد في رمضان سنة ثلاث وأربعمائة (٤٠٣ هـ) على أصح الأقوال، ورحلته في طلب العلم من أشهر وأوسع وأعجب الرحلات التي سُمِعَ بها في طلب القراءات والحديث الشريف والرواية فزار ونزل في أكثر من سبعين مدينة لقي فيها ما يربو على الثلاثمائة وستين شيخاً، وقد قال عنها وعن الحافظ ابن الجزري (غاية النهاية في طبقات القراء) صفحة ٣٩٧ - ٣٩٨ ترجمة رقم ٣٩٢٩: "وطاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ". اشتهر أبو القاسم الهذلي في علم القراءات، وسماعها وبرع فيها حتى أصبح مرجعاً لا يستغنى عنه فيها، عينه الأمير نظام الملك في المدرسة النظامية بنيسابور التي بقي مدرسا بها للقراءات والعلل ثماني سنوات (من سنة ٤٥٨ هـ إلى أن توفي سنة ٥٦٤ هـ). أضرت به كثرة القراءة والمطالعة فعمي في كبره، وتوفي بنيسابور سنة خمس وستين وأربع مائة (٤٦٥ هـ) غريباً عن بلده، وشهد جنازته الأمير ومن دونه.

٢٧٣ "الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي المغربي، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر - الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص. ٦٥.

٢٧٤ أخرجه ابن مجاهد في "السبعة" ص (٤٨) والداني في "جامع البيان (1/106)

٢٧٥ مكي: التبصرة ص ٢٣٥

٢٧٦ حاشية الصاوي على الجلالين ٣/ ٨٠

٢٧٧ إسناد حسن. معمر بن سهل ترجمه ابن حبان في "ثقافته" ١٩٦/٩، فقال: شيخ متقن يغرب، وعامر بن مدرك ذكره ابن حبان في "ثقافته" ٥٠١/٨، وقال: ربما أخطأ، وروى عنه غير واحد، وبقي رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم ٢٢٣/٢ - ٢٢٤ عن أبي العباس المجبوبي، حدثنا سعيد بن مسعود، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل بهذا الإسناد، وصححه هو والذهبي، وهو حسن فقط.

٢٧٨ موقوف على ابن مسعود، البخاري، خلق أفعال العباد ٨٧/١، دار المعارف.

٢٧٩ حديث حسن لذاته، بحكم د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، في تحقيقه للحديث فيما أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من السنن (٢/ ٢٦٠). وفي سنده عُبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزَّنَادِ، وهو ثقة فقيه تقوم به الحجة إذا روى عن الثقات، قال الدكتور سعد آل حميد: "والذي يظهر أن هذا مما حفظه عبد الرحمن، فإنه قد رواه عنه سليمان بن داود الهاشمي، وروايته عنه أتى عليها ابن المديني، فأقل أحوال الحديث أنه حسن لذاته، وقد صححه الحاكم كما سيأتي ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٥ / ١٤٥ - ١٤٦ رقم ٤٨٥٥). والبيهقي في "سننه" (٢ / ٣٨٥) في الصلاة، باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة. والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع" (٢ / ١٩٦ رقم ١٥٩٦). ثلاثتهم من طريق المصنّف، به مثله، إلا أن الخطيب قال في روايته: ((عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ)). وأخرجه الحاكم في "المستدرک" (٢ / ٢٢٤) من طريق سليمان بن داود الهاشمي، عَنْ عُبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ، لَكِنْ تَحَرَّفَ فِي الْمَطْبُوعِ قَوْلُهُ: ((سَنَةَ)) إِلَى: ((سَبْعَةَ))، وَتَصَحَّفَ اسْمُ عُبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ إِلَى: ((عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ)). وقد أخرجه البيهقي في "الشعب" (٥ / ٦٠٠ رقم ٢٤٢٥) من طريق الحاكم على الصواب. وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ٣٣٤ رقم ٧٨٦)، من طريق حجاج بن محمد المصيصي، عَنْ عُبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ، بِهِ مِثْلُهُ. وأخرجه الطبراني من طريق سعيد بن أبي مريم

- قال عروة بن الزبير رضي الله عنه: "إن قراءة القرآن سنة من السنن، فاقرووه كما اقترنتموه" ^{٢٨٠}؛
- قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "قراءة القرآن سنة يأخذها الآخر عن الأول" ^{٢٨١}؛
- قال محمد بن المنكدر رضي الله عنه: "قراءة القرآن سنة يأخذها الآخر عن الأول" ^{٢٨٢}؛
- قال عامر الشعبي رضي الله عنه: "القراءة سنة، فاقرووا كما قرأ أولوكم" ^{٢٨٣}.

حفظ النص القرآني وضبط الألفاظ مقدم على طلب بيانه

عدم التسرع في طلب بيان ألفاظه قبل الحفظ، قال رضي الله عنه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ﴾ ^{١٦-١٨}، فقوله رضي الله عنه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ﴾، يفيد التراخي الزمني أو التراخي الرتبتي.

التزام كمال الأداء

التزام كمال الأداء: حق الحروف، ومستحقها، وهذا ما يُعرف بـ: صور الاداء القرآني، وهي أربعة:

الأداء الأصلي: المعروف بحق الحروف في علم التجويد

- القراءة؛
- الترتيل.

الأداء الفرعي: المعروف بمستحق الحروف في علم التجويد

- التنغي؛
- الترجيع.

١. القراءة: القراءة، يكون للقرآن كله، وتكون عن ظهر قلب مع اخراج كل حرف من مخرجه.

وعيسى بن ميناء، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، به مقروناً بالرواية السابقة، وزاد ابن أبي مريم: ((لا تخالف الناس برأيك)). ٢/ ٢٦٠-٢٦٣، التفسير من سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي.
 ٢٨٠ السبعة في القراءات لابن مجاهد بإسناده: "حدثني محمد بن المزروع البصري وكان يُقال له يموت قال حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد قال حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن ابن أبي عمير قال حدثنا خالد بن أبي عمران عن غزوة بن الزبير قال.... وكذا، قال: حدثني أبو القاسم بن الفضل المقرئ الرازي قال حدثنا أبو زرعة قال حدثنا عبد العزيز بن عمران قال حدثنا ابن وهب قال حدثني ابن أبي عمير عن خالد بن أبي عمران عن غزوة بن الزبير...."، ص. ٥٢.
 ٢٨١ عبد العزيز بن جعفر بن محمد بن إسحاق بن محمد بن خوسث، بضم الخاء وسكون السين، أبو القاسم، البغدادي، مقرئ نحوي، قال أبو عمرو الداني، كان خيراً فاضلاً صدوقاً ضابطاً، مات سنة ثنتي عشرة وأربع مائة. الصلة ٢/ ٣٧٥، غاية النهاية ١/ ٣٩٢، معرفة القراء ١/ ٣٠١.
 ٢٨٢ الحديث سنده ضعيف لتدليس إسماعيل بن عياش، فإنه مدلس من الثالثة، وقد دلس هذا الحديث، فأسقط شيخه الليث ابن أبي سليم. فالحديث أخرجه الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٢/ ١٩٦ رقم ١٥٩٧) من طريق خلف بن هشام، عن إسماعيل بن عياش، عن ليث عن شعيب بن دينار... فذكره بلفظه. وليث بن أبي سليم اختلط فترك حديثه، فالحديث ضعيف بهذا الإسناد لأجله، والله أعلم.
 ٢٨٣ السبعة في القراءات لابن مجاهد بإسناده: "وحدثني أحمد بن الصقر قال حدثنا عمر بن الخطاب الحنفي قال حدثنا سعيد بن أبي مريم قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثني عيسى بن أبي عيسى الحنط قال عامر الشعبي يقول القراءة سنة فاقروا كما قرأ أولوكم"، ص. ٥١.

٢. الترتيل: الترتيل، هو تبين الحروف، وهو مرتبة أعلى من القراءة، قال ﷺ: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:

٣٢]، ويُقَلُّ لنا الترتيل بأمر الله ﷺ كما هو بقول الله ﷻ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، والترتيل أن تكون كلمات القرآن واضحة مميزة، كلمة بعد أخرى بحيث لا يكون بينها تداخل في النطق، أي أن الترتيل هو القراءة بأحكام التجويد، بترقيق المرقق، وتفخيم المفخّم، وقصر المقصور، ومد الممدود، وإظهار المُظْهَر، وإدغام المُدْغَم، وإخفاء المخفي، وغنّ الحرف الذي فيه غنّة، وإخراج الحروف من خارجها، وعدم الخلط بينها، كل ذلك دون تكلف أو تمطيط.

ولا يُمكن ذلك إذا نُقِلت القراءة بأعلى درجات الرواية، وهي المشافهة؛ حيث ينتلّي القارئ القرآن عن المقرئ، والمقرئ ينتلّاه عن شيخه، وشيخه عن شيخه، وهكذا، حتى تنتهي السلسلة إلى النبي ﷺ.

"ويتضمن الترتيل عنصرين متلازمين: وهما التأنّي (التؤدة) وتبيين الحروف، وينبني على هذين العنصرين أمرا ثالثا وهو: إشباع الحركات، وأمرا رابعا وهو: السكينة والوقار التي تميز قارئ القرآن عن مطرب الالحن^{٢٨٤}، وقد أوضحها ابن مسعود رضي الله عنه فقال: "لَا تَنْتَرُوهُ نَتْرَ الدَّقْلِ وَلَا تَهْدُوهُ هَدَّ الشَّعْرِ، قُفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرَكَوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمَّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ"^{٢٨٥} انتهى

ولذا قال رسول الله ﷺ: (من سرّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)^{٢٨٦}، وعن موسى بن يزيد الكندي رضي الله عنه، قال: "كان ابن مسعود يقرئ القرآن رجلا فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ مرسله، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال: أقرأنيها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فمددها"^{٢٨٧}، وعن قتادة رضي الله عنه - قال: "سئل أنس رضي الله عنه، كيف كانت قراءة النبي؟ فقال: كانت مدًّا"^{٢٨٨} انتهى

ويحتوي الترتيل مراتب القراءة بالنظر إلى سرعة الأداء وبُطئه، وهي ثلاث: التحقيق، والحد، والتدوير؛ وكلها ثابتة عن رسول الله ﷺ، وكلها داخلة في الترتيل:

• التحقيق: البطء والترسل في التلاوة، مع مراعاة جميع أحكام التجويد من غير إفراط؛

• التدوير: التوسط بين التحقيق والحد؛

٢٨٤ تلقى النبي، مرجع سابق، ص. ١٦١.
٢٨٥ رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢٤٤، وفي سنن أبي داود ٢/ ٧٧، أتى ابن مسعود رجل فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة، فقال: أهدأ كهذا الشعر ونثرا كنثر الدقل؟ قال أبو سليمان الخطابي في معالم السنن ١/ ٢٨٣: "الهد سرعة القراءة، وإنما عاب عليه ذلك؛ لأنه إذا أسرع القراءة ولم يرتلها فاته فهم القرآن وإدراك معانيه".
٢٨٦ حديث صحيح. أخرجه أحمد (رقم: ١٧٥) والنسائي في «الكبرى» (رقم: ٨٢٥٧) وابن خزيمة في «صحيحه» (رقم: ١١٥٦) ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٢/ ٥٣٨ - ٥٣٩) والطحاوي في «المشكّل» (رقم: ٥٥٩٢، ٥٥٩٣) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٦٤، ٦٥).
٢٨٧ المعجم الكبير للطبراني ٩/ ١٣٧) والحاكم (رقم: ٢٨٩٣) وأبو نعيم في «الحلية» (رقم: ٣٧٦) والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٤٥٢ - ٤٥٣) من طرق عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة.
يزيد بعضهم ذكر طريق أخرى عن عمر.

٢٨٨ رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب مد القراءة/ ح (٤٧٥٩) (١/ ١٩٢٥).

- **الحد:** إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها وإقامة الإعراب مع مراعاة جميع أحكام التجويد من غير تقريظ.

ومرتبة الحد لا تناسب إلا الماهر، المتقن الذي قضى سنين من عمره في التدريب على القراءة الصحيحة بمرتبة التحقيق، ثم بمرتبة التدوير، ثم الحد.

- **التغني**^{٢٨٩}: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن)^{٢٩٠}، وفي لفظ: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به)^{٢٩١}، وما رواه الإمام أحمد رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (لله أشدُّ أذنًا إلى الرَّجُلِ حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ)^{٢٩٢}، وكما جاء عند ابن حبان رضي الله عنه: (ما أذن الله لشيء كأذنه لذي يتغنى بالقرآن يجهر به)، وجاء في الحديث: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)^{٢٩٣}

- **الترجيع:** جاء في الحديث: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ - قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا"^{٢٩٤}، والمقصود بالترجيع هنا هو تردد الصوت في حلق القارئ، أو هو تحسين الصوت والتغني بالقرآن الكريم عند الإتيان بالمدود، من خلال ترديد الصوت بالحلق وإشباع المد، وهو أحد صور التحزين أو التشويق أو القراءة باللحن المرغَّب في سماع القرآن.

٢٨٩ قال ابن حجر في الفتح ٧٠/٩: "قال ابن الجوزي: اختلفوا في معنى قوله (يتغنى) على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت، والثاني: الاستغناء، والثالث: التحزن، قاله الشافعي، والرابع: التناقل به، تقول العرب: تغنى بالمكان أقام به، وفيه قول آخر حكاه ابن الأثير في الزاهر قال: المراد التلذذ والاستحلاء له، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنياً من حديث {أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء}، وهو كقول نابغة: بكاء حمامة تدعو هديلاً مفاجعة على قنن تغني، أطلق على صوتها غناء؛ لأنه يطرب كما يطرب الغناء، وإن لم يكن غناء حقيقة".

٢٩٠ متفق عليه، البخاري ٦: ١٥٧ في فضائل القرآن باب ٣٥٦ من لم يتغن بالقرآن ولفظه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن" قال سفيان: تفسيره يستغنى به. ١. هـ، ٩: ١١٤ في التوحيد باب ٣٠ قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. الآية. ومسلم ١: ٥٤٥ في المسافرين ٣٤- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن الحديث رقم (٢٣٢) ولفظه "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن" ٢٣٣ بلفظ "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به". وأخرجه أبو داود ٢: ١٥٧ في الصلاة ٣٥٥- باب استحباب الترتيل في القراءة رقم الحديث ١٤٧٣. والنسائي ٢: ١٤٠ في كتاب الافتتاح- تزيين الصوت بالقرآن. والدارمي ١: ٣٤٩ في الصلاة باب التغني بالقرآن: وأحمد ٢: ٢٧١، ٢٨٥، ٤٥٠.

٢٩١ الحديث عند البخاري، الصحيح الجامع، كتاب فضائل القرآن، باب «من لم يتغن بالقرآن» ٩ / ٦٠ - ٦١ وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وباب قوله وأسروا قولكم أو اجهروا به ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب (استحباب تحسين الصوت بالقرآن) ١ / ٥٤٥ رقم الحديث (٧٩٢). ورواه من أصحاب السنن أبو داود والنسائي.

٢٩٢ مسند أحمد (١٨٧/٦)، قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِزَاهِيمَ الطَّلْقَانِيُّ ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ غُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ غُبَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ... وَأَخْرَجَهُ أَبُو غُبَيْدٍ «فَضَائِلُ الْقُرْآنِ» (١٨٧) عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمْرَةَ، وَالْحَاكِمُ (٧٦٠/١) عَنْ بَشْرِ بْنِ بَكْرٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ «الْكُبْرَى» (٣٢٠/١٠) وَ «شُعْبَةُ الْإِيمَانِ» (٢١٤٤/٣٨٧/٢)، وَابْنُ عَسَاكِرَ «التَّارِيخُ» (٣٢١/٦١) كِلَاهُمَا عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مَرْزُوقٍ، جَمِيعاً عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ غُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ غُبَيْدٍ بِمِثْلِهِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، وَلَمْ يَخْرُجَاهُ، فَإِنْ كَانَ قَدْ تَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ يَقُولُهُ: بَلْ هُوَ مُنْقَطِعٌ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ وَصَلَهُ جَمْعٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ بِرَوَايَةٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ غُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ مَيْسَرَةَ مَوْلَى فَضَالَةَ عَنْ فَضَالَةَ: فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٠/٦) عَنْ عَلِيِّ بْنِ بَخْرٍ، وَالتَّخَارِيُّ «التَّارِيخُ» (٥٥٦/١٢٤/٧) عَنْ صَدَقَةَ بْنِ خَالِدٍ، وَابْنُ مَاجَةَ (١٣٤٠) عَنْ زَائِدِ بْنِ سَعِيدٍ الرَّمْلِيِّ، وَالْمُرُوزِيُّ «قِيَامُ اللَّيْلِ» عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي بَرٍّ، وَابْنُ جَبَانَ (٧٥٤) عَنْ دُحَيْمِ، وَالطَّبْرَانِيُّ «الْكَبِيرُ» (٧٧٢/٣٠١/١٨) عَنْ عَلِيِّ بْنِ بَخْرٍ وَدُحَيْمِ، وَأَبُو الْفَضْلِ الرَّازِيُّ «فَضَائِلُ الْقُرْآنِ» (٢٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ «الْكُبْرَى» (٢٣٠/١٠) كِلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَفْةِ السَّدُوسِيِّ، وَابْنُ عَسَاكِرَ «التَّارِيخُ» (٣٢١/٦١)، وَالْمَرْزِيُّ «تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (١٩٩/٢٩) كِلَاهُمَا عَنْ دَاوُدَ بْنِ رُشَيْدٍ، سَبَعْتُهُمْ دُحَيْمٌ وَمُتَابِعُوهُ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلَ بْنِ غُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ مَيْسَرَةَ مَوْلَى فَضَالَةَ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ غُبَيْدٍ بِهِ. وَتُوْبِعَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. قَالَ ابْنُ بَطَّةَ «الإبَانَةُ الْكُبْرَى» (٩٢/١٢٢/٣): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ الْخَدَّادِيِّ ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلِيُّ ثَنَا أَبُو أَسَامَةَ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ غُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ مَوْلَى فَضَالَةَ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ غُبَيْدٍ بِهِ.

٢٩٣ أخرجه البخاري، الصحيح الجامع، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا به ١٣ / ٤١٨، وأبو داود في السنن كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، ٢ / ١٥٦، وأحمد في المسند رقم (١٤٦٩).

٢٩٤ أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، "باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه" ص ١٣٠١ رقم الحديث [٧٥٤٠] ورواه مسلم بنحوه في صحيحه، "باب كيف قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة" ص ٣٢١ رقم الحديث [١٨٥٣]

تحقيق التلاوة سماعاً وعرضاً واتباعاً

لابد من تحقيق التلاوة كما انزلها الله ﷻ، وجعلها الله ﷻ من علامة الايمان بالكتاب، فيقول ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، وكنا قد عرفنا التلاوة بأنها القراءة والإسماع بصوت مرتفع لإسماع آخر أو آخرين، للعمل بما فيه.

من أين أتى في التعريف: العمل بما فيه؟

قال ابن عباس ؓ: "يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه"^{٢٩٥} انتهى، وفسرها عكرمة ؓ فقال: "ألا ترى أنك تقول: فلأن يتلو فلاناً أي يتبعه" وقال ﷻ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس: ١-٢] أي تبعها"^{٢٩٦} انتهى، إذن يتضمن معنى تلاوته: تتبع القرآن والعمل بما فيه، ويكون لك إماماً وتكون له تبعاً، فلكي تتحقق التلاوة لابد لها من ثلاثة شروط، عمل بهم النبي ﷺ مع أمته، واتباعها الى يومنا هذا واجب.

إذن، فالشروط الثلاثة لتحقيق التلاوة:

- السماع (تلاوة وسماعاً)؛
- العرض؛
- الاتباع (تلقينا وتعلينا).

التدرج في تلقي القرآن وتعلمه تعليمه

تكلم السلف عن أهمية التدرج في تلقي القرآن خاصة، وغيره من السنة النبوية وسائر العلوم بوجه عام.

- قال علي بن أبي طالب ؓ: "روحوا القلوب، وابتغوا لها طُرف الحكمة، فإنها تملك ما تملُ الأبدان"^{٢٩٧} انتهى
- وقال عبد الله بن مسعود ؓ: "إن للقلوب شهوة وإدباراً، فاغتنموا عند شهوتها، ودعوها عند فترتها وإدبارها" وكان يقول: "لا تُكره قلبك؛ إن القلب إذا أكره عمي"^{٢٩٨} انتهى

٢٩٥ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٩هـ، ج ١، ص ٥٢٠.
 ٢٩٦ تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٢١٨/١) (١١٥٩) صحيح، وَرُوِيَ عَنْ عَكْرَمَةَ، وَعَطَاءٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي رَزِينٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ نَحْوَ ذَلِكَ.
 ٢٩٧ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع؛ للخطيب البغدادي (٢/١٢٩)، رقم ١٣٨٩. قال: "أنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدوي بنيسابور قراءة عليه ونا أبو طالب يحيى بن علي العسكري بخلوان من ١٣٧ ب لفظه قال أبو حازم أنا وقال الآخر نا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف قال حدثني وفي حديث أبي حازم نا علي بن اسحق بن زاطيا نا أبو همام حدثني محمد بن حمير عن النجيب بن السري قال قال علي بن أبي طالب "...، وساقه بدون اسناد ابن الجوزي في أخبار الحمقى والمغفلين، ص. ١٥ دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
 ٢٩٨ (الفوائد لابن قيم الجوزية، ١٤٧)

- وقال ابن شهاب الزهري ليونس بن زيد رضي الله عنه: "يا يونس! لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأبها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من أخذ جملة نسيه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي" ^{٢٩٩} انتهى
- وروى البيهقي رضي الله عنه عن إسحاق بن عيسى رضي الله عنه قال: "سمعت مالكا يوم عاب العجلة في الأمور، ثم قال: قرأ ابن عمر البقرة في ثمان سنين" ^{٣٠٠} انتهى
- وقال إسماعيل بن أبي خالد رضي الله عنه: "كان أبو عبد الرحمن السلمي يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات" ^{٣٠١} انتهى
- وقال أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه: "كان أبو موسى يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات" ^{٣٠٢} انتهى

فائدة: على من أراد الحفظ والدراسة والتحصيل أو أي عمل من أعمال الخير أن يراعي سنة التدرج وأن يترفق بنفسه وأن يقتصر على ما يمكنه فهمه واستيعابه، فإنه بذلك يحصل علوما كثيرة جدا مع راحة نفسه وعدم إملالها.

كثرة الحُفَاط وتواترهم

كثُر الحُفَاط في عهد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخير دليل على كثرة الحُفَاط رضي الله عنه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قتل منهم رضي الله عنه في بئر معونة المعروفة بـ "سرية القراء" سبعون رجلا، كما قتل منهم رضي الله عنه يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سبعون قارنا.

ثبوت اليقينية لأداء القرآن بالتواتر العملي

ثبوت اليقينية لأداء القرآن بالتواتر العملي منذ زمان النبي: فكيفية أداء القرآن الكريم، تعبد وتوقيفا، أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وأمرت به أمته، وتناقلته الأمة بهذا الشكل كما هو، وهذه مسألة في غاية الأهمية للمناظر مع المخالفين، من ناحية دراسة وسائل المعرفة المكسبة لليقين الضروري أو النظري في المنهج الإسلامي، ونعني بذلك وسيلة التواتر العملي، بأن يتناقل المسلمون العمل في العبادة جيلا بعد جيلٍ دون نكير، فيأخذ حُكم التواتر، فتنظر الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان مستنده أحادا، وتنظر إلى الحال اليوم فتجده هو هو، لا يتغير، فهذا تواتر يقيني

٢٩٩ جامع بيان العلم وفضله للقرطبي، ٤٣١
 ٣٠٠ شعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ٣٤٥
 ٣٠١ معرفة القراء الكبار، ٢٩
 ٣٠٢ غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٦٠٤

ضروري، ولو كان مستنده آحاد أركان الصلاة ومقادير الزكاة، وألفاظ الأذان، ورمي الجمار في مناسك الحج، وكثير من مثل ذلك، ووجود جزئيات في هذا النوع مختلف فيها أمر لا يخرم هذه القاعدة^{٣٠٣}.

كمال الأداء وحرز من التصحيف والخطأ

يقول ابن كثير رحمه الله في (فضائل القرآن): "فأما تلقين القرآن من فم الملقن أحسن، لأن الكتابة لا تدل على كمال الأداء، كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه"^{٣٠٤}، فالتحريف والتصحيف واقع لا محالة في أي فنٍ وعلمٍ اعتمد فيه على المكتوب دون النقل ولذا، فلم يسلم من التصحيف إلا نقل القراء للقرآن لأنهم اعتمدوا النقل الشفاهي، وفي ذلك يقول الصفدي رحمه الله من علماء القرن السابع الهجري:

"وقد عمّت المُصيبة ورشقت سبهاؤها المُصيبة، وليس الناس أريدتها المعيبة، وفشا ذلك في المحدثين وفي الفقهاء، وفي النحاة، وفي أهل اللغة، وفي رُواة الأخبار، وفي نقلة الأشعار، ولم يسلم من ذلك غيرُ القراء؛ لأنهم يأخذون القرآن من أفواه الرجال"^{٣٠٥} انتهى، ونستفيض في الفصل القادم عن التصحيف وتجريم علماء الأمة لأخذ القرآن من المصاحف.

يقول الإمام المقرئ أبو عمرو الداني رحمه الله منذ ألف عامٍ، وهو يتحدث عن زمانه، بما لا يختلف عن زماننا بعد عشرة قرونٍ، وكلامه هذا قد ذكره في (شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني) فيما يتعلق بذلك، قال أبو عمرو:

"قال عثمان بن سعيد: عرض القرآن على أهل القراءة المشهورين بالإمامة المختصين بالدراية سنة من السنن التي لا يسع أحداً تركها رغبة عنه، ولا بد لمن أراد الإقراء والتصدر منها، والأصل في ذلك ما أجمع العلماء على قبوله وصحة وروده وهو عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل عام على جبريل عليه السلام وعرضه على أبي بن كعب بأمر الله صلى الله عليه وسلم له بذلك وعرض أبي عليه وعرض غير واحدٍ من الصحابة على أبي وعرض الصحابة بعضهم على بعض ثم عرض التابعين ومن تقدم من أئمة المسلمين جيلاً فجيلاً وطبقةً بعد طبقة إلى عصرنا هذا:

فكل مقرئٍ أهمل العرض واجتزأ بمعرفته أو بما تعلم في المكتب من معلمه، الذي اعتماده على المصحف أو على الصحائف دون العرض أو تمسك فيما يأخذ به ويعلمه بما يظهر له من جهة إعراب أو معنى أو لغة دون المروي عن أئمة القراءة بالأمصار المجتمع على إمامتهم: فمبتدع مذموم مخالف لما عليه الجماعة من علماء

٣٠٣ تلقي النبي، مرجع سابق، ص. ١٥٠.

٣٠٤ فضائل القرآن - ابن كثير

٣٠٥ تصحيح التصحيف وتحريير التحريف للصفدي، ص. ٨، تحقيق: السيد الشرقاوي، ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

المسلمين، تارك لما أمر به رسول الله ﷺ قراء القرآن من تلاوته بما عُلِّمَهُ وأُقرئ به، وذلك لا يوجد إلا عندما يكون متواتراً ويرويه متصلاً فلا يُقَدَّ القراءة من تلك صفته ولا يحتج بأخذه^{٣٠٦} انتهى

عدم الحاجة إلى الكتب والمصاحف إلا للتعليم والمدارس

عدم الحاجة إلى الكتب والمصاحف إلا للتعليم والمدارس لأنه سماع وتلقين فلا يحكُّمه الكتابة والرسم (هذا إذا كان متواتراً)، فدل على عدم الحاجة إلى المكتوب أو المصاحف إلا للتعليم والمدارس في المساجد والكتاتيب أو التدوين الفوري لحظة الوحي.

ولا يمكن أن يستقل القارئ بمجرد المكتوب، لأن النطق قد يختلف عن الطريقة التي رُسِمَت بها الكلمة في المصحف، وقد ذكرنا أن هناك من صفات الحروف ومن أحكام التجويد مثل: "الرّوم والإشمام، والإختلاس والتسهيل..." ونحو هذه الأشياء من أحكام التجويد، التي لا يمكن النطق بها وضبط القراءة بها بمجرد قراءة تعريفها من الكتب، بل لا بد فيها من السماع، كذلك فإن الرسم قد يُنطق على أوجه كثيرة، ولأن رسم المصحف يختلف عن غيره كما هو معلوم، فلا تصح القراءة إلا بالكيفية التي قرأ بها القراء الأولون:

مثلاً كلمة (الصلوة) المكتوبة في المصحف، وكذلك (الزكوة)، و(مشكوة) و(الحيوة) و(الربوا) و(النجوة) و(منوة) و(جزاؤا) وغيرها مثل: (كهيعص) و (حم عسق) و كثير، لا يمكن أن تقرأ كما هو مكتوب، لأن القراءة سنة متبعة.

وقال الأصمعي رحمته الله: "قلت لأبي عمرو بن العلاء: (وبركنا عليه) في موضع (وتركنا عليه) في موضع، أيعرف هذا؟ قال: ما يعرف، إلا أن يسمع من المشايخ الأولين"^{٣٠٧} انتهى

فالقراءة تمنع من الغلط واللحن، وهذه الرواية تُبَيِّن كيف أنه لو تُرك الأمر لحفظ القرآن من رسم المصحف لوقع الخط واللحن والتحريف: وسئل يونس بن حبيب رحمته الله عن قوله: "أُقِنَّتْ" قال: "سمعت سيدنا وسيد العلماء يقرأها: (وُقِنَّتْ) -يقصد أبا عمرو البصري-"^{٣٠٨} انتهى

٣٠٦ شرح قصيدة ابي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، للإمام الحافظ أبي عمرو الداني، ٢/ ٥٧-٥٨، دراسة وتحقيق غازي بن بنيدر العمري، مجموعة دار الشعار.

٣٠٧ أخرجه ابن مجاهد في "السبعة" ص (٤٨)، والداني في "جامع البيان" (١٠٨/١).

٣٠٨ انظر: "الكامل" للذهبي ص. (66)

وقد قرأ الخليفة المأمون عليه السلام على معلمه: "ليهب لك" "بالياء"، من قول الله ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، وهي قراءة صحيحة، وبذلك قرأ نافع عليه السلام وأبو عمرو بن العلاء عليه السلام، فقال له معلّمه يحيى بن أكثم عليه السلام:

"لا أحب لك يا أمير المؤمنين أن تقرأ بهذه الآية، -أي بهذه القراءة- فقال له المأمون: ولم؟ قال: تخالف المصحف، فالتفت المأمون إلى إبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي فقال: ما تقول يا إبراهيم؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه قراءة قرأ بها غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ، أولهم أبوك عبد الله بن عباس، قال إبراهيم: فالتفت إليّ أخي محمد بن يحيى -وكان ثقیل السمع-، فقال لي: ما أنتم فيه يا إبراهيم؟ فقلت: قرأ أمير المؤمنين "ليهب لك"، وأنكر عليه يحيى بن أكثم لمخالفته المصحف، فقال محمد للمأمون: ما ليحيى وهذا؟ حرف قرأ به من أصحاب رسول الله ﷺ جماعة، ومن التابعين، أو كل ما في المصحف يقرأ به؟ قال: فسكت يحيى ولم يتكلم" ^{٣٠٩} انتهى

وفي هذا المثال الأخير نرى كيف أن شرط موافقة القراءة لرسم المصحف لا يعني أن يكون المصحف حاكماً على القراءة الثابتة المتواترة لو كان بينهما خلاف، فهذا الرسم الذي ارتضاه صحابة رسول الله ﷺ في رسم المصحف العثماني لم يمنع نقل القراءة الصحيحة المتواترة التي لم تُرسم فيه، ومخالفة يسيرة كهذه رأيت كيف يحاولون المواءمة بينها وبين المرسوم، فذلك هذا على كيفية الجمع بين مقتضيات القراءة والأداء لما تواتر من الحروف، وبين مقتضى احترام مبدأ الرسم وما درج عليه السلف، دون مجاوزة أو إلغاء.

"لأنه كان من منهج الصحابة { إذا كان في الكلمة قراءات محفوظة عن النبي ﷺ أن يكتبوها برسم يحتمل هذه القراءات، فإن لم يمكن كتبوا بعض النسخ على قراءة وبعضها على قراءة" ^{٣١٠} انتهى

ولذا وُضع شرط صحة القراءة موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً، فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجمالاً؛ نحو "السموات والصلحات، والليل، والصلوة، والزكوة، والربوا"، وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقها بعضها تقديراً نحو: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ" فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً وقراءة الألف محتملة تقديراً.

ومن الأدلة التي سُنَّها يتبين:

٣٠٩ نقله الونشريسي في المعيار المعرب ٨٩/١٢.
٣١٠ انظر المقتنع ٨٠٩، الإتيان ٦٠/١

١. رسم المصحف اصطليح عليه ليكون معيّنًا للقراءة، وأنه ليس حاكما على القراءة المتواترة، وإن كان حاكما على القراءة الصحيحة؛
٢. لولا التلقي الشفاهي والتلقين لكان الرسم سببًا للإختلاف؛
٣. من اعتمد على المصحف بدون التلقين لن يسلم من اللحن والتحريف ويُجرّم العلماء صنيغته.

سماع وتلقين: لا يحكمه قياس العربية

- قال الكسائي رحمته الله: "لو قرأت على قياس العربية لقرأت (كبره) برفع الكاف، لأنه أراد عظمه، ولكني قرأت على الأثر" ^{٣١١} انتهى
- وقال القعني رحمته الله: "قيل لمالك بن أنس: كيف قرأتم في سورة سليمان ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهَيْدَةَ﴾ مرسله الياء، وقرأتم في سورة يس ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ﴾ منتصبه الياء؟ قال: فذكر مالك كلاماً، ثم قال: لا تدخل على كلام ربنا لم وكيف، وإنما هو سماع وتلقين، أصاغر عن أكابر، والسلام" ^{٣١٢} انتهى
- وعن شبل بن عباد رحمته الله، قال: "كان ابن محيصن وابن كثير يقرءان ﴿وَأَنِ احْكُم﴾، و﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾، ﴿أَنِ اشْكُر﴾، ﴿وَقَالَتِ أَخْرَج﴾، ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم﴾، ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾ ونحوه، فقال شبل بن عباد: فقلت لهما: إن العرب لا تفعل هذا ولا أصحاب النحو، فقال: إن النحو لا يدخل في هذا، هكذا سمعت أئمتنا ومن مضى من السلف" ^{٣١٣} انتهى
- وعن حمزة رحمته الله قال: "قلت للأعمش: إن أصحاب العربية قد خالفوك في حرفين، قال يا زيات: إن الأعمش قرأ على يحيى بن وثاب، ويحيى بن وثاب قرأ على علقمة، وعلقمة قرأ على عبد الله، وعبد الله قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: عندهم إسناد مثل هذا، ثم قال: غلب الزياتون غلب الزياتون" ^{٣١٤}. وقال الأصمعي، قال: سمعت نافعاً يقرأ (يقص الحق)، فقلت لنافع: إن أبا عمرو يقرأ (يقض)، وقال: القضاء مع الفصل، فقال: وي يا أهل العراق! تقيسون في القرآن" ^{٣١٥} انتهى

حفظ الله لكتابه حفظ عملي واقعي يُمكن اثباته بالبراهين

حفظ الله صلى الله عليه وسلم لكتابه حفظ عملي واقعي يُمكن اثباته بالبراهين: فإذا جمعنا معاً الثلاثة عشر خصيصة للتلقين النبوي، مع المصدرية الإلهية في النقطة السابقة، وإذا اضيف إليها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه

٣١١ انظر: "جامع البيان" للداني (٨٥/١).
 ٣١٢ انظر: "جامع البيان" للداني (٨٤/١).
 ٣١٣ أخرجه الداني في "جامع البيان" (٨٢/١). وانظر: "الكامل" للهذلي ص(52)
 ٣١٤ أخرجه الداني في "جامع البيان" (٨٢/١).
 ٣١٥ انظر: "جامع البيان" للداني (٨٣/١)

كما قرأه، وأن الصحابة حفظوه وكتبوه كما أقرأهم الرسول ﷺ وأن حلقات الحفظ هذه قد توالفت من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ من أهل السماء إلى أهل الأرض ثم إلى صحابة رسوله ﷺ، ثم إلى أمته باختلاف زمانها ومكانها وإلى يومنا هذا.

فحُفِظَ كتابةً بالقلم وأداءً بالصوت الذي حُفِظت حروفه في أدق صفاتها ومخارجها، كما حُفِظت أماكن الوقف والإبتداء، والسكتات الواجبة والجائزة فإنه يتبين أن حفظ الله ﷻ لألفاظ القرآن في هذه الأمة تم بالأدوات الواقعية الإنسانية التي تتسم بأعلى قواعد الحفظ، وأدق مقاييس الضبط، مما لم يحدث قط لأي كتاب في التاريخ.

التأكيد على أمية النبي ﷺ

التأكيد على أميته، وعدم معرفته القراءة والكتابة، يقول ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، فكان عمدته التلقي والتلاوة والإقراء، ثم يدون الكتابة الوحي.

سنة إجازة التلاوة والعرض

وذلك بقول النبي ﷺ: (كذلك أنزلت) وقول النبي ﷺ: (خذوا القرآن من أربعة)، وقول النبي ﷺ: (أحسنتم).

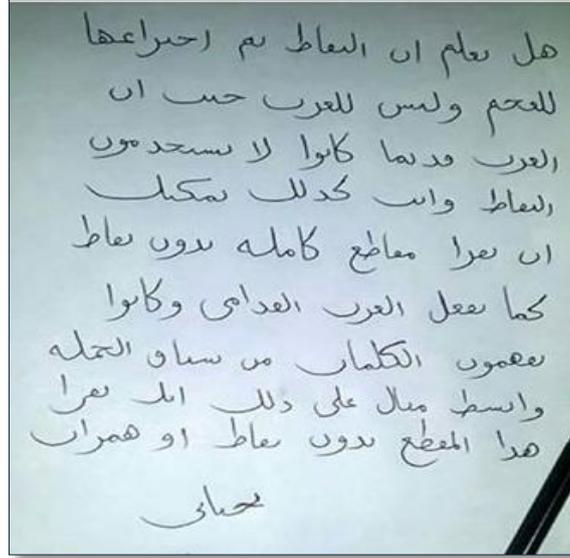
وجوب نقل القرآن من الصحابة إلى الأمة نقلًا شفاهيًا وتجريم نقل المصاحف

يكثُر على وسائل التواصل وجود صورة مكتوبة لجملة بدون تنقيط يسهُل على أيِّ أحدٍ قراءتها، ويُستدلُّ بهذا على أن المكتوب بدون تنقيط يسهُل قراءته، وأن النقط والإعجام وُضِعَ لغير العرب، وأنهم كانوا يعرفون الكلام من السياق، وهذا المثال وإن كان صحيحاً في إطار القراءة المجردة، وكدليل على سهولة القراءة بدون نقط في زمانهم، إلا أنه كذلك من الغلط الموهم في عقول العامة بأن الأخذ والتلقي كان من المكتوب بغير نقط في القرون الهجرية الأولى لسهولة القراءة.

ومن يستخدم هذا المثال استدلالاً على سلامة النص القرآني برغم غياب النقط، وكأنه -دون أن يشعر- يمرر شبهة المستشرقين بهذا المثل الموهم، والصواب الذي يجب تقريره، أن القرآن الكريم لم يعتمد في أخذه وتلقيه على المصاحف سواءً كانت بنقط أو بدون نقط، هذا لم يصح في تاريخ أمة الإسلام وإلى اليوم أن يأخذ القارئ الحافظ القرآن من المصاحف، نعم قد يلجأ العامة إلى المصاحف ويقرأون منها القرآن، ولكنهم إن لم يسمعه - ومع كامل احتياطهم- فسيقعون في التصحيف والتحريف لا محالة.

● التصحيف: اختلاف النفاط أو الشكل مع بقاء الرسم؛

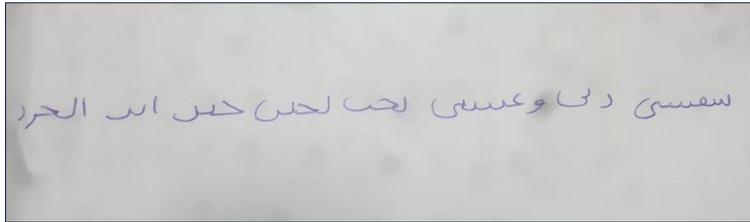
• التحريف: اختلاف الإعراب والحركات أو تغيير الرسم.



صورة (١) مثال لإحدى الصور التي يتم تناقلها

فائدة: فيما يخص كتاب الله ﷻ، لم تكن معرفة القراءة (بغير نقط) أو (سهولة قراءته) دون سماع، جزأً من الغلط والتصحيح حتى للعرب الأقحاح، ولا يُسَعَفُ الحصيف سياق الآية أو الجملة دون سماع، فالأخذ من المصاحف دون سماع مجرّم سلفاً وخلفاً كما بيّنا.

بيان قصور هذا المثال المنتشر عبر الأنترنت في هذه الصورة لأسباب: زعم أن النقط وُضِعَ للعجم، وهذا غير صحيح، بل إن النقط والإعجام وُضِعَ للعرب وغير العرب، بل وكان النقط موجوداً قبل الإسلام كما سيأتي بيانه في حينه، وإليك هذا المثال:



صورة (٢) بيت شعري يحتوي جناس التصحيف

هذا بيت واحد من الشعر، وضعه الشاعر ليكون فيه ما يُسمى بلاغياً جناس التصحيف: وجناس التصحيف أي أن يقرأه كل واحد من الصحيفة فيقرأه بتغيير النقط مع بقاء رسمه كما هو، بلفظ ومعنى مختلف، وحاول أن تقرأه من الصورة أولاً قبل أن تطلع على كلماته.

• البيت الشعري هو:

سَقَيْتَنِي رِيًّا وَعَنْتَنِي يًّا ... بَحْتُ بِحَيِّي حِينَ بِنَّ الْخُرْدُ

ويُمكن أن يُصحف بأكثر من وجه، ولكن صحف بنحو:

شَقَيْتَنِي رِيًّا وَعَنْتَنِي يًّا ... بَحْبُ بِحَيِّي حَيْنَ ابْنِ الْجُرْدُ

ولو اجتمع الشعراء عليه، بدون سماع، لقرأه كل واحد منهم بطريقة تختلف عن الآخر سواءً في تغيير حرف أو تغيير نقاط أو تغيير شكل من حركات الإعراب: فتكون المحصلة مئات المعاني لنفس البيت وهذا هو:

• التصحيف: تغيير نقاطه أو حروفه مع تشابه الرسم؛

• التحريف: تغيير حركات إعرابه من فتح وضم أو قلب لفظه وتغيير رسمه.

وهذا ظاهر في كل كُتُب العلوم، ونتاج القراءة من الكُتُب بدون سماع، وهكذا كان ليكون الحال لو أن الأمة اعتمدت في قراءة كتاب ربها ﷺ على الأخذ من المصاحف، دون التلقي والإقراء والأخذ من صدور الرجال.

ويجب تأصيل الأصول ونشرها بين المسلمين من باب أولى وسنزيد توضيحاً: فنقول:

١. أن القرآن الكريم لم يُتلقى من المصاحف في القرون الهجرية الأولى، ولا في عصرنا الحاضر، بل يجب أن يُسمع ويُقرأ على القراء الحافظين؛

بل وقد جرّم علماء الأمة الأخذ من الصحيفة والصحف والمصاحف دون القراءة أولاً على شيخ: "لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي"، وكان هذا متبعاً في كل علوم الأمة الإسلامية من قرآن وحديث وفقه ولغة وغيرها.

٢. ما من أحدٍ من أساطين اللغة العربية مثل الأصمعي وابن العلاء وسيبويه والخليل، وواضعي نحوها إلا وقد وقع في التصحيف حين حاول القراءة من الكُتُب بغير سماع: وهذا مُدون عنهم، فغير صحيح أن النقط وُضع للعجم وليس العرب، بل وُضع للجميع تيسيراً للقراءة وجزراً من التصحيف واللحن:

هذه الجملة وبهذا الخط "النسخ" مقروءة، لكن لم يكن هذا هو الحال في القرون الهجرية الأولى في صدر الإسلام مع الخط الحجازي أو الكوفي، فقد كان يحدث التصحيف بين الحاء والحاء والعين والغين في أول الكلمة، وبين حرفي الميم والعين إن جاءتا في وسط الكلمة، أو الياء والنون في آخر الكلمة، أو بين الحروف الخمسة ذات

٥. وكان هذا التصحيف حتى في أشعار ودواوين العرب: فقد كان من البلاغة العربية أن يُكتب البيت ويحتمل رسمُ كلماتِه معانٍ مختلفةٍ ومتخالفة، إذا ما قرأه كل إنسانٍ بما جال في ذهنِه ولم يسمعه من قبل، وقد تراشق الأصمعي وابن الأعرابي الإتهامات فيما بينهما، هذا يتهمه بالتصحيف في شعر وهو يتهمه بمثل هذا الاتهام، وكلاهما يقرأ البيت بلغة عربية صحيحة، ولكن بمعنى مختلف، فالبيت هو قول الحطّيبَة:

● وهذه قراءة ابن الاعرابي لها:

كفرا سَنَتَيْنِ بالأضْياف نَقَعاً على تلك الجفان من التقى

● وأما قراءة الأصمعي:

كُفُوا سَنَتَيْنِ بالأضْياف بُقَعاً على تلك الجفار من النفي

فهؤلاء هم فحول العربية، وحدث بينهم قلب خمس كلمات في بيت واحد!! فماذا لو تُرك كتاب الله ﷺ والعياذ بالله عُرضةً للنقل من المكتوب دون حفظ في الصدور!!؟

فالحمد لله ﷺ الذي جعل الحُجّة في نقل كتابه على المنقول المحفوظ في الصدور والتلقي والسماع، الحمد لله ﷺ على نعمة الحفظ والتلقي والإقراء.

تجريم التلقي من المصاحف بدون شيخ، حرّاً من التصحيف والتحريف واللحن

يقول الإمام العلامة ابن الجزري ﷺ في (النشر): "وَعَتُّ الأُمَّةِ منذ النبي وصحابته وإلى يومنا هذا أنّ المُعَوَّلَ عليه هو المنطوق والمحفوظ في الصدر، وليس المكتوب المحفوظ في الكُتُب، لينتقل القرآن من صدر الحافظ المُتَقِنِ لمن يخلُفه من الحفظة المُتَقِنِينَ"^{٣١٦}:

إن الإعتقاد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله ﷺ لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن ربي قال لي قم من قريش فانذرهم فقلت له رب إذا يتلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة فقال: إني مبتليكَ ومبتلٍ بك ومُنزَلٌ عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان فابعث جنداً أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك من عساك وأنفق ينفق عليك)^{٣١٧}

^{٣١٦} النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٦/١.
^{٣١٧} صحيح مُسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار، ١٧٤/٤.

فمن شيخ الصحيفة وليس له عمدة من حفظ أو تلقي لما يقرأه من الصُحُف فحثماً سيقع في التصحيف والتحريف: فلم يوجد على وجه الأرض من قد يعتمد على الصحيفة والأوراق بلا جِفظٍ أو تلقي شفاهيٍّ إلا وسيقع حثماً في التصحيف والتحريف، ويُسيء نقل كلمةٍ أو قراءتها، ولو كان إماماً في فنيهِ، وكثيرون من أئمة اللغة كالخليل بن أحمد رحمته الله، وأبو عمرو بن العلاء رحمته الله وعيسى بن عمر رحمته الله، وأبو عبيدة مَعمر بن المُنثي رحمته الله وأبو الحسن الأُخفش رحمته الله وأبي عثمان الجاحظ رحمته الله قد اعتمدوا على بعض المكتوب في كُتُب اللغة، فوقعوا في التصحيف والتحريف المُخل، وهم من هم في العربيّة وعلومها، وقد سبق ذكر قول صلاح الدين الصفدي في كتابه (تصحيف التصحيف وتحرير التحريف): الكُتُب المُقدّسة السابقة لم تعتمد إلا على المكتوب والمخطوط دون الجِفظ فلم يُمنع قداستها عندهم وقوع التحريف، وقد عرفنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وأدرك الصحابة أن التصحيف في أخذ العلم من المكتوب وارد فجرموه!

تجريم أخذ وتلقي القرآن، بل وعلوم الأمة من الصحف والمصاحف

حديثنا لا ينصرف على القراءة المجردة للقرآن، فنحن مأمورون بقراءة القرآن من المصاحف ومن الصدور ولو تعتقاً، وإنما الحديث عن الأخذ والتلقي، أي حفظه وإتقانه وتعليمه ونقله من عصر إلى عصر، فهذا الواجب فيه النقل من الصدور وليس السطور، وأدائه كما أنزل: "فالإكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقوف أو معلم أمراً لا يجيزه المسلمون ولو كان المصحف مضبوطاً، بل إنهم يعدون هذا الإكتفاء منافياً للدين لأنه ترك للواجب وارتكاب للمحرم" انتهى^{٣١٨}، وهم يذهبون إلى هذا بناءً على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

بل إن العلماء جرّموا أن يتلقى الإنسان العِلْم من المكتوب في الصُحُف وإنما يتوجّب الأخذ بالتلقي من لسان الحافظ المُتّفن، فقالوا: "من أعظم البلية تشيخ الصحيفة"^{٣١٩} انتهى

ونهى الأئمة والتابعون عن أخذ القرآن الكريم من المُصحّفين، والمُصحفي هو الذي يعلم الناس وينظر إلى رسم المصحف، ومنشأ التسمية بالمصحّف أن قوما كانوا قد أخذوا العلم عن الصحف والكتب والمصاحف، ولم يأخذوه من أفواه العلماء، وكانت الكتابة العربية تكتب عهداً طويلاً من غير إجماع للحروف ولا تشكيل كما هي اليوم، ولا عناية بالترفة بين المشتبه منها، لهذا وقع هؤلاء في الخطأ عند القراءة، فكان علماء الأمة يسمونهم الصحفيين أي الذين يقرؤون في الصحف، ثم شاع هذا الإستعمال حتى اشتقوا منه فعلاً فقالوا صحّف أي قرأ الصحف، ثم كثر ذلك على ألسنتهم، فقالوا لمن أخطأ قد صحّف، أي فعل مثل ما يفعل قراء الصحف^{٣٢٠}

٣١٨ على الضباع بحث في التجريد بمجلة كنوز الفرقان عدد مايو ١٩٥٠ ص ١٣
٣١٩ تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة ص ٨٧
٣٢٠ توضيح الأفكار ١٩/٢ - ٤٢٠

- عن سليمان بن موسى رضي الله عنه أنه قال: "كان يقال لا تقرؤوا القرآن على المُصْحَفِيِّين ولا تحملوا العلم عن الصُّحُفِيِّين" ^{٣٢١} انتهى
- كان سعيد بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: "لا تأخذوا العلم عن صُحُفي ولا القرآن من مُصْحَفي" ^{٣٢٢} انتهى
- قال ابن وهب رضي الله عنه: "وحدثني مالك ، قال: أدركت بهذا البلد رجالا يبني المائة ونحوها يحدثون الأحاديث، لا يؤخذ منهم ، ليسوا بأئمة، فقلت لمالك: وغيرهم دونهم في السن يؤخذ ذلك منهم؟ قال: نعم" انتهى، ويجب أن يكون حفظه مأخوذاً عن العلماء لا عن الصحف
- قال أحمد بن إسحاق النهاوندي رضي الله عنه، قال: "أنشدنا الحسن بن عبد الرحمن لبعضهم يذكر قوما لا رواية لهم ومن بطون كراريس روايتهم لو ناظروا باقلا يوما لما غلبوا والعلم إن فاته إسناد مسنده كالبيت ليس له سقف ولا طناب، والتصحيف والإحالة يسبقان إلى من أخذ العلم عن الصحف" انتهى
- قال ابن عائشة رضي الله عنه: "جاءني أبو الحسن المدائني فتحدث بحديث خالد بن الوليد رضي الله عنه حين أراد أن يغير على طرف من أطراف الشام، وقول الشاعر في دلالة رافع: 'لله در رافع أنى اهتدى، فوز من قراقر إلى سوى، خمسا إذا ما سارها الجبس بكى، فقال: الجيش، فقلت: لو كان الجيش لكان بكوا، وعلمت أن علمه من الصحف" انتهى
- قال سليمان بن موسى رضي الله عنه (ت. ١١٥ هـ): "تأخذوا الحديث عن الصُّحُفِيِّين، ولا تقرؤوا القرآن على المُصْحَفِيِّين" ^{٣٢٣} انتهى، وقال: "لا تأخذ العلم من مصحفي ولا العلم من صحفي" ^{٣٢٤} انتهى
- قال الشافعي رضي الله عنه: "من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام" ^{٣٢٥} انتهى
- يقول الوليد بن مسلم (ت. ١٩٥ هـ): "لا تأخذوا العلم من الصُّحُفِيِّين ولا تقرؤوا القرآن على المُصْحَفِيِّين؛ إلا مِمَّن سمعه من الرجال وقرأ على الرجال" ^{٣٢٦} انتهى
- نقل ابن جماعة رضي الله عنه قوله: "من أعظم البلية تشيخ الصحيفة. أي الذين تعلموا من الصحف" ^{٣٢٧} انتهى
- قال ثور بن يزيد رضي الله عنه: "لا يفتي الناس صحفي ولا يقرئهم مصحفي" انتهى
- جاء في (مسند الدارمي) عن الأوزاعي رضي الله عنه أنه قال: "ما زال هذا العلم في الرجال حتى وقع في الصحف فوق عند غير أهله" انتهى

٣٢١ الحد الفاصل ١ / ٢١١

٣٢٢ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣١/٢ ، التمهيد ٤٦/١ ، وفتح المغيث ٢٣٢/٢

٣٢٣ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣١/٢) ، و المحدث الفاصل للرامهزمي ٢١١

٣٢٤ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير: العسكري ص: ١٠. والفقهاء والمتفقه ج ٢، ص ٩٧.

٣٢٥ تذكرة السامع والمتكلم ص. ٤٠

٣٢٦ تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩٢/٦٣) ، وتهذيب الكمال للمزي (٩٨/٣١).

٣٢٧ تذكرة السامع والمتكلم ص. ٤٠

- ويقول **الصنعاني** رحمته الله: "ويقال: لا تأخذ القرآن من مُصْحَفِي ولا العلم من صُحْفِي" ^{٣٢٨} انتهى
- ويقول **السخاوي** رحمته الله: "والأخذ للأسماء والألفاظ من أفواههم - أي العلماء بذلك، الضابطين له ممن أخذه أيضاً عن تقدم من شيوخه وهلم جراً- لا من بطون الكتب والصُحف من غير تدريب المشايخ: أدفع للتصحيح، وأسلم من التبديل والتحريف" ^{٣٢٩} انتهى

ويقولون في أدب طالب العلم مع العلماء: "من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه"

وتلك قاعدة متبعة لطالب القرآن أن: "يتلقاه من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين وألا يعتد أبداً بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلم لما قد يقع في ذلك من تصحيف يتغير به وجه الكلام" ^{٣٣٠} انتهى

"ولم يكن غريباً أن يكون الإكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقف أو معلم أمراً لا يجيزه المسلمون ولو كان المصحف مضبوطاً، بل إنهم يعدون هذا الإكتفاء منافياً للدين لأنه ترك للواجب وارتكاب للمحرم" ^{٣٣١} انتهى

وذكر د. **الطحان** في (تيسير مصطلح الحديث): "فعلى المشتغل بالحديث أن يتلقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أفواه أهل المعرفة والتحقيق حتى يسلم من التصحيف والخطأ، ولا يليق بطالب الحديث أن يعتمد إلى الكتب والصحف فيأخذ منها ويروي عنها ويجعلها شيوخه، فانه تكثر أخطاؤه وتصحيفاته" ^{٣٣٢} انتهى

وفي هذا المعنى نَظَمَ **الحافظ محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الشُّمْنِي** رحمته الله (ت ٨٢١ هـ) بيتين لطيفين، أوردهما **الحافظ السخاوي** رحمته الله في (ترجمته) ^{٣٣٣}، وهما:

مَنْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافِهَةٍ ... يَكُنْ مِنَ الرَّيْفِ وَالتَّصْحِيفِ فِي حَرَمِ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذًا لِلْعِلْمِ مِنْ صُحْفٍ ... فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ

النتيجة التي ترتبت على ذلك

١. صار المعول عليه في تعلم القرآن الكريم إنما هو الحفظ والإستظهار والتلقي والأخذ من صدور الرجال ثقة عن ثقة وإماما عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛

٢. لم تكن المصاحف ولن تكون هي العمدة في نقل القرآن؛

٣٢٨ توضيح الأفكار (٢/٣٩٤)

٣٢٩ فتح المغيب: (2/262)

٣٣٠ تقويم أساليب تعلم القرآن لمحمد بن سبتان

٣٣١ الشيخ علي الضباع بحث في التجويد بمجلة كنوز الفرقان عدد مايو ١٩٥٠ ص ١٣

٣٣٢ تيسير مصطلح الحديث - الطحان

٣٣٣ "الضوء اللامع" (٧٥/٩)

٣. أصبَحَ التلقي هو الحاكم على الرسم وعلى الغموض في الرسم كائنا ما كان.

بل ظهر الرسم كنتاجٍ للتلقي والحفظ وها هو أبي عمرو الداني في مقدمة كتابه "نقط المصاحف" يقول: " هذا كتاب علم نقط المصاحف وكيفيته على صيغ التلاوة ومذاهب القراءة"^{٣٣٤} فنعلم من ذلك أن النقط والكتابة صيغت لئتناسب مع القراءة والتلاوة وليس العكس.

فائدة: "أخبر ﷺ أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في نعت أمته "أناجيلهم في صدورهم" وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه لا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب"^{٣٣٥} انتهى

شهادة التلقي

مع كل هذه الأهمية المذكورة أعلاه، فكيف نُثبت التلقي إثباتاً عملياً ونحول المعنوي إلى شيء مادي يُحكم به على التلقي؟

هذا يكون بالإجازة، ولاحظ أن ما يُسمّى بالسند المُتَّصِل عند أهل الحديث فإنه عند أهل القرآن يُسمّى بالإجازة، فإذا قالوا فلان مُجاز فإن هذا يعني أنه لديه سندٌ صحيحٌ للنبي ﷺ بأنه تلقى القرآن شفاهة، وقرأ ويؤدي القرآن كما قرأه النبي ﷺ، ويُقَل عنه بالسند، وأن شيخه أجازَه بأن يُقرئ غيره.

ونعرض في الصفحة التالية كمثال إجازة الشيخ مشاري العفاسي، والتي تشهدُ بأنه قرأ القرآن الكريم غيباً عن ظهر قلبٍ ترتيلاً وتجويداً بروايةٍ حُفصٍ عن عاصمٍ رضي الله عنه من طريق الشاطبية على الشيخ أحمد عبدالعزيز الزيات والذي يذكر كامل اسناده وأخذه لها غيباً وإسناد تلقيه وعرضه، اسماً، اسماً، بمن أقرأه وحفظ عنهم وعرض عليهم، وصولاً إلى أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه عن الصحابة الخمسة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ وهذه الإجازة منذ نزول القرآن الكريم وحتى يومنا هذا في القرن الواحد والعشرين وإلى أن يرث الله رضي الله عنه الأرض ومن عليها، فلا يحل لأحدٍ أن يأخذ القرآن من الصُحُفِ والمصاحفِ بل إجازةً بالتلقي والعرض.

٣٣٤ المحكم في نقط المصاحف ١/١
٣٣٥ مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/٤٠٠، ٤٢١/٤، النشر ٦/١.

المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ^{٣٣٦}

تم اعتماد هذه المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ من قبل أعضاء المجلس العالمي لشيوخ الإقراء في اجتماع المجلس الثاني الذي عُقد في مكة المكرمة (٢/ رجب/ ١٤٣٩ هـ) الموافق (١٩/ مارس/ ٢٠١٨ م) برئاسة معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى رئيس المجلس والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الإجازة القرآنية

تعريف الإجازة القرآنية

الإجازة القرآنية هي عملية النقل الصوتي للقرآن الكريم من جيل إلى جيل، وفيها يشهدُ المُجيزُ أنَّ تلاوة المُجازِ قد صارت صحيحةً مائة بالمائة بالنسبة للرواية -أو الروايات- التي أجازَهُ بها، ثم يَأْذُنُ له أَنْ يَقْرَأَ وَيُقْرَأَ بِغَيْرِهِ القرآن الكريم.

مشروعية الإجازة القرآنية

مشروعية الإجازة: الأصلُ فيها: قولُ الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، ومادة (تَلَقَّى) مشتقةٌ من (اللُّقْيَا)، فيها لقاءٌ بينَ اثنين: هُما المُتَلَقِّي والمُتَلَقَّى منه، فقد تَلَقَّى جبريلُ ﷺ من الله ﷻ، وتَلَقَّى نبيُّنا محمدٌ ﷺ من جبريل ﷺ، وتَلَقَّى الصحابةُ ﷺ من رسولِ الله ﷻ.

وقد أخرج البخاريُّ في (صحيحه) عن مسروقٍ ﷺ قال: "ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: ذَلِكَ رَجُلٌ لَا أَرَأَى أَنْ يَجِبَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، -فَبَدَأَ بِهِ- وَسَلِّمَ، وَمَعَاذِ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ)"^{٣٣٧}

يَدُلُّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أُمُورٍ، مِنْهَا:

٤. قراءةُ القرآنِ تُوخَذُ بِالتَّلَقِّي مِنْ أَفْوَاهِ الْمُقْرئينِ الْمُتَقِنِينَ، وَهَذَا مَعْنَى الْإِجَازَةِ الَّذِي تَقَدَّمَ؛
٥. مشروعيةُ تحرِّي الضابطِينِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ لِأَخْذِ عَنْهُمْ وَالتَّلَقِّي مِنْهُمْ؛ فَالْقُرْآنُ لَا يُؤْخَذُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ؛

^{٣٣٦} المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله ﷻ -

<https://www.aleqraa.com/consulting/19>

^{٣٣٧} الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٣٨٠٨ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البخاري (٣٨٠٨)، ومسلم (٢٤٦٤)

٦. محبةُ القُرَّاءِ الحافظين المُتقين على وجهِ الخُصوص؛ لأنَّ صُدورَهم أو عِيَّةَ لكتابِ اللهِ ﷻ وهُم في إتقانه وقرائه والأمانة في تعليمه كالملائكةِ السَّفرة، الكرامِ البَرَّة.

أهمية الإجازة القرآنية

"وتبرُّرُ أهميةِ الإجازةِ بأنه لا يَصِحُّ لأحدٍ أن يُقرئَ القرآنَ الكريمَ، حتى يأخذَه أخذًا كاملاً من أفواه المشايخ العارفين المُتقين، ويُؤدَّنَ له بالإقراء، فإن لم يُؤدَّنْ له بالإقراء فلا ينبغي أن يُقرئَ القرآنَ حتى لو قرأ القرآنَ مراتٍ عديدة، فإنَّ السماعَ والعرضَ لا يَكفيانِ في صحَّةِ أداءِ القرآنَ بعدَ زمانِ شُيوعِ اللُّحن، بل لا بُدَّ معهما من إجازةٍ وإذنٍ بالقراءةِ والإقراء، وذلك لأنَّ الطالبَ قد يقرأ القرآنَ كلَّه على شيخه مرارًا ولا يُتقِنُ الأداءَ فلا يُجيزُه الشيخ، ومِن ذلك ما ذكره الإمامُ ابنُ الجزريِّ ﷺ عن الإمامِ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمِ الهاشميِّ (ت ٦٤٦ هـ) أنَّه قرأ عليه أبو جعفرِ بنُ الزبيرِ روايةَ ورشٍ عدَّةَ خَتَمات، قال: ولم يُجزني، وقرأ عليه بعضُ أنرابي وأجاز له.

من هنا كان بعضُ السلفِ رحمهم اللهُ يَطْلُبون من بعضِ تلاميذهم إعادةَ قراءةِ القرآنِ مرَّاتٍ عديدةٍ حتى يَسْتوتقوا من إتقانه: فمن ذلك أنَّ مجاهدَ بنَ جَبْرِ المَكِّيَّ قرأ على ابنِ عباسٍ ثلاثينَ ختمة، ومن ذلك أنَّ الإمامَ أبا جعفرِ عَرَضَ القرآنَ على مولاه عبدِ اللهِ بنِ عيَّاش، وعلى عبدِ اللهِ بنِ عباس، وعلى أبي هريرة ؓ، ومن ذلك أنَّ الإمامَ نافعَ بنَ أبي نُعيمٍ قال: قرأتُ على سبعينَ مِنَ التابعين، ومن ذلك أنَّ هشامَ بنَ عمارةِ السُّلميِّ أخذَ القراءةَ عَرَضًا عن أيُّوبَ بنِ تميمٍ وعراكِ بنِ خالد، والوليدِ بنِ مسلم، وصدقةَ بنِ خالد، وغيرهم، وأكثرُ ما بلغنا في ذلك عن الإمامِ يوسفَ بنِ عليِّ بنِ جُبارةِ أبي القاسمِ الهذليِّ مؤلفِ كتابِ (الكاملِ في القراءات)، قال فيه عن نَفْسِه: فُجِلمُه من لقيتُ في هذا العلمِ ثلاثمائةَ وخمسةَ وستونَ شيخًا من آخرِ المَغربِ إلى بابِ فَرغانةِ يمينًا وشمالًا وجبالًا وبحرًا، ولو علمتُ أحدًا تقدَّم عليَّ في هذه الطبقةِ في جميعِ بلادِ الإسلامِ لقصدتُه، وقد علَّقَ إمامنا الجزريُّ على هذا الكلامِ للهذليِّ بقوله:

قلتُ: كذا ترى همَّ الساداتِ في الطلِّبِ ولا يوجدُ واحدٌ منهم البتَّةَ أقرأ الناسَ واعتمدَ عليه في الإقراءِ إلا وقد عَرَضَ القرآنَ كلَّه من أوَّلِه إلى آخره على أحدِ الشيوخِ المعتبرين، وشهد له علماءُ القراءةِ والأداءِ بالحفظِ والإتقان، وهذا من حفظِ اللهِ تعالى لكتابه، فإنَّه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورةِ الحجر: ٩. وهذا الحفظُ من اللهِ ﷻ حفظٌ مطلقٌ؛ حَفِظَه في آياته وسوره، وفي رسمه ونظمه، وفي كيفيةِ تَلْقِيهِ وأدائه، وفي تفسيره ومعانيه، وكفى بالله حافظًا ومهيئًا لأسبابِ حَفِظِهِ، فإنَّ الأُمَّةَ لم تَعْتَنِ بشيءٍ كاعتنائها بالقرآنِ الكريمِ، من عهدِ النبيِّ ﷺ إلى زماننا هذا وإلى ما شاء اللهُ، فلا يمكنُ أن يخلو عَصْرٌ من العصورِ وجيلٌ من الأجيالِ من قائمِ اللهِ بالحجَّةِ في إقراءِ القرآنِ الكريمِ وتعليمه، لذا فإنَّه لا يجوزُ لأحدٍ بعدَ ذلك أن يُقدِّمَ على إقراءِ القرآنِ الكريمِ إلا

بعد تلقى كامل القرآن من أوله إلى آخره عرضاً على أحد المشايخ المتقنين المتلقين عن مثلهم إلى النبي ﷺ، وبعد إجازة منهم له بالإقراء^{٣٣٨}. انتهى

شروط وضوابط الإجازة القرآنية

شروط وضوابط الإجازة بالقرآن الكريم اليوم:^{٣٣٩}

٧. حفظ القرآن الكريم حفظاً كاملاً متقناً؛

٨. حفظ منظومة (المقدمة الجزرية) في التجويد، وفهم شرحها؛

٩. قراءة القرآن الكريم كاملاً على الشيخ المجيز حرفاً، حرفاً؛

١٠. تدريب المجيز للمجاز على الإقراء: لأن القراءة شيء، والإقراء شيء آخر، فكم ممن يحسن القراءة ولا يحسن الإقراء، فينبغي للمجيز أن يدرّب طالبه على الإقراء.

أركان الإجازة بالقرآن الكريم

١. مجيز: وهو الشيخ الذي يسمع القرآن كله من الطالب مع التجويد والضبط التام.

٢. مجاز له: وهو الطالب الذي يقرأ أمام الشيخ ويتلقى منه القرآن.

٣. مجاز به: وهو القرآن العظيم، الذي هو كلام الله تعالى، المنزل على رسول الله محمد ﷺ باللسان العربي، المعجز بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، وذلك بإحدى رواياته التلقائية أو أكثر.

٤. لفظ الإجازة؛

٥. الإسناد: وهم الرجال الذين نقلوا لنا القرآن العظيم مشافهةً، كل واحد منهم قرأ على شيخه، وشيخه على شيخه، وهكذا إلى رسول الله ﷺ، عن أمين الوحي جبريل ﷺ، عن رب العزة ﷻ.

٣٣٨ المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله -ﷺ

<https://www.aleqraa.com/consulting/19>

٣٣٩ المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله -ﷺ

<https://www.aleqraa.com/consulting/19>

فائدة: يُراعى أن يكتب الشيخ اسمه واسم الطالب كاملاً؛ بحيث يذكر كنيته إن وجد، واسمه واسم أبيه وجده أو أكثر-مع مراعاة الفصل بين الأسماء بـ (ابن)؛ وذلك لتمييز الأسماء المركبة-، ولقبه.

فائدة: إن كان ثمة ملاحظات على الطالب فإنه يذكرها؛ وذلك كأن يكون في المُجاز عيبٌ خلقِيٌّ في حرفٍ معيّن، أو نحو ذلك.

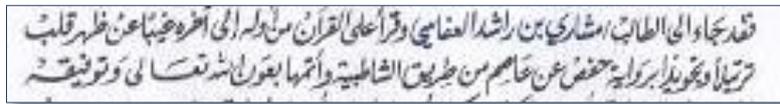
فائدة: من يقرأ القرآن أو يحفظه من المصحف أو الصوتيات فهذا لا يطلق عليه قارئاً، إنما القارئ من يتلقى القرآن مشافهةً بالإجازة بالتلقي والعرض.

مثال من الاجازة

١. المُجيز: "أحمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الزييات" انتهى



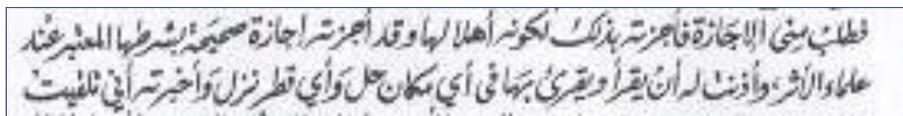
٢. المُجاز له: "مشاري بن راشد العفاسي" انتهى



٣. المُجاز به: "إقراء القرآن عن ظهر قلب ترتيلاً وتجويداً برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.. في أيّ مكان حلّ وأي قُطر نزل" انتهى



٤. لفظ الإجازة: "فطلب مني الإجازة فأجزته بذلك.. وقد أجزته إجازة صحيحة بشرطها المعتمد عند علماء الأثر، وأذنت له أن يقرأ ويقرئ بها في أي مكان حل وأي قطر نزل وأخبرته أي تالفت



٥. **الإسناد:** "وأخبرته أنني تلقيت رواية حفص من طريق الشاطبية والقراءات العشر من الأستاذ العالم خليل غنيم الجنايني وهو عن الشيخ أحمد الدري الشهير بالتهامي..... الخ..... وهو عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن حبيب السلمي الضرير وهو عن عبدالله بن مسعود وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم خمستهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" انتهى



وهكذا نجد أن ملايين الحُفَاطِ المتقنين، اليوم، لديهم هذه الإجازات، وهو الحال نفسه بالأمس وكُلِّ قرنٍ من القرون، وحتى زمان الصحابة لابد لهم من هذه الإجازة والإسناد، فالأمة تلقت القرآن بهذه الأسانيد المتواترة طوال هذه القرون التي مرت بطريق التلقي الشفاهي، ونظرا إلى أن النص القرآني منزل من عند الله ﷻ، فإنه لم يكن متاحًا للإستظهار إلا بتلقيه عن البشري الوحيد الذي أنزل عليه القرآن ليلبغه إلى سائر البشر وهو محمد ﷺ، ونظرة إلى قداسة النص الكريم وخطره العظيم، من حيث أنه سيكون محور التشريع لحياة البشر، فقد لزم أن يقترن في الحلقات الأولى لتلقيه بعرض يوثق سلامة ذلك التلقي.

لا يقبل في الإجازة إلا درجة مائة بالمائة

قال الإمام ابن الجزري ﷺ في كتابه (النشر في القراءات العشر): "ولمَّا خَصَّ اللهُ ﷻ بحفظه مَنْ شاءَ مِنْ أَهْلِهِ، أقام لهم أئمةً ثقاتٍ، تجرّدوا لتصحّيحِهِ وبذلوا أنفسهم في إتقانِهِ، وتلقّوه من النبيِّ محمدٍ ﷺ حرفًا حرفًا، لم يُهملوا حركةً ولا سكونًا، ولا إثباتًا ولا حذفًا، ولا دَخَلَ عليهم في شيءٍ منه شكٌّ ولا وهمٌ" انتهى

وهذا هو السبب الذي جعلنا نقول في تعريف الإجازة: "وفيها يشهد المجيز أن تلاوة المُجاز قد صارت صحيحةً مائةً بالمائة"، فتسع وتسعون بالمائة درجةً ممتازةً في غير الإجازة بالقرآن، أمّا فيها فلا يُقبل إلا مائةً بالمائة: وسبب ذلك أن بيننا وبين سيدنا رسول الله ﷺ في الأسانيد القرآنية المعاصرة (٣٠) رجلاً في متوسط الأسانيد، قد نقل كل واحد منهم القرآن لمن بعده، وهكذا حتى وصل إلينا، فلو تساهل كل واحد من هؤلاء بواحد بالمائة في القراءة في النقل لكان نقل القرآن من الصحابة ؓ إلى التابعين بصحة نسبته (٩٩%) ومن التابعين لمن بعدهم (٩٨%)، وإلى من بعدهم (٩٧%) وهكذا حتى يصل إلينا بنسبة (٧٠%) فما الرأي بقرآن وتجويد وضبط نسبته (٧٠%)؟!^{٣٤٠}

هذا إن تساهلت كل طبقة بواحد بالمائة فقط، فما بألنا لو زاد التساهل؟ لكن، بحمد الله ﷻ، لم يقع هذا الأمر، وقد وصلنا القرآن العظيم مضبوطاً بكل حركة وسكون، وغنة وقلقة، ومد وقصر، وتفخيم وترقيق، محفوظاً من كل تغيير وتبديل، وصدق الله العظيم ﷻ إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

أنواع الإجازة بالقرآن الكريم

١١. الإجازة بحفظ القرآن الكريم كاملاً غيباً، بالتجويد والإتقان: وذلك برواية أو أكثر من الروايات المتواترة عن القراء العشر؛
١٢. شهادة إتقان تلاوة القرآن: تُعطى لمن يجيد تلاوة القرآن نظراً من المصحف من أوله إلى آخره، مع حفظ منظومة الجزرية أو غيرها من متون التجويد المُعتبرة؛
١٣. شهادة حضور دورة إتقان التلاوة: وشرطها أن يُنصَّ في الشهادة على الواقع الذي تمّ؛ من حيث الفترة الزمنية للدورة، والمنهج النظري الذي تمّت دراسته، ومقدار التلاوة التطبيقية.

الإشهاد على الإجازة القرآنية^{٣٤١}

"الإشهاد على الإجازة القرآنية نوع من أنواع التوثيق، وليس شرطاً في صحتها، فإن بعض من يُقرئ يُجب أن يُشهد شيخ قراء البلد -مثلاً- على إجازته لبعض طلابه، وذلك ليتأكد أن غيره من أهل الفن يُوافقونه على مستوى إقراره ويُقرؤون إجازته، كما أن بعض الطلبة يُجئون أن يُشهدوا على إجازتهم من أستاذهم كبير قراء البلد، أو أستاذ أستاذهم الذي لم تسمح لهم الظروف أن يقرؤا عليه، وهذا الأمر قد يكون لمصلحة المُجاز إذا طال عمره،

٣٤٠ المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ -

<https://www.aleqraa.com/consulting/19>

٣٤١ المعايير العلمية لتعليم القرآن الكريم في مجال الإجازة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ: <https://www.aleqraa.com/consulting/19>

وابتلاه الله بمن يُشكِّك في إجازته من أستاذه ؛ حسداً أو لغير ذلك من الأسباب، من هنا استحسَن إمامنا الجزريُّ أن يُشهدَ المُجَارُ النَّجْبَاءَ مِنْ أَقْرَانِهِ الْمُنتَهِينَ. قال -رحمه الله تعالى- في منجد المقرئين "

"وأما ما جرَّتْ به العادةُ من الإِشهادِ على الشيخِ بالإجازةِ والقراءةِ فحسُنُ يرفعُ التُّهمةَ، ويُسكِنُ القلبَ، وأمرُ الشهادةِ يتعلَّقُ بالفارئِ يُشهدُ على الشيخِ مَنْ يَخْتارُ، والأحسَنُ أن يُشهدَ أَقْرَانَهُ النَّجْبَاءَ مِنَ الْقُرَّاءِ الْمُنتَهِينَ؛ لأنه أنفعُ له حالَ كِبَرِهِ"^{٣٤٢} انتهى

ومن ذلك ما ذكره ابنُ الجزريِّ رحمه الله أيضاً في (ترجمة شيخه محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ الحنفيّ: ت: ٧٧٦ هـ) بقوله: "فقرأتُ عليه، فلما أن ختمتُ عليه الختمَةَ الثانيةَ كتبَ لي الإجازةَ بخطِّه، سألتُهُ أن يذهبَ إلى شيخنا جمال الدين عبد الرحيم الإسنويِّ شيخِ الشافعيَّةِ، فذهبَ إليه وهو بالمدينةِ الناصريَّةِ من القاهرةِ فأشهدَه، وما كان شيخنا الإسنويُّ يعلمُ أني أقرأُ القراءاتِ، فقال له: والقراءاتِ أيضاً؟! فقال: وغيرَها من العلوم" انتهى

ومنه أيضاً ما ذكره ابنُ الجزريِّ رحمه الله في ترجمة القاضي محبِّ الدين رحمه الله ناظر الجيوش بالديارِ المصريَّةِ (ت سنة ٧٧٨ هـ) بقوله: "قلتُ: وقرأتُ عليه جمعاً من البقرةِ إلى قوله: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ﴾ وأجازني وشهدَ في أجازيبي"^{٣٤٣} انتهى

أحكام شرعية فيما يخص القراءة والتلاوة

حكم العمل بقواعد التجويد في القرآن الكريم

العمل بقواعد التجويد في القرآن الكريم من الواجبات الشرعية يثابُ فاعله، ويأثم تاركه، ولا يكفي مجرد العلم النظري، بل لا بد من الرجوع إلى القراء المتقنين، الآخذين عن أمثالهم، المتصل سندهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، فإن هناك أموراً لا بد فيها من المشافهة، وإن اكتفى بالأخذ من الكتب، وقع في التحريف الذي لا تصح به القراءة.

حكم قراءة القرآن من مصحف دون شيخ

إن القرآن متلقى من أفواه الرجال، وهو محفوظ في الصدور، وأصل قراءته كلها الرواية، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه صلى الله عليه وسلم سور القرآن، ويأخذونها منه بالتلقي والمشافهة ثم يعلمونها من بعدهم، ولكن مع هذا من كان قارئاً كاتباً، وقد قرأ بعض القرآن حتى عرف الرسم وعرف ما يقرأ من الحروف وما يترك، فإنه يجوز له قراءة

^{٣٤٢} ابن الجزري - منجد المقرئين (ص ٦٧)
^{٣٤٣} غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - باب الأسماء (٢/ ٢٨٤)

القرآن بدون أن يعرضه على غيره، وبالأخص إذا كان للختم دون حفظ، أما في الحفظ فلا بد أن يعرضه على من يصححه له، وقد صح عن رسول الله ﷺ في (صحيح البخاري) أنه قال: (المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يقرؤه وَيَتَعَنُّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شاقٌّ لَهُ أَجران)٣٤٤، فكل ذلك فيه خير.

خصيصة كتاب الله ﷻ

- **فورية التبليغ:** تلقينا -سماعا وعرضا- وتدوينا؛
- **فورية القراءة:** التلاوة الفورية: فالنبي ﷺ أميٌّ فأنسب طرق التبليغ هي القراءة والتلاوة والإسماع الشفهي؛
- **فورية السماع:** التلقي الفوري: وأمته أمية فأنسب طرق التلقي هي السماع؛
- **فورية التدوين:** ومن أمته وصحابته ؓ من كان يكتب، فاتخذ ﷺ كُتَّابًا يكتبون له الوحي ليسجلوا ما نزل من القرآن فور نزوله وكما أنزل حتى لا يظل القرآن رهنا لذواكر البشر بشروط ذلك من حياتهم، وحضورهم، وإيمانهم، وضبطهم، واستجاباتهم، فكان يُدون الكاتب الوحي فور نزوله وقراءة النبي ﷺ له؛
- **فورية العرض.**

٣٤٤ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم : ٦٦٧٠ | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخریج : أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) باختلاف يسير

البحث المطلوب

أكتب بحثاً عن أدلة صدق النبي محمد ﷺ. على ألا يقل عن ٢٥ صفحة ولا يتجاوز المئة وخمسين صفحة، مسترشداً بما سبق من معايير ونقاط، ويمكن أن تضع معايير الخاصة، على أن توفي النقاط الهامة، وتستشهد عليها بأسلوبك.

أهمية البحث

- **أولاً:** ملف سيكون معك تزيد عليه في كل مرة **طيلة حياتك الدعوية**، تضع فيه العلامات من علامات صدق النبوة التي تظهر في كل مرة لك، وبها تستخدمه في دعوة غير المسلمين وإقامة الحجة عليهم.
- **ثانياً:** نافع لغايتك وهي التبليغ، ودعوة غير المسلمين، وأن تأخذ بيد كل حائر إلى دين الإسلام
- **ثالثاً:** بها تنتصر لله ولرسوله ودينه، وترد شبهات المعارضين والجاحدين وتبين لعامة المسلمين.
- **رابعاً:** ستكون بمثابة لبنة جاهزة، تُفيدك في المستوى التأسيسي، حين تتعمق في دراسة ما عند النصارى، وتستطيع بها مستقبلاً إثبات تحريف كتاب النصارى، حين تُضيف على هذا المبحث المقارنة تحت كل معيارٍ بيننا وبين أهل الكتاب.
- **خامساً:** تدريب عملي على البحث، وتنمية ملكة الكتابة والإستدلال العقلي، فكل هذه العلامات التي تحدثنا عنها ليست مصادر نقلية، بل سنثبت صدق النبي ﷺ بإثبات عقلي وبأدلة علمية

مثال ١: عند استخدام دليل التواطؤ الغيبي سأستخدم من كتابه هو وليس كتابي أنا سأستخدم أقوال علماء من اليهود والنصارى في إثبات ما عندي.

مثال ٢: عند الحديث عن التواطؤ الكوني سأستخدم ما قاله العلم ويشهد لما قاله الله، كل شيء سترجع لمصادره التي هي حجة على المخالف، فقد اتفقنا أنه لا بد بأن يكون المعيار حجة عليّ وعلى المخالف وحجة لي وللمخالف أيضاً يعني أن نكون مشتركين في نفس المعيار، فلا يجوز أن آتي بمعيار مفصلاً لي فهذا تحكم ومغالطة نأ عنها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ